



أنطولوجيا القصة الإيرانية الحديثة

تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين

ترجمة: أ. موسى بيدج

مراجعة: أ. سمير أرشدي

فبراير 2013



الضنانة: د. فوزية حسين

لوحة من معرض القرين التشكيلي الثامن عشر

الجواد

زيت

140 140 x سم

أنطولوجيا القصة الإيرانية الحديثة

تأليف: مجموعة من الأدباء الإيرانيين

ترجمة: أ. موسى بيدج

مراجعة: أ. سمير أرشدي

إيداع عالمية

١٣٩٠ هـ

لجنة إيداع الأعمال الأدبية والفنية

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

لجنة إيداع الأعمال

إيداع الأعمال

الكويت ودول الخليج 500 فلس

الدول العربية الأخرى ما يعادل دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد 10 د.ك

للمؤسسات 20 د.ك

دول الخليج

للأفراد 12 د.ك

للمؤسسات 24 د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد 25 دولارا أمريكيا

للمؤسسات 50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد 50 دولارا أمريكيا

للمؤسسات 100 دولارا أمريكيا

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل

على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

رقم الإيداع: ٢٠١٣/١٧٠

ردمك: ٩٩٩٠٦-٠-٣٨٦-٦

• أنطولوجيا
القصة الإيرانية الحديثة

العنوان الأصلي:

آنتولوژی داستان نوین ایران

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 2013م

إبداعات عالمية - العدد 393

صدر العدد الأول في أكتوبر 1969م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدواني

(1923 - 1990)

المقدمة

بانوراما الأدب القصصي الإيراني الحديث

حكاياء الأدب القصصي الإيراني الحديث طويلة وقد لا تسعها هذه الصفحات ففي سنة ١٩٢١ صدرت مجموعة قصصية للأديب محمد علي جمال زاده بعنوان «كان يا ماكان» تميزت بمنهج منطقي دقيق ورؤية نقدية وأسلوب بديع وحبكة جديدة. كانت هذه المجموعة أهم موروث تركه جمال زاده للأجيال اللاحقة، حيث أسست البنية التحتية للقصة الإيرانية القصيرة ورسمت لها خارطة الطريق الذي انتهجته.

كان الكاتب جمال زاده قد نشر قصص هذه المجموعة مسبقاً في صحيفة «كاوه» الصادرة في برلين، وأصدر الطبعة الأولى لمجموعته من مطبعة كاوياني في برلين. بناء الشخصيات، وصياغة المشاهد، والعقد، والرؤية النقدية للظواهر المحيطة، فضلاً عن اللغة والأسلوب النثري في هذه المجموعة، كلها عناصر اجترحها جمال زاده في مجموعته هذه بتقنيات جديدة، الأمر الذي ضاعف من قيمة العمل وأثر تأثيراً حاسماً على حركة الكتابة القصصية في إيران. بعد ذلك أضاف جمال زاده اللثام عن جهوده الأدبية المتتالية فأنتج الكثير من الأعمال القصصية، بيد أن أيا

منها لم يبلغ مستوى التأثير الذي تركته مجموعته البكر. ومن بين مجاميعه القصصية الأخرى يمكن الإشارة إلى «دار المجانين» ١٩٤٢، و«سيرة العم حسين علي» ١٩٤٢، و«من قماش واحد» ١٩٤٤، و«قلتش ديوان» ١٩٤٦، و«صحراء المحشر» ١٩٤٧، و«سبيل رسالة الماء» ١٩٤٧، و«معصومة الشيرازية» ١٩٥٤، و«العمل الرائع» ١٩٥٨، و... إلخ.

بالإضافة إلى الأدب القصصي، اهتم جمال زاده بالعمل البحثي والترجمة وله نتاجاته الغزيرة في هذين البابين منها: «الكنز الرائع» حول اقتصادات العهد القاجاري في إيران، «حرب التركمان» و«طباعنا نحن الإيرانيين» ومن ترجماته: «ويلهلم تل» لشيلر، و«البخيل» لموليير.

كما وضع «قاموس المفردات العامية» الذي جمع فيه المصطلحات الإيرانية المستخدمة في اللهجة العامية والمحكية من قبل الناس. كان جمال زاده مولعا بالأدب الشعبي الإيراني، وقد استخدم في أعماله القصصية نثرا مشبعا بالكلمات والاستعارات والإشارات والكنيات والمصطلحات العامية الدارجة.

السبيل الذي اختطه جمال زاده بلغ به صادق هدايت الذروة. كان هدايت ابن عصره، استلهم تصوراته الاجتماعية والسياسية والفكرية منه، وانعكست جميع هذه البصمات والانطباعات في أعماله القصصية انعكاسا ملحوظا.

لقد صور صادق هدايت في بعض قصصه شطرا من طموحات جيله بشكل رمزي. رسمت روايته «البومة العمياء» (١٩٣٩) بريشة سيريالية غير مألوفة ظروف الطبقة المخملية في عصر رضا شاه بهلوي. وفي «الموؤودة» (١٩٣٠)، و«قطرات دم ثلاث» (١٩٣٢) عرض واقعه المعاصر بأسلوب مباشر ورمزي، وفي «التضاليل» و«علوية خانم» (١٩٣٣)، أعلن امتعاضه من المؤسسات البالية الموروثة عن الأجيال السابقة. وقد استطاع في خضم هذه الأعمال تقديم تحليل عميق للشخصيات المنكوبة البائسة المسحوقة في المجتمع.

تأثر هدايت كأغلب أبناء جيله بالأفكار الوطنية والقومية التي سادت أعوام الثورة الدستورية وحكومة رضا شاه. وتبلورت هذه الأفكار بطابع حاد جزمي في مسرحيته «بروين ابنة ساسان» ١٩٣٠، و«مازيار» ١٩٣٣. لقد أطلق هدايت إبداعات رائعة في عالم الكتابة القصصية، ويمكن اعتباره من الكتاب الأوائل الذين أبدوا انشدادا مميزا للاعتبارات الوطنية والقومية الإيرانية وكان لهذه الاعتبارات إسقاطات جلية بشكل من الأشكال في آثاره.

كما ركز اهتمامه على الأدب الشعبي الإيراني في سياق مقارنة مع النزعة إلى القديم، فأنجز أعمالا من قبيل «بلاد الأخاديع» عام ١٩٤٧، و«وغ وغ ساهاب» عام ١٩٣٢، بمساعدة نظرائه من الأدباء. النقطة اللافتة هي نثره ولغته القصصية

الضاربة بجذورها في الأدب الشعبي فصاغ هدايت هذه اللغة
النثرية وأنضجها بحيث هيمنت بعد ذلك على كثير من
الكتاب الذين تقبلوا بصماته وتأثروا به.

انطوى التراث القصصي لصادق هدايت على ملامح
من التحرر والعفوية والإخلاص والعاطفة والعقل والروح
الثورية المطالبة بالتغيير، والأهم من كل هذا أنه اكتنف
في داخله جماليات خاصة. جرب معظم صنوف الكتابة
فكتب أدب الرحلات «أصفهان نصف العالم» والمسرحيات،
ونشر في الصحف ومنها مجلة «الموسيقى» و«الكلام»
وغيرها.. واجتذبه الأدب البحثي فأنتج عدة دراسات
وكتب، ولم ينس النقد الأدبي، فعمد إلى تشذيب بعض
التصورات الخاطئة التي سادت عصره. وإلى جانب كل
هذا خاض في حقل الترجمة أيضا فنقل قبل كل شيء
أعمالا من اللغة الفهلوية إلى الفارسية (زند وهو من
يسن، ملف اردشير بابكان، تقرير ينهي الظنون) ثم ترجم
بعض أعمال فرانتس كافكا (المسخ، جماعة المحكومين،
ومجموعة «الجدار» لعدة كتاب).

أبدى هدايت قدراته الكتابية في أشكال قصصية عدة.
وكان ذا مهارة وبراعة مميزة في القصة القصيرة. كما كتب
قصصا طويلة، ومن قصصه رواياته الخالدة «البومة العمياء»
و«حاجي آغا». تأثر في «حاجي آغا» بالتيار اليساري السائد

آنذاك، فسَلَطَ حراب نقده بأسلوب بديع على الرأسمالية البازارية في إيران. وعرض قصصه من زوايا عديدة فكتب تارة من زاوية الراوي، وأحيانا من زاوية المتكلم المفرد، وجرب انسيابية الذهن أيضا. جنح في جانب من قصصه إلى الموضوعية التامة والواقعية الاجتماعية، ومال في أحيان أخرى إلى النزعة الذهنية والرمزية، واستفاد تارة من المادية، وتفوق في كل هذه الأشكال على كتاب عصره [وحتى الكتاب اللاحقين] فكان من الطبيعي أن تلقى المعايير الكتابية عند هدايت ظلالها على الأجيال التالية، بل ودفعت بعض القاصين إلى تقليده.

مع نشوب الحرب العالمية الثانية وبدء التحولات الكبرى في أنحاء مختلفة من العالم ومنها إيران التي شهدت آنذاك سقوط حكم الشاه رضا بهلوي، انطلقت موجة شاملة من التنوير السياسي والتحرر الاجتماعي والأصوات المعارضة التي اتسمت بالنضج أحيانا وباللانضج في أحيان أخرى، كما انبثقت في إيران وقتئذ الأحزاب السياسية على اختلاف مناهجها وأهدافها. وقد هيمن الحلفاء آنذاك على السياسة الخارجية الإيرانية، فتكاثفت القوى المعارضة في المجتمع حول الأحزاب السياسية التي توزعت على ثلاثة تيارات رئيسية: التيار اليساري، والتيار اليميني والتيار الوطني المعتدل. أحزاب التيار اليساري كانت منحازة في الغالب إلى

السياسة السوفييتية، بينما جنحت الأحزاب اليمينية إلى السياسة البريطانية، وادعى التيار الوطني الحياد.

وابتعد المجتمع رويدا رويدا عن المنحى الاستبدادي على الرغم من أنه كان يضم في داخله بذور الاستبداد، ووجدت القيم الفكرية والفنية مساحات أوسع للظهور والتفاعل، وأُتيحت للأدب القصصي ميادين أوفر عدداً وأوسع مساحة، وذلك بضغط من الظواهر السياسية والاجتماعية وما تفتق عنها من نظريات ورؤى. وظهرت إلى النور مجالات أدبية تعتمد القيم الحديثة في الأدب، فأطلقت مجلة «سُخَن» إبداعات وإنجازات فكرية وثقافية غير مسبقة مكرسة أهمية الأدب القصصي والاتجاهات الحديثة في الأدب.

وشهد فن الكتابة القصصية في إيران خلال تلك الفترة تياراتٍ ومناحي متنوعة، فتواصلت كتابة الروايات المسلسلة في المجالات، وكانت المضامين الرئيسة اجتماعية وتاريخية قبل كل شيء، وقد تتشكل أحيانا بأساليب تنم عن درجة شديدة من الفجاجة وعدم التمرس. وتداولت الساحة الأدبية أسماء كُتّاب جدد افتقر معظمهم إلى الموهبة الحقيقية والإبداع الرصين على الرغم من الكم الكبير الذي أنتجوه من القصص القصيرة والروايات والمقطوعات الأدبية التي سادها المناخ العاطفي والرومانسي معظم الأحيان، إضافة

إلى استلهاهم سطحي للأحداث الاجتماعية وتشكيل فضاءات ذهنية غير ملموسة وغير موثقة.

ولكن ينبغي الإشارة إلى أن هذه الموجة قابلتها موجة لقاصين آخرين كرسوا فنهم ليكون مرآة تعكس واقع وتحديات الإنسان في عصرهم. لقد صوّر هؤلاء مجتمعهم بأسلوب فريد وأفكار ناضجة واستطاعوا بأفكارهم وأذواقهم الوصول إلى نمط خاص من الرؤى النقدية والتفكير الاجتماعي الفاعل. والحقيقة أن أعمالهم كانت صرخة معارضة في وجه الاستغلال والإجحاف الذي عانى منه مجتمعهم.

حينما نشر صادق جوبك أولى مجاميعه الشعرية «لعبة العرائس» سنة ١٩٤٥ بشّر في الواقع بظهور كاتب ذي موهبة أصيلة. ولد جوبك في مدينة بوشهر وعمل موظفاً في شركة النفط الوطنية. تدور أحداث طائفة مهمة من قصصه في الجنوب الإيراني، ومثال ذلك «تنكسير» ١٩٦٣، التي توسّع فيها باهتماماته الاجتماعية. وفي مجموعته القصصية الثانية «قرد مات صاحبه» ١٩٤٩، اقترب هذا القاص من الأسلوب الناتورالي (الطبيعي) أكثر فأكثر من دون أن يتخلّى نهائياً عن الأسلوب الواقعي.

صدرت له بعد ذلك مجموعته القصصيتان «اليوم الأول في القبر» ١٩٦٥، و«المصباح الأخير» ١٩٦٥، ورواية «سنگ صبور» (صخرة الهموم) ١٩٦٦، التي كتبها بطريقة الانسياب

الذهني، وصوّر فيها بيئة تكتظ بشتى صنوف القبح والاستهتار مسجلا ضدها موقفا جد غاضب.

زواج جوبك في غالبية نتاجاته بين تصوراته الذهنية وملاحظاته الخارجية بمهارة فائقة مقدما بذلك مشاهد حيّة وخالدة في فن الكتابة القصصية. وقد احتلت الشرائح الفقيرة مكانة مميزة في أعماله فعرض ظروفها العصبية وحقوقها المغموطة. تأثر جوبك في نثره بصادق هدايت لاسيما في استخدام المفردات والتعابير العامية الدارجة والإكثار منها، إلا أنه حتى في استخدامه هذا أبدع في أسلوبه السردي المميز ولغته الخاصة التي وظفها في تصوير المشاهد والأحداث بكل براعة. وبالإضافة إلى هدايت، يمكن رصد بصمات هيمنفواي، وفولكنر وهنري جيمز في منجزه القصصي. كان جوبك كاتباً يشاهد ويرصد بدقة ويتفهم موضوعاته بشكل مرهف ويعالجها بعقله وعواطفه على السواء محاولاً تقييمها وفحصها أولاً لينقلها بعد ذلك على الورق.

وفضلاً عن قصصه، كتب جوبك مسرحيتين عرض في كليهما قراءاته للنظام الاجتماعي - السياسي السائد في عصره. في «الكرة المطاطية» صوّر أجواء الإرهاب والقمع التي ميّزت عصر الشاه رضا بهلوي، وفي «الخطوط السبعة» عالج الظروف المعيشية لإحدى شرائح المجتمع المحرومة،

كما نقل إلى الفارسية بنجاح ملحوظ أعمالاً أجنبية منها «الطفل الخشبي - بينوكيو» لكارلو كلودي، و«أليس في أرض العجائب»، وقد ترجم رودولف غلبكيه، ويتر أوفري بعض كتاباته إلى الألمانية والإنجليزية بالترتيب.

أما جلال آل أحمد، فقد انطلق في مشواره القصصي بنشره قصة قصيرة في مجلة «سخن» عنوانها «الزيارة». وصدرت مجموعته القصصية الأولى «الزيارات المتبادلة» سنة ١٩٤٥م، أعقبها «عن الهم الذي نعاني» سنة ١٩٤٧م، و«سه تار» سنة ١٩٤٨م، و«امرأة إضافية» عام ١٩٥٢م.

جرب آل أحمد منعطفات حادة في حياته، فقد كانت جذوره دينية باعتباره وليد وربيب عائلة ملتزمة دينياً، إذ كان والده رجل دين معروفاً. ولم يمنعه ذلك من الانخراط إبان شبابه في صفوف الحزب الشيوعي الإيراني (توده) الذي انشق عنه بعد ذلك لينضم إلى جماعة الاشتراكيين المستقلين (التيار الثالث) بزعامة خليل ملكي. ثم أبدى انشداداً إلى النزعة الوطنية التي حفزت الشعب للانتفاض من أجل تأميم النفط، ولم يلتزم الصمت حيال تصاعد المنحى الاستبدادي للشاه محمد رضا بهلوي، بل شدد على أهمية معارضة الواقع الراهن آنذاك بكل السبل المتاحة.

ووجه آل أحمد حراب نقده اللاذع إلى الثقافة الغربية المستوردة التي فتحت لها على مصراعيها كل بوابات البلاد،

وأصدر في هذا الباب كتابه المشهور «نزعة التغريب» عام ١٩٦٢م. وفي أواخر عمره غير الطويل عاد إلى بعض جذوره الثقافية مبدياً ميولاً إلى شيء من التقاليد العقلانية والموروث الإيراني، ويمكن ملاحظة هذه «العودة إلى الذات» في غالبية نتاجاته المتأخرة.

إضافة إلى قصصه القصيرة، وضع آل أحمد روايات «سيرة الخلايا» ١٩٥٤م، و«مدير المدرسة» ١٩٥٨م، و«نون والقلم» ١٩٦١م، و«لعنة الأرض» ١٩٦٧م، و«شاهد قبر» ١٩٦٧م، مصوراً في كل واحدة منها ملمحاً من ملامح التيارات السياسية والاجتماعية في عصره بأسلوب رمزي أو بمنحى واقعي.

بذل آل أحمد جهداً غزيراً في عالم الكتابة، وكان من أبرز من عملوا لتأسيس اتحاد الكتاب الإيرانيين، ونشط كذلك في ميادين فكرية وثقافية أخرى، فدوّن ملاحظات ورحلات مونوغرافية لبعض المناطق المحرومة التي زارها صدرت تحت عناوين «أورازان»، و«سكان الأكواخ في بلوك الزهراء» و«جزيرة خارك، درة الخليج اليتيمة». ودوّن كذلك ذكرياته خلال زيارته لروسيا ومكة المكرمة وفلسطين المحتلة (إسرائيل) فكانت أعمال «قشة في الميقات»، و«رحلة روسيا»، و«السفر إلى ولاية عزرائيل». وكان له أيضاً باع طويل في النقد الأدبي لم يُبقِ فيه على كبير أو صغير. وقد صدرت أعماله النقدية

في كتب «تقييم متسرع»، و«ملف السنوات الثلاث»، و«بئر وحفيرتان»، و«ثلاث مقالات أخرى».

وفي مجال النقد الاجتماعي والسياسي والتاريخي كتب «نزعة التغريب» و«المستنبيرون، خدمات وخيانات»، و«جرب قلمه في الترجمة أيضا فنقل إلى الفارسية «المقامر» لدوستوفسكي، و«الغريب» و«سوء فهم» لألبير كامو، و«العودة من الاتحاد السوفييتي» لأندرية جيد، و«الكركدن» لأوجين يونسكو. وامتدت نشاطاته لتشمل الحيز الصحافي أيضا فكان لفترة ما مديرا لمجلة «العلم والحياة»، وأصدر بعد ذلك عددين من مجلة «كيهان الشهرية».

كان لآل أحمد أسلوبه الخاص في الكتابة، ويمكن ملاحظة آثار هدايت في نتاجاته، إلا أنه كوّن لنفسه تدريجيا نثرا خاصا تميّز بالإيجاز والمرونة والصراحة. كما يمكن اعتبار آل أحمد عصارة التيارات التنويرية الإيرانية في الأربعينيات والخمسينيات والستينيات حيث سجل حضورا فاعلا في العديد من هذه التيارات.

في خمسينيات القرن المنصرم، بعد تأميم النفط في إيران وتضعف أركان السياسة الاستعمارية، وأقول نجم الهيمنة البريطانية وفتوحاتها العالمية، واستشراء نفوذ السياسة الأمريكية في المنطقة وعلى الرغم من كل ما خيم بعد ذلك على المجتمع من أجواء القمع والإرهاب، إلا أن

المثقفين والقاصين لم يكفوا عن العمل والعطاء فأصدروا مجلات، منها «صدف» و«الضن والفكر» بما يتلاءم وأذواقهم وتوجهاتهم. وعبر هذه الصحف والمجلات انطلقت حركة جديدة ترنو إلى بلوغ قمم غير مسبوقة في عالم القصة، فكان أن ظهر في الساحة الأدبية كتاب جدد بنتائج لافتة. في سنة ١٩٥٥م صدرت للأديب تقي مدرسي روايته المعروفة «يكليا وتوحدھا» الحائزة على جائزة «أفضل قصة» والتي حاول فيها كاتبها استلھام التقاليد السیريالية لتصوير الحب والعزلة الإنسانيين داخل مناخ أسطوري. لم تتمتع روايته هذه بمتانة تذكر من حيث لغتها والنثر المستخدم فيها، بيد أنها تركت تأثيرات جد عميقة في القصة الإيرانية إبان عقد الخمسينيات. ووضع مدرسي بعد ذلك رواية «شريف جان شريف جان» ١٩٦٥م التي عالج فيها تطورات مجتمعه من منظار طفل صغير. ولم تحقق هذه الرواية نجاحا لكاتبها. وجاءت رواية «الفائبون» ١٩٨٩م مجرد خلجات شخصية للمؤلف وهو يطل على تحولات بلاده بعد أعوام طوال قضاها في أميركا وزاؤل خلالها مهنة الطب. وتابع في «آداب الزيارة» ١٩٨٩م منهجه هذا من دون أن يضيف جديدا إلى عطائه اللغوي والنثري السابق.

جمال ميرصادقي قاص آخر بدأ الكتابة في هذا العقد، وأبدى منذ ذلك الحين ميولا راسخة إلى القصة القصيرة

فحقق في هذا المضمار قدرا ملحوظا من التوفيق، وكانت لغته صريحة وجزلة ومزحومة بإشارات دقيقة وتعابير عامية تعيد إلى الذهن الأسلوب المستخدم في قصص هدايت. سألط ميرصادقي الضوء على جميع شرائح المجتمع وفصائله معالجا قضاياها بخياله وإبداعه، وعني بانحسار الثقافة التقليدية وتصاد وتيرة الثقافة العصرية الجديدة في المجتمع المدني بطهران، فجعل هذه الظاهرة الشاملة محورا لطائفة من قصصه، وكان يمزج أحيانا بين العقل والعاطفة مزجا يفرز أعمالا قصصية على جانب ملحوظ من الإبداع. استلهم ميرصادقي في رواياته تجاربه الشخصية بنحو غزير وكانت هذه الأعمال ذات طابع اجتماعي وسياسي غلب فيها على المضمون. وظهر موفقا في بناء شخصيات روايته «الغريان والبشر» التي يكابد بطلها شبهة انتمائه سابقا إلى أجهزة السافاك الأمنية.

وفي مجال التنظير القصصي، صدر له كتاب في مجلدين «القصة، القصة القصيرة، الرواية، والأدب القصصي». ولا نجانب الحقيقة إذا قلنا إن ميرصادقي من القاصين المبدعين في إيران، إذ صبَّ جلَّ اهتماماته وجهده في حيز القصة، حتى إن بعض أعماله ترجمت إلى لغات عالمية. ولد غلام حسين ساعدي في آذربيجان والتحق بعد دراسته الابتدائية والإعدادية بكلية الطب في جامعة طهران فتخرج

طبيباً نفسياً وزاول هذه المهنة في المناطق الجنوبية بالعاصمة، وأنتج أعمالاً قصصية إلى جانب أعماله المسرحية، فصدرت له مجموعته القصصية «سهرة فاخرة» عام ١٩٦٠م استعرض فيها نمط الحياة الخاوية والرتيبة التي تعيشها طبقة الموظفين المتوسطة. وصدرت له أيضاً «مآثم البيل»، مجموعة قصص مترابطة» سنة ١٩٦٥م، ومجموعته القصصية «دنديل» سنة ١٩٦٦م، و«هواجس غامضة» عام ١٩٦٧م، و«الخوف والقشعريرة» عام ١٩٦٨م، و«الحد والمهد» سنة ١٩٧٧م. وألف رواية بعنوان «المدفع» تطرق فيها إلى أيام الثورة الدستورية في إقليم آذربيجان، كما نشر «غريب في المدينة» عام ١٩٩٠م.

أبدع ساعدي في قصصه عوالم زاخرة بالأوهام والمخاوف والفرع، والمشاعر والأخيلة المختلطة والاستعارات والرموز، مستعينا على كل ذلك بالأسلوبين الواقعي والسوريالي المطعم بالواقعية السحرية ويسرد نثري متقن ومتجانس يضرب بجذوره عميقاً في تراكيب اللغة العامية واستخداماتها، فأنجز بذلك أعمالاً كان لها نصيبها الوافر من الجد والتأثير والقيمة التغييرية. يemor في نتاجاته مناخ القمع والإرهاب وتتجسد فيها فضاءات مهولة ومفرعة يشوبها الترقب والانتظار صاغها الكاتب بأكثر القوالب تحراً، وكانت هذه الظاهرة انعكاساً للمناخ الاجتماعي . السياسي الذي ساد العصر البهلوي.

قاص آخر نافس هذه الأسماء هو بهرام صادقي الذي بدأ نشر قصصه القصيرة في مجلة «سُخن»، وكان طبيباً يمكن أن نلمح بصمات مهنته في نتاجاته الأدبية. انطلق في نشر قصصه منذ عام ١٩٥٦ وكان دوره في معظمها دور الراصد المحايد غير المكترث والذي يكتفي بتسجيل ملاحظات متعالية على الانفعال تتعلق بأحوال شخصياته وأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وتجليات واقعهم النفسي. تحيز صادقي في فنه القصصي إلى تشيخوف، لكنه كان يعتقد أنه تأثر بدوستوفسكي. عالمه القصصي عالم سيال خالٍ من الأفعال والانفعالات، ومتطابق مع الواقع إلى درجة كبيرة. اختار شخوص قصصه من بين الموظفين والمثقفين، وامتازت لغته النثرية بالبساطة والوضوح والجدة. كان قليل الكتابة، ويمكن القول عن أعماله إنها مركزة. صدرت له قصة طويلة باسم «الملكوت» (بتأثير من «البوم العمياء» لهدايت) ومجموعة قصصية باسم «الخندق وزمزميات فارغة». يشوب أسلوبه النثري لون من السخرية المرة، وقد ابتعد في قصة «الملكوت» عن الواقعية ليطبّعها بصبغة سورريالية. أضف إلى ذلك من خصائص قصصه الاستحالات التدريجية التي تمر بها الشخصيات على خلفيات هادئة خالية من الانفعالات العنيفة. وقد كانت هذه القصص مرآة تعكس أكبر مساحة ممكنة من واقع الطبقة المتوسطة في زمانه.

كانت الستينيات عقد تطورات سياسية واجتماعية واضحة ومؤثرة في إيران، وقد شهدت خلالها ظواهر جديدة في مضمار الكتابة القصصية أيضا، فازدادت أعداد المجلات والمطبوعات الأدبية، التي أولت اهتماما خاصا بفن القصة، ونقلت أعمال كثير من الكتاب الغربيين إلى الفارسية ونشرتها. وعالجت مجلات «سخن» (كلام) و«جهان نو» (العالم الجديد) و«بيام نوين» (الرسالة الحديثة) قضايا القصة باهتمام مميز وتعرّفت الأروقة الأدبية على قاصين جدد. وشجعت مجلة «فردوسي» مناقشة الظواهر والقضايا المعيشة في المجتمع فنشرت قصص ومشاريع الكتاب الواعدين. واتسمت هذه المجلة بأساليبها الترويجية الأدبية التي كان لها تأثيرها في تطوير فن القصة والكتابة الأدبية بصورة عامة، هذا من دون أن ننسى المسحة التجارية الشعبية التي شابتها.

تألفت القصة الإيرانية في الستينيات ببريق أكبر ونزل قاصون جدد إلى ساحتها، وهنا، ينبغي عدم تجاهل التأثير الذي تركه آل أحمد في الأدب القصصي خلال هذا العقد، فقد بادر أشخاص جدد إلى خوض غمار الكتابة القصصية على خلفية تراث من سبقوهم من الكتاب مثل جمال زاده، وهدايت، وعلوي، وآل أحمد، وجوبك وغيرهم. وكانت الطرق في تلك الفترة قد اتضحت معالمها إلى حد كبير وتم السير

فيها بخطى واثقة، كما تبينت المعايير والمبادئ والأصول المتبعة في الكتابة القصصية التي كانت بحاجة إلى وجوه وأقلام جديدة.

كان عقد الستينيات وبحق من أغنى عقود الكتابة القصصية في إيران. اشتهر في غضون تلك الفترة علي محمد أفغاني بإصداره رواية «زوج السيدة آهو» (١٩٦١م) التي أفصحت عن جوانب مهمة من العلاقات العائلية والأحوال العاطفية المترتبة عليها. وعلى الرغم مما اعتري الرواية من نواقص في النثر واللغة وبناء الشخصيات والحبكة القصصية إلا أنها أحرزت لقب «أفضل قصة» في تلك السنة وكرست اسم كاتبها في عالم القصة. ولعل من أبرز خصائص الكتابة القصصية للأفغاني نشرها الحكواتي الحافل بالمواعظ والحكم وبرز الراوي بمناسبة ومن دون مناسبة أثناء السرد واستخدام الكنايات والتعابير العامية.

كما نشر المعلم السابق في مدارس أصفهان هوشنك كلشيري رواية «شازده احتجاب» التي كتبها بأسلوب الانسيابية الذهنية مستلهما تاريخ الفترة القاجارية وإسقاطه على الزمن الذي عاصره. وقد كانت روايته هذه أشبه بقصيدة بليغة المعاني في رثاء العوائل الأرستقراطية التقليدية في إيران.

في سنة ١٩٧١ نشر كلشيري رواية «كريستين وكيد» التي صور فيها حب رجل إيراني لامرأة بريطانية. وصدرت له عام ١٩٧٥م مجموعته القصصية «مُصلاي الصغير» التي تضمنت عدة قصص بعنوان «المعصوم». وتابع بعد ذلك قصص «المعصومين» هذه فاستخدم في المعصوم الخامس (١٩٧٩م) نثرا قديما، مشددا على الجوانب الفنية والشكلية للقصّة أكثر من المضمون. وفي المجلد الأول من روايته «الحمل الضائع» (١٩٧٧م) وظّف الأسطورة والرمز ليصور واقع الاغتراب الذاتي الذي يعيشه المستنيرون.

تميز كلشيري بذهنية وسرد قصصي معقد وصعب. وتمتاز قصصه بجمالية الشكل ومتانة البناء. حاول في «مكان الجبة» و«حديث الغول وصياد الأسماك» اكتشاف أنماط وأساليب نثرية جديدة لقصصه. وقد وجد أخيرا ما يصبو إليه من نثر جديد ومشذب خصوصا في آخر أعماله «المرايا ذات الأبواب». وضع كلشيري قصته الطويلة هذه من زوايا عدة أشخاص وبأسلوب القصص المتداخلة وكان موفقا في تطويع القوالب والمفاهيم وربطها مع بعضها البعض، وتعد هذه القصّة رثاء آخر لهزيمة القوى اليسارية في إيران. نشر كلشيري قصصا قصيرة أخرى في المجلات أو على شكل مجاميع قصصية مستقلة، كما كتب سيناريو بعنوان «اثنا عشر وجها» (١٩٨٨م).

تأثر محمود دولت آبادي بالبيئة القروية التي انعكست تفاصيلها انعكاسا جليا في منجزه القصصي. كان عنوان قصته الأولى «الرجل» وقد صور فيها تحديات رجل قروي يعيش في مناخ مديني. ثم أصدر «طبقات الصحراء» (١٩٦٨) واشتهر بقصته الطويلة «آوسنه بابا سبحان» (١٩٦٨م) خصوصا حينما أخرج مسعود كيميائي فيلم «التراب» من وحيها، حيث لفت الفيلم الأنظار إلى القصة وكاتبها المبدع. بلغت الواقعية الاجتماعية لدولت آبادي ذروتها في رواية «مكان سلوج الخالي» (١٩٧٩) واكتسبت أبعادا جديدة في رواية مرشحة لنيل جائزة نوبل للآداب وهي «كليدر» ذات المجلدات العشرة عبر مشاهد شاعرية واجتماعية رومانسية. امتازت «كليدر» بنثر متماسك جمع بين اللغة الأدبية واللهجة العامية لأهالي مدينة سبزوار في إقليم خراسان. روايته الأخرى «الزمان الماضي للمسنين» (١٩٩١)، كتبها بطريقة الانسيابية الذهنية، وعالج فيها أيضا قضايا القرية وسكانها.

كان لدولت آبادي دوره الكبير من خلال أعماله القصصية في تنمية نوع من الكتابة القصصية تختص بإيران ونواحيها المحلية. وقد جرب قلمه في الكتابة المسرحية أيضا فصدرت له مسرحيتا «الضيق» و«ققنوس». وكانت له أيضا أعمال في النقد الأدبي والسيرة الذاتية ومنها «المكانة العامة للفنون

والآداب المعاصرة» (١٩٧٤) و«الفنان بين الاضطرار والاختيار» (١٩٧٨)، و«نحن أيضا أناس» (١٩٨٩). وله كذلك «لقاء البلوش» ضمن أدب الرحلات كان حصيلة سفره إلى إقليم بلوشستان جنوب شرق إيران.

أحمد محمود كاتب من جنوب إيران نشر مجاميعه القصصية الأولى التي لم تحقق له شيئا من الشهرة، لكن بروايته العvisية على النسيان «الجيران» (١٩٧٤م) كرس محمود مكانته كقاص متمكن من أدواته وفنه. وجنح في «الجيران» إلى الواقعية الاجتماعية، مستعرضا مشاهد من الحياة السياسية والاجتماعية المعاصرة في إيران من منظار صبي يافع (تتلور شخصيته على امتداد الأحداث). وتتميز بسرد نشري زاخر بالحركة والجاذبية كان له بالغ الأثر في التكوين الفني لروايته «الجيران». روايته الضخمة التالية «قصة مدينة» (١٩٧٩) تعد من حيث المضمون تنمة لرواية «الجيران»، وقد صور في روايته الجديدة كفاح البطل ونفيه وحيرته خلال مشواره الصعب في المناطق المحرومة جنوب إيران. وكانت له في ثنايا الرواية انتقالاته إلى التاريخ الإيراني المعاصر بواسطة أسلوب الانسياب الذهني حيث أعاد تشكيل الأحداث الساخنة التي أعقبت انقلاب عام ١٩٥٣م وإعدام الضباط الشيوعيين بطريقة قصصية.

«الأرض المحروقة» (١٩٨٢) روايته التالية التي تناولت تداعيات الحرب التي شنها النظام العراقي البائد على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وخلق من خلالها نموذجا من خواطر لها حيويتها وروحها المتوثبة. في مجموعته القصصية «اللقاء» (١٩٩٠م) عاد محمود لزيارة أهالي الجنوب الإيراني فتناول معاناتهم وحياتهم الغارقة في المحن. واستعان بزوايا نظر متعددة وأسبغ على قصصه مظاهر جديدة فبلغ مرتبة جد ممتازة في الكتابة. ومن آخر رواياته «مدار الصفر» التي صدرت في ثلاثة مجلدات سنة ١٩٩٣م. امتازت قصص أحمد محمود بقصر العبارات وتموضعها المناسب واستخدام مفردات وكنايات والتفاتات شعبية مُصاغة بطريقة شائقة، وبنثرها الموجز الرصين.

القاص نادر إبراهيمي اتسمت كتاباته بالتنوع، واختار مضامين خيرة قصصه من إقليم «تركمين صحراء» شمال إيران حيث صور تقاليد وعادات التركمان بحذافيرها، على أن مضامين قصصه لم تتوقف عند هذا الحد إنما اتسعت لتشمل الحياة المدنية أيضا. ومن أعماله يمكن الإشارة إلى «بيت الليل» (١٩٦٢)، و«الأماكن العامة» (١٩٦٦)، «المدينة التي أحببتها مرة أخرى» (١٩٧٠)، و«أسطورة المطر» (١٩٦٧). وصدرت له أعمال غير هذه آخرها روايته الضخمة في عدة أجزاء «نار بلا دخان» (١٩٩٣). وفي «ابن المشاغل» صور شخصية

رجل يعمل في مهن متعددة طلبا للرزق ولقمة العيش. وأعاد الكرة في «أبوالمشاغل». وإضافة إلى كتاباته القصصية عمل نادر إبراهيمي في الإخراج فكان له مسلسل تلفزيوني بعنوان «هامي وكامي» يتصل بقضية تربية الناشئة. ووضع عدة مسرحيات وسيناريوهات ومقالات في النقد الأدبي، بالإضافة إلى كتاب حول الحوار القصصي للأطفال.

السيدة سيمين دانشور استاذة الفن وعلم الجمال في الجامعات الإيرانية وزوجة الأديب الراحل جلال آل أحمد دخلت عالم القصة بإصدارها «النار المطفأة» (١٩٤٨) التي ينبغي أن تعد من محاولاتها الأولى في مضمار الكتابة القصصية. إلا أن مجموعتها القصصية «مدينة كالجنة» (١٩٦١) بشرت بكاتبة سافر قلمها من طور التجربة إلى مرحلة النضج، وازداد هذا القلم نضجا في رواية «سووشون» (بوح النواح) عام (١٩٦٩) التي أضافت للأدب القصصي الإيراني عملا لا يبارح الذاكرة. صورت دانشور في هذه الرواية حياة عائلة شيرازية بكل ما لها من عادات وتقاليد وثقافة في ذروة الحرب العالمية الثانية. وصدرت لها في العام ١٩٧٩م مجموعة قصصية بعنوان «على من أُلقي التحية؟» عالجت فيها واقع المرأة الإيرانية كما سبق أن فعلت في «مدينة كالجنة». وقد عرضت في مجموعتها هذه ملامح المرأة الإيرانية وهي تقف قبال تحولات المجتمع. يعد الأسلوب النثري للسيدة دانشور

ناضجا وملاصقا للغة الدارجة عند الناس العاديين. روايتها الأخيرة «جزيرة الضياع» (١٩٩٣) ضبطت فيها طريققتها الكتابية وبلغت في ذلك شأوا مميزا. في هذه الرواية التي دخلتها الكاتبة نفسها باسمها وهويتها الحقيقية نطالع صورا للحياة الاجتماعية - السياسية عند أنماط وشرائح معينة من المجتمع في زمن ما قبل الثورة (لا سيما الشريحة الجامعية) وما عانته من فقر ثقافي وفكري.

قدمت دانشور في «جزيرة الضياع» مناخات حياتية حالكة وضاغطة، وصورت مراحل نضج الطبقة المتوسطة ومن ثم تراجعها وأفولها معتبرة كل ذلك جزيرة الضياع. ونقلت إلى الفارسية قصصا لقاصين من شتى بلدان العالم منها «الجندي الشوكولاتي» لبرنارد شو، و«الأعداء» و«حديقة الكرز» لتشيوخوف، و«أنينك أيها الوطن» لآلن بيتون، و«وصمة العار» لنانايل هاثورن، و«الكوميديا الإنسانية» لوليام سارويان، و«مع الشمس» و«شهر غسل شمس» لكتاب وقاصين من مختلف أصقاع الأرض. وأصدرت بالاشتراك مع زوجها جلال آل أحمد «الأربعون ببغاء». وصدر لها كذلك في اختصاصها الأكاديمي (أي الفن) كتابا «دليل المشغولات الإيرانية» و«روائع السجاد الإيراني».

ولج إسماعيل فصيح دنيا الكتابة القصصية في عائلة آريان التي تكررت بعد ذلك في معظم قصصه وفيما يرتبط

بالأحداث المعاصرة. في سنة ١٩٦٥م أصدر رواية «النبيد الخام» التي عكس فيها ضربا من القلق والاضطراب البوليسي. وكانت «توبة الأهل» (١٩٧٠) عمله القصصي الثاني مهد به لرواية «القلب الأعمى» (١٩٧٣) التي ناقش فيها ماهية القدرة الاقتصادية وتنامي طبقة التجار على أرضية التحولات الاجتماعية. من كتاباته الأخرى «لقاء في الهند» (١٩٧٤)، و«العقد وقصص أخرى» (١٩٧٨). اشتهر فصيح بروايته «ثريا في الإغماء» التي صور فيها واقع الإيرانيين المغتربين في الخارج من منظار عائلة آريان أيضا. وتطرق في روايته «شتاء ٨٤» إلى قضايا الحرب العراقية الإيرانية. من رواياته الأخرى «القصة الخالدة»، و«النسر وطيور البوم» (١٩٩٠)، و«آلام سياوش» (١٩٨٦) التي أبدى فيها خيالا ثرا متألقا. ومن أعماله الأخرى «رموز السهل المضطرب» و«مختارات قصصية» التي صدرت في العام ١٩٩٠. في «رموز السهل المضطرب» تطرق إلى تجاذبات المجتمع الإيراني خلف الخطوط الأمامية للحرب المفروضة.

وهنا لابد من الإشارة إلى كاتب تخصص في أدب الأطفال والأحداث، إلا أن حياته وكتاباته تركت بصماتها الواضحة على طائفة من القاصين الإيرانيين. إنه صمد بهرنكي المنتمي إلى إقليم آذربايجان الإيراني والذي زاول التعليم في قرى تلك النواحي. كان لكتاباته القصصية

منحاهما التريوي، أي أنه وضع معظم قصصه لطلابه حتى يفتح أعينهم وآذانهم على مجريات الأحداث التي تحيط بهم. شُغف بهرنكي بالفلكلور والأدب المحلي الأذربايجاني واقتبس منه أغلب مضامين قصصه. وامتاز بنثر مبسط بعيد عن التكلف والتعقيد ممكن الفهم من قبل أغلبية الأطفال والأحداث. كتب بهرنكي قصة «السمة الصغيرة السوداء» بأسلوب رمزي قصد منه تصوير الصمود الشجاع بوجه القوة والغطرسة والجور. وفي مجموعته القصصية «تلخون» أيضا استلهم الأدب الشعبي العامي، وانحاز عموما إلى الواقعية الاجتماعية. وبالإضافة إلى الكتابة القصصية اهتم أيضا بالنقد الأدبي، فألف كتب «تنقيبات في القضايا التريوية بإيران» و«أساطير آذربيجان» في مجلدين، كما ترجم مجموعة قصصية لعزيز نسين بعنوان «نحن الحمير». مات بهرنكي سنة ١٩٦٨م غرقا في نهر أرس شمال إيران.

ولا نذيع سرا إذا قلنا إن هناك العديد من كتاب القصة الذين ساهموا في اكتمال بانوراما الأدب القصصي الإيراني، لا يسنح المجال للمتطرق إليهم وإلى أعمالهم في هذا الموجز، وعلى هذا الأساس نكتفي بالقول إن القصة الإيرانية كانت ومازالت تواكب أحداث المجتمع وهي العين الناضرة والعقل البصير، والتاريخ الحقيقي لآمال وآلام مجتمعنا، ونكتفي هنا بتعريب نماذج منها.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أعرب عن فائق تقديري واعتزازي للسيدات والسادة الأدباء الأفاضل الذين كان لهم الفضل في إنجاز هذا العمل والمساهمة في تعريبه وإبرازه بالمظهر اللائق وهم: حيدر نجف، جمال كاظم، د.أمل إبراهيم، ماجدة علي ذو الفقار، محمد الأمين، محمد جواد علي، قاسم المحمودي، علي رضا خواجه بور وياسر زنكنه. والشكر موصول للأمانة العامة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في دولة الكويت لحرصها على التواصل الأدبي والفكري مع الحضارات العالمية والإنسانية.

المترجم

د. بهرام صادقي

Bahram Sadeqi

ولد هذا القاص عام ١٩٣٦ في مدينة نجف آباد التابعة لمحافظة أصفهان وأكمل دراسته الثانوية فيها. حظ رحاله في طهران ليدرس في كلية الطب ويتخرج طبيباً. كتب صادقي أشهر قصصه بين سني العشرين والثلاثين من العمر وتلكاً بعدها في الكتابة إلى أن اعتزلها. لم ينشر هذا القاص سوى كتابين ومع هذا اعتبره النقاد أكبر كاتب قصة قصيرة وصاحب أسلوب قصصي مميز في إيران.

تتميز قصص هذا الكاتب بالطابع النفسي وتعالج مواضيع تخص الحالات الروحية للإنسان المعاصر المنفي إلى جسد المدن الصاخبة. توفي صادقي في العام ١٩٨٢ وهو لم يتجاوز الثامنة والأربعين من العمر. عنوان كتابيه هما الملكوت (رواية) والمواقع والزمزميات العطشى.

المصور

شيء غير مرئي يشبه اليد، لا أراه إلا أنني أحس به
وأدركه، يدفعني ذات اليمين وذات الشمال.
انظر إليّ، ارفع رأسك قليلا، ارخ حاجبيك، ابتسم، وجه
نظراتك إلى عدسة الكاميرا. سأعدّ إلى الرقم ثلاثة، انتبه،
لا تتحرك كي لا تشوه الصورة، جاهز؛ واحد، اثنين، ثلاثة...
بعد ليلتين، كان يرتقي سلالم الأستوديو كي يتسلم صورته.
ممسكا بيده الوصل الذي تسلمه من المصور. تذكر كيف أن
المصور سألته قبل ليلتين:

- اسم جنابك؟

فذكر له اسمه.

- القياس الطبيعي؟ في ٦، وهل تلزمك صورة بقياس بطاقات

المعايدة؟

فأجابه:

- واحدة... كنموذج.

- إذن غدا مساء ستكون جاهزة... الساعة الثامنة.

وقبل أن يفتح الباب نظر إلى ساعته، كانت تشير إلى أن

الوقت تجاوز الثامنة، تمتم في نفسه:

- الآن ستكون جاهزة حتما.

مساعد المصور الذي كان جالسا خلف طاولة المكتب، وقف

مرحبا به. وبعد أن رد على سلامه جلس على أحد الكراسي

ونظر إلى العامل الذي لا يعرفه، ثم قال:

- يبدوا أنه غير موجود؟

- كلا، كلا.. كان هنا قبل قليل.

- هذا الوصل...

أخرج الوصل من جيبه ووضعه على الطاولة، نظر مساعد المصور إلى الوصل وهز رأسه باحترام قائلاً: بالضبط يا سيدي، إن موعدك الليلة... ولكن عليك أن تنتظر قليلاً، سيعود قريباً.

أراد أن يجيبه «وراءنا عمل ومشاغل الحياة» غير أنه اكتفى بالقول «عمل ومشاغل الحياة» ثم استرخى على الكرسي. كان العامل يدرك أنه ترك عمله وحياته ليأتي ويستلم الصورة وقد انزعج حينما رأى أن المصور غير موجود. ليس في يده حيلة وليس أمامه سوى أن يشغل نفسه بتصفح الألبوم الملقى أمامه... ثم سأل المساعد:

- ألا يأتي؟

- لماذا، سوف يأتي؟ الساعة...

بعد ذلك التفت لمشاهدة الصور المعلقة على الحائط.

بعد مرور ربع الساعة، وصل المصور والذي بدأ بالحديث ولما يصل:

- أهلاً وسهلاً، مرحباً بك يا سيدي.

ثم وجه كلامه إلى معاونيه:

- هل وصل السيد منذ وقت بعيد؟ ثم قال له ستستلم صورك حالاً.

نهض المصور من كرسيه وتوجّه نحو الطاولة واضعاً يديه على

حافتها . أخرج المصور الصور من ورشته .

- هذه الصور أليست كذلك؟ نعم هي بذاتها .

مدّ يده وأخذ الصور . لاحظها قليلا وقال :

- ليست هي . لقد أخطأت .

- كيف؟ ماذا تفضلت؟

- لقد أخطأت، فأنا من دون شارب، وصاحب هذه الصور

بشارب... كما أنني لا أضع قبعة على رأسي .

تناول المصور الصور بسرعة، نظر إليها بتمعن ثم نظر إلى

الرجل وقال :

- عجيب... ولكنه يشبهك تماما .

- يشبه؟ يشبه؟ ماذا بمقدوري أن أقول؟ إنه أمر لا يمكنني

أن أفهمه .

انتابت المصور الحيرة برهة من الوقت، وكان معاونه قد

ترك المكان منذ مدة، (فلم يكن يدري ما عليه أن يعمل،

فوجد أن من الأفضل له الخروج) . دخل المصور الورشة ثم

أخرج حزمة من الصور . نشرها على الطاولة وخلال بحثه كان

يتمتم :

- ليست هذه .

إنها صورة بنت .

- وهذه كذلك . ليست هي .

فهي تعود لامرأة .

وهذه أيضا . لأنها تعود لطفل .

- هذه؟

نظر إلى الصورة . ثم نظر اليه :

- هذه تشبهك جدا . إلا أنه ليس لديه شارب ...

اقترب منه ثم قال :

- دعني أر... ليس لديه قبعة ...

ثم أضاف : «يشبهك جدا» ماذا يعني ذلك؟ كيف لي أن أعرف

أن هذه الصورة تعود لي؟ فأني لا أرى وجهي ولا أذكر كيف هو .

ألا تملكون ترتيبا ونظاما كي لا تختلط الصور مع بعضها؟ ألا

تضعون أرقاما عليها؟

- نعم... نحن نضع أرقاما لها ، ولدينا نظام وترتيب ولكن

ما الذي بوسعنا عمله مع المبتدئين . فمعاوني سبب لي كل هذه

الإشكالات ، فقد خلط الصور مع بعضها . فمثلا لاحظ ، توجد

ثلاث مجاميع من الصور تحمل رقم و صلك . يالحظي السيئ؛ في

نهاية عمري يكون نصيبي مثل هذا المعاون ، كأنه قادم من خلف

الجبال ... لا يتعلم ولا يستوعب الأمور بيسر .

- ولكن ما مصيري؟ وإلى متى عليّ البقاء هنا أيها المصور؟

بحث المصور مجددا في مجاميع الصور المتناثرة أمامه .

- وهذه أيضا ليست صورك . هي صورة لأحد الأبنية

التاريخية .

- آه... إنها هي بعينها .

وبعد أن التقط الصورة منه قال :

- كيف تقول إنها هي؟ لا يوجد شيء فيها يشبهني . هل كانت

سترتي بهذا الشكل؟

وبعد أن نفذ صبره جلس المصور ثم قال :

- لم يعد الأمر يتعلق بنا، قد تكون هذه ملابسك هي التي
جئت بها إلينا قبل يومين، واليوم ارتديت غيرها.
- مستحيل.

نهض المصور من جديد. وبعد أن رفع كتفيه قال:
- لم يعد لدينا صور أخرى غيرها، فهي إحدى هذه الصور...
- أما الزيون فكان يواصل الضغط على أسنانه. وبعد أن
هدأ قليلاً. قال: إنها ليست صورتي. عددها ٦ وحجمها ٤ في
٦ ومعها صورة بحجم بطاقة معايدة. لقد تسلمت ثمنها وعليك
أن تسلمها لي.

أما المصور فقد وضع أمامه ثلاث مجاميع من الصور.
- إنها لك يا سيدي، هدية لك، ولا داعي للغضب. والله أنا
نفسي لم أعد أفهم ما يجري. فالأشكال الثلاثة تعود لك، الأولى
بالشارب والقبعة والثانية بالشارب بلا قبعة والثالثة بلا شارب
ولا قبعة. فانتخب منها ما تحب.

- ما أحب؟ وما علاقة الحب؟ أيها السيد المحترم؛ أيها المصور إما
إنك قد فقدت عقلك أو أنك تسخر مني ألا تعمل من أجل أن تعيش،
ألم يكن لديك زبائن؟ ألا تريد أن يكون لك شغل وحياة؟ قل لي بربك؛
في أي مكان من هذا العالم عندما يذهب المرء لتسلم صورته، يضعون
أمامه ثلاثة أنواع من الصور، ويسخرون منه بالقول؛ إنها جميعها
تعود له وعليه أن يختار ما يحب؟ قبل يومين التقطت لي صورة، هل
كنت أعمى؟ لم يكن لي شارب ولا قبعة ولم تكن سترتي بهذا الشكل.
طفح الكيل بالمصور، بدأ يفرك يديه وحاول أن يضبط أعصابه
وأجاب بهدوء وتأن:

- هذا صحيح تماما . كلام منطقي أتفق معك تماما . أقسم لك بأن كل ذلك سببه المعاون المخرف الأحمق الذي خلط الأرقام، وإلا كنت قد سلمتك الصور من دون أي تأخير ومن دون الحاجة إلى كل هذا الجدال ولكنني في الوقت ذاته متعجب من أمر هذه الصور الثلاث التي تشبهك تماما . كأنها أنت نفسك . ولم أعد أعرف هل تعود لك، أم إلى شخص آخر يشبهك... ولا أدري أين صورتك الأصلية.. أين تكون... ولكن كيف لك ألا تميّز ملامحك؟

- وهل تميّزها أنت حتى أميّزها أنا؟
- لم لا أميّز؟! بمقدورك أن تعرض علي أي صورة لي لأي زمان كان، سأقول لك فورا إن كانت تعود لي، أم لا... أنا مستغرب..
- أنت مستغرب؟ وهل من الضروري أن يميّز الناس جميعا صورهم؟ أنت مصور وهذا عملك. أي دجاجة يمكنها أن تميّز بيضها؟ هكذا يخدعون الناس... يشغلونهم لعدة أيام ويعطلونهم عن أعمالهم وشؤون حياتهم، بعدها يجيبون عليهم بمثل هذه الإجابات.

كاد المصور أن يجهش بالبكاء. أخرج مرآة من جيبه وقدمها له قائلاً:

- هذا العمل ليس صعبا . انظر، انظر هل تشبه الصور، أم لا؟ أمسك المرأة ونظر فيها، وهو ممسك بالمرآة جلس على الكرسي وبدأ يتمتم بمرارة.
فجأة أعاد المرأة إلى المصور ثم أمسك رأسه بيديه ضاغطا عليه.

سأل المصور بهدوء:

- أرايت؟

نهض وتقدم من الطاولة، تناول الصور بيديه ونظر إليها ثم أعطاها للمصور.

قال المصور:

إن جلست قليلا فسيأتي أصحاب الصور جميعهم. ولن يكون الأمر سيئا إن تعرفت على من يحمل ملامحك ذاتها.
ذهب نحو الباب قائلاً:

- كل هذا احتيال، أي صورة هذه! الصور لا تعود لي ولا أحد يدري ما الذي حل بصوري الحقيقية. من المحتمل ألا يكون قد التقط لي صورة أصلاً. وبالبؤسكم على مثل هذه الصور التي تلتقطونها. وبعد أن أصبح خارج الاستوديو كان المصور يدور في الغرفة كالمجانين.

يا إلهي، سيدفعني ذلك إلى الجنون، كيف لم يعرف نفسه؟ وكيف أن الصور كانت جميعها تشبهه؟ كنت على وشك أن أرمي بنفسي من النافذة إلى الأسفل.
دخل معاونه.

- هل أخذ الرجل صورته؟ لقد شاهدته يدخل الاستوديو المجاور.

إسماعيل فصيح Esmaeel Fasih

ولد القاص والروائي والمترجم إسماعيل فصيح في العام ١٩٣٤ في العاصمة طهران. أكمل دراسته الجامعية وتوظف في قسم التعليم بالشركة الوطنية للنفط. أحيل على التقاعد بعد حوالي عقدين من العمل في جنوب البلاد. كتب رواياته التي تدور أحداثها في أزقة طهران العاصمة التي عاش طفولته فيها وقد تأثر أيضا بأجواء الجنوب الإيراني الذي كان يعمل ويعيش فيه. مع اشتعال فتيل الحرب العراقية - الإيرانية عاد إلى طهران وسكن فيها إلى أن وافاه الأجل في ٢٠٠٩.

أصدر هذا الكاتب الذي يعتبر من الأسماء المقروءة في المجتمع الإيراني روايات ومجاميع قصصية ترجم بعضها إلى اللغات العالمية ومنها العربية. من أعماله «الخمير الذي لم يختمر»، و«قصة جاويد»، و«ثريا في الإغماء»، و«آلام سياوش»، و«شتاء ٨٣».

إعانة

اعترض طريقها الحارس الصغير الذي كان يقف عند الباب:
إلى أين تريدان الذهاب أيتها الحاجة؟
قالت المرأة: «أريد أن ألتقي الحاج سنجري». كانت ذات لهجة
خفيفة أصفهانية أو ربما لهجة أهالي مدينة قمشة (ضواحي
اصفهان).

«هل حددت موعداً من قبل لهذا اللقاء؟»
نعم، لقد اتصلت هاتفياً أمس واليوم أيضاً، وحدد لي الأخ
السكرتير الموعد في تمام العاشرة صباحاً.
كانت المرأة شابة في الثلاثينيات أو الأربعينيات من العمر
وكانت ترتدي تحت العباءة السوداء خماراً يحجب شعر
رأسها بشكل تام، ولكن من تحت عباؤها كان يظهر أنفها
الجميل وعيناها البنيتان الهادئتان وسط وجهها الأبيض
الممتلئ.

من دون أن يلقي عليها نظرة ثانية، قال لها الحارس الشاب:
تفضلي أختي المحترمة، بعد أن تصعدي ذاك الدرج خذي الجانب
الأيسر.

قطعت المرأة الشابة الباحة الكبيرة نسبياً بخطى قصيرة
وبهدوء وتأن، كانت تتنعل حذاء مهترئاً وترتدي جوارب سوداء.
مكثت عند بداية السلم وألقت نظرة إلى الأعلى ثم تنهدت.
نظرت إلى الناس المراجعين القلائل الذين كانوا يتنقلون إلى
هذا الجانب وذاك.

همهمت في نفسها: «يا الله» وصعدت السلالم، كان قلبها يخفق بشدة، إذ إن الأمر الذي جاءت من أجله والعمل الذي كانت تريد أن تعمله يتطلبان الشجاعة. سارت نحو المكتب بهدوء وفتحت الباب.

كانت الغرفة المخصصة لمسؤول مكتب الحاج في منتهى البساطة وشبه فارغة، إلا من طاولة وهاتف وكروسي أو كرسيين، وصورة صغيرة للإمام الخميني نصبت على الجدار إلى جوار أربعة أو خمسة بوسترات للشهداء والمعاقين، وهي بوسترات يمكن مشاهدتها على كل جدران البناية، ولكنها تبدو هنا كأنها جزء أساسي من البناء.

شاب نحيف بلحية خفيفة ومسرحة كان جالسا خلف الطاولة، رفع رأسه وألقى نظرة على المرأة التي دخلت للتو قائلاً:
- نعم أختي، ما قضيتك؟

قالت المرأة: أنا زوجة السيد عباس حسيني، لقد اتصلت هاتفياً وحصلت على موعد للقاء الحاج.

- ما الموضوع الذي تريدان متابعته وفقك الله وأيدك؟

- لي موضوع يتعلق بزواجي المرحوم.

- السيدة حسيني، أرجو أن تطرحي عليّ الموضوع، صحيح أن السيد وافق على موعد اللقاء ولكن ليس لديه الكثير من الوقت، وصحته ليست على ما يرام، لذا ربما استطعت أن أساعدك في الموضوع الذي جئت من أجله، وبذلك لا نأخذ أوقات الحاج.

- إن لم يكن في الأمر ازعاج فأرجوك أن تسمح بعرض قضيتي على السيد مباشرة وسيجزيك الله خير الجزاء، فالموضوع مهم

لي ولأطفالي، جزاك الله خيرا.

رتبت عباؤها وفي الوقت نفسه أظهرت جسدها الصغير لكن الممتلئ وقد ارتدت ثوبا طويلا وجوريا أسود لتظهر أنها لا تحمل أسلحة وغير متحايلة، إلا أن مسؤول المكتب لم يلق نظرة عليها، نهض من مكانه وفتح بابا، ثم دخل إلى الغرفة المجاورة وعاد إلى المرأة الشابة بعد لحظات قائلا لها:

- تفضلي يا أختاه، لقد وافق الحاج على لقاءك وفقك الله، لا تتأخري كثيرا رجاء.

- بكل سرور، بارك الله فيك يا أخي.

نزعنا نعلينا ودخلت الغرفة. كانت غرفة كبيرة تتوسطها سجادة تبريزية كبيرة لا تبدو ثمينة، عند الحائط يتكئ الحاج على وسادة قديمة باهتة الألوان، وكانت خلفه وسادتان وإلى جواره جهاز هاتف أخضر وعدد من الكتب. ألقت المرأة التحية الحارة وجلست على الأرض قريبا من الباب ومقابل الجدار.

جميع أهالي الحي يعرفون الحاج سنجري، من سكان الشوارع الجنوبية لساحة قزوين إلى ساحة الجمارك وأهالي شارع مولوي وشارع نواب صفوي، ويعرفون أنه صار مؤخرا مسؤولا مؤقتا لمكتب «إعانات ومساعدات الحرب المفروضة» لجنوب طهران، وهو من رجال الدين القدماء والمعروفين في المنطقة. يقع منزله البسيط والمتواضع على بعد مسافة من المكتب، أي في زقاق الحاج عبد المحمود، وقد وافق على قبول هذه الوظيفة برجاء ونيابة عن أحد رجال الدين ممن لديهم مسؤوليات عديدة حاليا والذي ذهب الآن إلى مكة المكرمة.

والحاج سنجري في الخمسين من عمره، ذو وجه أبيض ونظيف ولحية بيضاء قصيرة، له إيقاع بطيء يدل على الوقار، ومنذ سنوات وهو يقدم لأهالي الحي خدمات اجتماعية مثل قراءة عقد الزواج وقراءة المراثي والتعازي الحسينية ومجالس التأبين وما شابه ذلك من أعمال يليها استجابة لدعوة أهالي الحي.. وأيضا كان الحاج سنجري يلبي طلبات الناس إن سنحت الفرصة له.

على الرغم من ميله الشديد إلى العزلة والوحدة، إلا أنه يتمتع بشخصية قوية. حياته أقرب إلى حياة الدراويش، ويحب المزاح والبساطة من جهة، كان يعتبر طيبا ورحيما وأميناً. كان رجلا هادئا يواصل قطع المسافات مشيا على الأقدام. كان مثابرا على المطالعة ومثل أغلب عشاق المطالعة في إيران يحب العرفان والتصوف ومن المعجبين بقصائد الشاعر الشهير حافظ الشيرازي، وكان ينظم الغزل بين حين وآخر في العشق وصفاء المحبوب ويقراه على الآخرين، كما أنه اختار عمل وحياة علماء الدين من باب الحفاظ على مسيرة والده في تحصيل العلوم الدينية، إذ كان والده من كبار الشخصيات الدينية ومن أصحاب العلماء المعروفين للثورة الدستورية. ولأن سنجري كان من العناصر التبريزي التركي فكان أبيض وأحمر اللون ونشيطا ومن المحبين للملذات المشروعة في الحياة.

ان الإشراف على مكتب التعبئة (*) في المحلة التابع للجنة إسناد الدفاع المقدس هو إحدى وظائف الحاج هاشم سنجري.

(*) التعبئة: قوات ميليشيا شعبية كان لها الدور الكبير في الدفاع عن المدن الإيرانية إبان الحرب التي شنها نظام صدام حسين ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية في العام ١٩٨٠.

وهي مسؤولية كبيرة ومرهقة، إذ كان الحاج يستقبل المراجعين وكان يشتغل في مكتب التعبئة وتسلم الإعانات حوالي مائة وخمسين موظفا يتقاضون الرواتب، والعديد منهم يحمل شهادة البكالوريوس في الإدارة والمحاسبة. لم يكن الحاج سنجري بارعا في مجال الاقتصاد والأمور المالية، مع ذلك كان عليه أن يصادق على كشوفات الحسابات المالية بشكل يومي، وأن يوقع على جميع الوثائق المالية، وهي إما تحفظ في خزانة حديدية في المكتب أو ترسل إلى البنك. لم ترق هذه الأعمال الأخيرة كثيرا لسنجري وكان يدعو الله أن يعود صديقه رجل الدين الذي سافر إلى الحج بسرعة وأن يعود هو إلى عالمه بين الكتب والحياة الصوفية التي ألفها وأعتاد عليها وأحيانا قراءة التعزية والتأبين أو مراسم عقد الزواج.

رفع رأسه من الكتاب، بعد ثوان من تحية المرأة التي وفدت إلى الغرفة للتو، ألقى عليها نظرة سريعة، رد على تحيتها وقال لها: ما الغرض من مراجعتك، أختي المحترمة؟

سعلت المرأة وسلمت واستجمعت قواها وقالت متأهبة: ما جئت من أجله ليس قضية واحدة، أو قضيتين سيدي، ولكن عليّ ألا آخذ الكثير من وقتكم، وأنتم مشغولون بأمور مهمة عديدة وليس من الإنصاف أن أضيف عليكم ما يتعبكم.

قال الحاج سنجري: تفضلي واطرحي قضيتك، أخبرني السيد أكبري أن الأمر يتعلق بزواجك المرحوم.

- نعم سيدي، في الحقيقة أنا زوجة المتوفى السيد عباس حسيني الذي فارق الحياة قبل ثلاثة أشهر، وقد قام أخوه السيد

ماشاء الله حسيني بالتبرع بإرث زوجي السيد عباس والبالغ مائة وخمسة عشر ألف تومان للتعبئة والإعانات، وهو يقول إنما فعل ذلك تنفيذاً لوصية زوجي السيد عباس، والحقيقة هي أن زوجي المرحوم لم يترك وصية كهذه أبداً، ولا يمكن أن يترك مثل هذه الوصية مع وجود زوجة شابة مستحقة للمساعدة بسبب وضعها المالي الصعب مع وجود طفلين يتيمين.

- أين كان يقيم زوجك يا أختي وما كانت مهنته؟

- زوجي المرحوم كان بائعاً متجولاً، وغالباً ما كان يعرض بضاعته إلى جوار محل الحاج يد الله لبيع الخضراوات، وكان يبيع السجائر والعلكة والقرطاسيات وأشياء من هذا القبيل، كان رجلاً متديناً، مواظباً على أداء الصلاة. كان جوهرة. بعد وفاته أخبرنا أخوه السيد ماشاء الله أنه أوصى بأن تعطى أمواله كلها للمسجد وتعبئة المستضعفين، وليتوفاه الله برحمته الواسعة كان يجب أن يساعد مجاهدي الجبهة وكان يحترم المقدسات، ولكن ماذا بالنسبة لزوجته وطفليها، هل يرضى الله أن يذهب إرثه لغيرهم وهم في أشد الحاجة إليه، هل من المعقول أن يعيش ابنه بلا ملابس وبلا طعام ويذهب إلى المدرسة وهما في حالة يرثى لها؟ هل عليّ أن أستجدي، وأن أراجع رجال دين محترمين وأزعجهم لأطلب المساعدة؟ لا أعرف إن كان ما فعله زوجي صحيحاً وإن كان يوافق الشرع؟ أنا لا ألوم أخاه على التبرع بالأموال لمكتبكم، ولا أرغب في أن آخذ من وقتكم الثمين، ولكن أقول إن في الدنيا مثلما في الآخرة حساباً للأموال.

قال الحاج سنجري: مهلا يا أختي المحترمة، ثم رجّع عمامته قليلا إلى الوراء فظهر بعض شعر رأسه الرمادي الكثيف وقال لها: احكي لي الحكاية من جديد. هل تريدان أن تقولي إن حماك قد تبرع للتعبئة بمائة وخمسة عشر ألف تومان وترككم أنت وطفلين في المدرسة من دون مرتب يومي؟

فجأة أجهشت المرأة بالبكاء، ورتبت عباءتها ومسحت بطرفها دموعها. لم يطق الحاج سنجري منظر امرأة متحجبة بعباءة سوداء وهي تهتز إثر البكاء في مكتبه. رفع سماعة الهاتف وضغط على أحد الأزرار. بعد ثوان حضر مسؤول مكتبه فقال له: رجاء يا سيد أكبري أحضر ملف زوج هذه السيدة وإعانة حماها. راجعوا الملفات جيدا، وحاولوا أن تحضروا لي كل وثيقة لها علاقة بالأمر. يهمني أن أعرف التفاصيل، متى تم التبرع وكيف تم ومن وافق على الاستلام؟

قال السيد أكبري: نعم، يا سيدي الحاج. ثم طرح على المرأة الشابة أسئلة بخصوص الاسم الأول واسم العائلة وتاريخ الإعانة ومبلغها ثم خرج لمتابعة الملف وخلفيته.

قال الحاج سنجري للمرأة: عذرا يا أختي، أين تسكنين الآن؟ وما هي مهنتك؟

قالت المرأة: مازلنا نعيش مستأجرين في غرفة صغيرة، وقد تأخرنا خمسة أشهر عن دفع الإيجار، وإن أحد أطفالي ترك الدراسة وابنتي الصغيرة عمرها ستة أعوام وهي مصابة منذ فترة بالأنفلونزا وقد أخذت من جارتني السيدة صديقة عدة حبات أسبرين وحبّة لوجع البلعوم.

صارت تنظر باطمئنان إلى عيني الحاج سنجري مباشرة.

سألها الحاج سنجري: كم عمر ابنك وماذا يعمل؟

- سبعة أعوام، وأنا عمري ثلاثة وثلاثين عاما .

رجعت ونظرت إلى الحاج ورتبت عباؤها من جديد وأضافت:
ذات يوم رأيت ابني جالسا في بداية الزقاق ويستجدي من المارة،
أردت أن أضربه. صحيح أن الظروف في هذه الأيام صعبة وأن
أبناء الناس يستشهدون ويصابون بالإعاقة، ولكن ما ذنب طفليّ
الصغيرين؟ أقسم لك ياسيدي أن عائلتي من العوائل المحترمة
في مدينة نجف آباد(*)

، وإن سوء الحظ هو الذي جرنا للعيش في هذه المدينة.
وحيثما كان الحاج سنجري مطأطأ برأسه ومنشغلا بالتسبيح،
انقبض قلبه. نظر إلى المرأة الشابة بطرف عينه وقال: نعم أعلم
يا ابنتي العزيزة، فحافظ الشيرازي يقول: لم نأت إلى هذا الباب
طلبا للجاء والمقام، إنما بسبب سوء الحادثة التجأنا إلى هنا. لا
تقلقي بمشيئة الله سوف تتحسن الأمور.

رفعت المرأة رأسها وقالت بتأوه: أنت إنسان طيب وظاهر ونزيه،
أنت إنسان ذو مشاعر، وتتفهم ظروف فيك الخير والبركة، تمنيت أن
أكون مكسورة الساقين ولم آت لأشغلك عن مطالعتك واستراحتك». قال
الحاج سنجري: لا تغتمي يابنتي، فسوف نضع حدا
لقضيتك، وتكون الأمور على أحسن ما يرام.

دخل السيد أكبري الغرفة حاملا ملفا سميكا وجلس إلى
جوار الحاج سنجري. وصار يتحدث معه بصوت منخفض.

(*) مدينة نجف آباد، من المدن الصغيرة التي تقع في محافظة أصفهان.

وبعد أن ورّق عدة صفحات، أكد أن السيد ماشاء الله حسيني الذي يعمل عاملاً في مخبز يقع في بداية زقاق ميرزائي وهو أخو المرحوم عباس حسيني قد جاء إلى مكتب التعبئة قبل ستة شهور وتبرع بإرث أخيه المتوفى السيد عباس حسيني لمكتب تعبئة المحلة طبقاً لوصية المرحوم، بمبلغ مقداره مائة وخمسة عشر ألف ومائتان وخمس وسبعون توماناً وقد تم تسلم المبلغ عبر حوالة مصرفية تم تأييد صحتها. لم تكن تسمع المرأة كل حديثهما، ولكنها فهمت محاور الحديث إجمالاً، اطمأنت قليلاً من دون أن تتخفّض سرعة دقات قلبها، وأثناء حوار الرجلين رفعت رأسها قليلاً وألقت نظرة على أرجاء الغرفة. في انتهاء الغرفة كان هناك باب يفتح على غرفة نوم تضم سريراً ربما كان مخصصاً لأوقات استراحة السيد سنجري. جلست المرأة الشابة مشوشة البال.

قبل أن يعود السيد أكبري إلى مكتبه، سأله السيد سنجري بصوت منخفض: هل هناك مبالغ نقدية بمقدار كاف في الخزانة؟ وأجاب أكبري بإيماءة مفهومة بالإيجاب. قالت المرأة: اعدزني سيدي فلم أجلب بطاقة الأحوال المدنية معي، في الحقيقة قدمتها لإدارة النفوس لتغيير الصورة ولم يعيدوها إليّ بعد.

قال الحاج سنجري: لا أهمية لذلك، أعانك الله. تنفست المرأة الصعداء وقالت: جزاكم الله خيراً آلاف المرات. أنت رجل صالح تتفهم ظروف النساء، ليس جميع الرجال يدركون قضايا النساء، خصوصاً قضايا النساء الشابات الأرامل

الوحيادات. فلا رجل يعيلهن، فليشملهن الله سبحانه وتعالى بلطفه ورحمته.

ومسحت عينيها بمنديل صغير. على الرغم من ارتدائها ثوبا أسود اللون ذا أكمام طويلة فقد تراءت يدها البيضاء المكتتزة. نظر الحاج سنجري إلى الساعة الجدارية وكانت تشير إلى الحادية عشرة إلا الربع، قال لها: لا تغتمي يابنتي، سوف تزول جميع المشاكل، أنا أعرف حماك السيد ماشاء الله، إنه رجل مؤمن ومطيع لله، وقد قام بهذا العمل بدافع الإيمان والإخلاص، ووفاء لروح أخيه المرحوم والتزاما بوصيته، ولكن أنت أولى بهذه الأموال يبدو أنه لا توجد وصية خطية ولا ينبغي أن يحتفظ بها هنا. فقد قالت الحكمة إن المصباح الذي يحتاجه البيت يحرم التبرع به للجامع، لقد أمرت بتسديد المبلغ لك وعندما تتسلمينه أعطي وصلا.

قالت المرأة: أرجو من الله أن يوفقك دائما. أنت رجل شهم، ليتني كنت أستطيع أن أقبل يدكم، أن أقبل قدمكم. لا أعرف كيف أعبر عن شكري لكم على كل هذا اللطف، أرجو أن يتفضل الله عليكم بالخير. قد أزعجتكم في أوقات استراحتكم.

في ذلك المساء، وبين صلاتي المغرب والعشاء، عندما كان الحاج سنجري منشغلا بقراءة الأدعية في زاوية من زوايا المسجد، فجأة رأى ماشاء الله عامل المخبز فتداه. تقدم ماشاء الله خان بجسمه النحيل وقامته المحدودة نحو الحاج سنجري ثم أمسك بيد الحاج سنجري وقبلها ووضعها على جبينه من باب الاحترام، ثم جلس القرفصاء مقابل الحاج سنجري.

قال الحاج سنجري: اليوم جاءت زوجة أخيك المرحوم إلى المكتب من أجل قضية مؤلمة.

قال ماشاء الله مستغفريا: ماذا؟

قال الحاج سنجري: على الرغم من التزامك الديني واحترامك لروح أخيك المرحوم، ما كان عليك أن تترك زوجته وأطفالها من دون تخصيص مبلغ لإمرار المعيشة.

قال ماشاء الله: ولكن يا سيدي الفاضل لقد أوصاني أخي وبحضور عدد من الناس... ولكن...

قال الحاج سنجري رافعا يده: فليتغمد الله سبحانه وتعالى جميع الموتى برحمته الواسعة. ولكن كما تقول الحكمة «إن المصباح الذي يحتاجه البيت، يحرم التبرع به للجامع». لقد أمرت بإعطاء مبلغ الإرث لأرملته المسكينة كي تسيّر أمورها وأموال أطفالها، وبهذا نأمل أن نكسب رضا الله.

شحب وجه ماشاء الله أكثر فأكثر، وكأن شخصا ما قد رفضه على رأسه من الخلف، قال: هل قلت إن زوجته هي التي جاءت إلى مكتبك، هل قلت إن زوجته...؟

نعم ولا أريد أن تتحدث في هذا الخصوص أصلا، فالأمر قد انتهى.

أراد ماشاء الله أن يكشف الحقيقة ويصرخ بأعلى صوته ويخبر السيد أن أخاه لم يكن قد تزوج قط، لكن الحاج سنجري رفع يده ليوصل التسبيح. في هذه الأثناء ارتفع صوت المؤذن: قد قامت الصلاة.

حسن فرهنگي Hasan Farhangi

ولد القاص والروائي حسن فرهنگي عام ١٩٧٠ في مدينة تبريز (شمال غرب إيران) ونشر باكورة أعماله الروائية وهو في التاسعة عشرة من عمره. انتقل في ١٩٩٣ إلى العاصمة طهران وبعد مدة وجيزة أثمرت جهوده في تأسيس بيت القصة الإيراني. من رواياته المطبوعة «النساء يضحكن مثل بعض» و«ليلي ذريعة الاضطراب» و«الكاتب لا يموت يمثل» و«مذكرات حب متسول» وقد حصلت بعض رواياته وقصصه على جوائز تقديرية. قصة «الجمال العزيزة» هي من أعماله غير المنشورة.

الجمال العزيزة

أتكلم عن نفسي أولا

اسمي حسين. لا أعلم من الذي أراد أن يكون اسمي حسينا. سألت عن ذلك عدة مرّات من أعيش معهم ولم أحصل على جواب مُقنع. على أية حال فاسمي حسين. لم أر أُمي حتى الآن وقد بلغت العشرين. قصة أُمي كالتالي: في يوم من الأيام ترى أُمي رجلا على جمل يمر من محلّتنا فتسأل الرجل عن ثمن ذلك الجمل، سمع أبي بالخبر فطلقها، حدث هذا ولم أبلغ من العمر إلا شهرا واحدا.

فتنازلت أُمي عني لأبي وذهبت تبحث عن مصيرها، ولأن أبي لم يستطع الاعتناء بي أعطاني لخالة له لم تكن تنجب أطفالا وهكذا أصبحت ابنا لهم. من ذلك الوقت وأنا كلما رأيت جَمَلا تذكرت أُمي. من حسن الحظ أنه من النادر هذه الأيام أن نجد جَمَلا في الشوارع والأزقة لذا فأنا لا أذكر أُمي إلا قليلا. كل عام في شهر محرم يأتي أحد المواكب الحسينية في أيام عاشوراء بعدة جمال فأذهب لمشاهدتها. انتحب باكيا إلى أن يأتيني أحدهم ويريت على كتفي قائلا كفى يا أخي أجرك على الله. فأبتعد عن المكان بذريعة ما كي لا يقع بصري على الجمال وإلا فلا أستطيع أن أتمالك نفسي عن البكاء. في إحدى المرّات عندما كنت أبكي وقع نظري على أحد الجمال وكان يبكي هو الآخر أيضا، فاعتلى صوت نشيجي أكثر فأكثر. كنا ننظر أحدهنا إلى الآخر ونبكي والناس في لطم ونياح. فضاع صوتي بين

أصوات النياح المرتفعة من ذلك الجمع الغفير ولم ينتبهوا إليّ إلا عندما يتوقف الموكب الحسينيّ عند أحد الأبواب ليشرب الناس العصائر المقدّمة أداءً للندور. عندها اتجاهل اخذ العصير من الطبق وأوصل بكائي فكان الناس يلتفتون إليّ وينظرون. في يوم من هذه الأيام قال لي أحدهم كفى بكاء يا أخي وقال الآخر تقبل الله منك كل هذه المواساة والدموع المنهمرة.

الآن سأتكلم عنك.

كنا قد عدنا فوراً من العرض إلى المنام. كان الجنود جميعهم قد ألقوا بأنفسهم على الأسرّة من شدة الارهاق والتعب وإذا بالمأمور يدخل. فقفز الشباب من على أسرّتهم واجتمعوا حوله وقرأ المأمور أسماءهم واحداً تلو الآخر. كلهم كانت لديهم رسائل إلا أنا. عندها شعرت أنني المرهق الوحيد بينهم. إذ إنهم بعد أن أتموا قراءة الرسائل شرعوا في تلميع أحذيتهم وقياس الأحزمة بمحازمهم وترتيب الأسرّة وما شابه ذلك.

أخذت حقيبتني وودعت شريكي. قال لي: إلى أين؟

قلت: سأهرب.

ظن إنني أمازحه. هويت عليه أقبلي، قال: هل جنت؟ أجبته: ستصدق بعد حين. كان قد وضع رسالته على السرير فقال لي وهو يرمقها: يا حمار! على الأقل كان من المفروض أن تجد لك صديقة حتى الآن كي تراسلك.

لم يقل شيئاً بعدها وشرع ثانية في قراءة الرسالة. كان المعسكر محاطاً بأبراج المراقبة من كل مكان. تسلقت بصعوبة الحائط الشرقي وقفزت إلى الجانب الآخر. كان من الممكن أن

يطلق الحارس عليّ النار لو انتبه لأمرى لكن لم يحصل ذلك.
ركبتي نزفت من الخدوش إثر انسحابها على الحائط. الموت هو
الأمر الوحيد الذي لم أكن أفكر فيه في تلك اللحظة. كنت أفكر
بك فحسب. لو كان في المعسكر ثمة جمال لهان الأمر عليّ. كنت
أذهب إليها وأبكي بقربها. لا أعلم لماذا كلما أرى جمالا أشعر
وكأني بقربك. لكن الجنود كانوا يقولون: إنهم لن يجلبوا الجمال
إلى المعسكر حتى في أيام عاشوراء. عندما كنت في المدينة لم
أكن اكثرث بالجمال ولكني في المعسكر وعندما كنت أرى المأمور
يأتي بالرسائل وينادي الشباب واحدا واحدا كنت أتذكر الجمال
كثيرا. لذلك ذهبت في يوم من الأيام إلى غرفة القيادة وسألت
العقيد: ألا يوجد هنا جمال يا سيدي؟

فنظر السيد العقيد إليّ بتمعن ثم أجابني باستهزاء ماذا تريد
من الجمال أيها الجندي؟ قلت له: هكذا، أردت أن أعرف إذا
ما كانت لديكم جمال في المعسكر، أم لا. أمرني السيد العقيد
بالانصراف فعرفت أن لا وجود للجمال في المعسكر والا كان
الجنود السابقون رأوها، أو سمعوا بأصوات أجراسها على الأقل
ولو مرة واحدة. بعد هذا لم يكن باستطاعتي أن أتحمل أجواء
المعسكر، لذلك هربت.

لقد تكلمت عن نفسي ثانية، والآن سأتكلم عنك:

كنت قد عثرت على عنوان بيتها بعد جهد جهيد. لم يكن
أمرا سهلا. في دفتر نفوس أبي كنت قد عثرت على الاسم
العائلي لأمي. وعندما كان يتحدث عن ذكرياته كان يقول إن أحد
أخوالي يعمل شرطيا. كان الأمر كمن يبحث عن إبرة في مخزن

القش. لكنني استطعت أن أعثر على عنوان خالي وقد مضت عدة أسابيع حتى عرفت بيته، ثم أقمت علاقة صداقة مع أحد أولاده وكان ساذجا، فعرفت منه مكان سكن عمته.

كنت أخاف أن يكون زوجها في البيت. فاعتمرت قبعتي ونكستها على رأسي كي لا ترى عيني. دققت الجرس فإذا بصوت امرأة تسأل: من الطارق؟

قال الجندي: انزلي لحظة من فضلك.

ونزلت المرأة بسرعة، تبدو أنها لم تتجاوز الأربعين من عمرها. لها عينا جميلتان واسعتان والجندي كان يريد أن يعرف من خلال ملامحها نسبته بها.

قالت المرأة: تفضل؟

قال الجندي: اسمي حسين وأنا ابنك.

انهارت المرأة. لم يكن الجندي واثقا من أنه ابنها وقبل أن يفكر قال إنه ابنها، فانهارت المرأة. دخل الجندي إلى الباحة وقد جلست المرأة هناك على المدرج. قال الجندي هل سيمانع زوجك؟

قالت المرأة: لا

المرأة:....

الجندي: هل أزعجتك؟

المرأة: لا

الجندي: سأذهب إن شئت.

المرأة: لا، لا يزال الوقت مبكرا.

المرأة: عديم المروءة لقد سود عيشتي.

الجندي: من؟

المرأة: أبوك المعتوه.

الجندي: لم آت إلى هنا كي أتكلم عنه.

المرأة: لم أتيت إذن؟

الجندي: اشتقت إليك.

تصبب جبينه عرقاً. فجفف جبينه بطرف كمّه وأطرق برأسه
يحدق ببلاط الباحة. رفعت المرأة رأسها ونظرت إلى عيني
الجندي وكان من الصعب رؤيتهما من خلف النظارة. قالت المرأة:
لقد آذاني كثيراً لا سامحه الله.

لم يقل الجندي شيئاً. قالت المرأة: ليتك مت أنت أيضاً ولم
تأتيني بعد عشرين سنة وتدمي قلبي. قال الجندي بتلعثم:
اعتبريني ميتاً. سأذهب.

المرأة: لا يمكن بعد الآن.

قالت بحنان: لم لا ترفع قبعتك؟

قال الجندي: أبدو قبيحا من دون شعر.

قالت المرأة ضاحكة: كنت قبيحا منذ البداية، فأنت تشبه ذلك

الحمار عديم المروءة. ارفع قبعتك.

الجندي: لا

المرأة: لجوج، مثل ذلك المعتوه.

الجندي: لا شأن لي به ولا شأن لك به أيضاً. لقد أتيت لكي

أراك فحسب.

المرأة: عديم الرجولة ذاك، لقد خف عقله فعشق فتاة قروية

أسوأ منه. الكريه الحقيير.

الجندي: لا شأن لي بهذه الأمور.

المرأة: أضاع شبابي ثم أجبرني على الزواج برجل لديه طفلان. لا أتذمر، إنه أفضل من أبيك عديم الكفاءة.

قال الجندي: لقد هربت من أجل أن أراك.

المرأة: كانوا قد أغروه بالكلام بأنها أفضل مني. بماذا كانت تفضلني؟ ولم تكن فائقة الجمال أيضا!

قال الجندي: سيؤذونني إن عدت.

قالت المرأة: كانت الفتاة قد جيء بها من القرية توا وكان يقول إنها أفضل مني بكثير! بماذا؟ لم تكن ذات جمال ولا ثروة، لا شيء، لا شيء.

الجندي: سوف يعاقبونني بشهر إضافي.

قالت المرأة: الحقير الأحمق كان يجب أن يفكر بالأمر من قبل.

نهضت من على الأرض وأخذت تمشي في الباحة، قالت: كنت كباقة الورد. كنت في السابعة عشرة من عمري فقط وهو الحقير أيضا لم يكن عمره قد تجاوز العشرين، لقد حطم حياتي.

قال الجندي: وربما لم أعد أخاف أن أعرض نفسي لمكروه بالسلاح. فالسلاح في المعسكر كثير كبعير الأرام وعندي أنا واحد أيضا.

قالت المرأة: كان أخي قد شهر السلاح بوجهه واقتاده إلى المخفر. يستحق هذا. فأصر بعدها على أن علاقتنا قد انتهت.

إلى الجحيم. حيث أبوك الأصلع.

قال الجندي: يجب أن أعود.

اتجه نحو الباب، قالت المرأة من خلفه: ارفع قبعتك للحظة،

قال الجندي: لا أريد.

قالت المرأة: كأبيك عديم الأصل وعنيد.

قال الجندي: أنا ذاهب.

انطلق وكأن المرأة عرفت حينها فقط أنه ذاهب فنادته، عاد الجندي ووقف إلى جانب المرأة، حيث إنه شعر بحرارة جسمها، تلاقت أيديهما. رفعت المرأة يدها لترفع القبعة من على رأس الجندي، نأى الجندي برأسه وقال: أنا ذاهب. وانطلق ثانية ونادته المرأة من جديد. وهنت خطوات الجندي وعاد نحو المرأة. رفع قبعته قليلا كي تتمكن المرأة من رؤية عينيه. انبهرت المرأة وهجمت نحو الجندي قائلة: بالله عليك ارفع قبعتك.

ثم تراجعت شيئا فشيئا وأخذت تطيل النظر إلى عينيه. قالت: جل الله الخالق. ذاك العديم الشرف بعينه.

لم يكن الجندي قد رفع قبعته بالكامل. كانت المرأة قد بدأت بالتوسل إليه شيئا فشيئا. قال الجندي: أبدو قبيحا جدا. قالت المرأة: أرجوك، إنك تشبهه تماما.

أدنى الجندي قبعته على رأسه أكثر وانطلق ليذهب فارتفع صوت المرأة خلفه: هل لا يزال أبوك يحتفظ بسنّه الذهبي؟ الجندي كان قد اطارق برأسه إلى الأرض وابتعد عن المكان بسرعة.

سأتكلم عن نفسي أيضا.

الآن قد نسيت كل شيء. حتى إنني أتذكر اسمي بصعوبة. كأنتي دائما في المعسكر وقائد الفيلق يأمرني أن أنتظم في الوقوف، والمشي والجلوس. ومن أجل إرضاء نفسي أعتمر القبعة

حتى عندما يكون الجو حارا. وأنكسها حتى الأذنين. أصبحت
جنديا هاربا. أينما تقع عيناى على شرطي أتذكرك. لم أعد
أهتم برؤية الجمال لقد بات الشرطي يذكرني بك. المدينة، هذه
الأيام مليئة بالشرطة كما تعلمين ولا حاجة لي أن أنتظر من سنة
إلى سنة كي أرى الجمال وأقف إلى جوارها وأبكي. فعند كل
مفترق طرق هناك شرطي، أو شرطيان. بمجرد أن أراهم من
بعيد أتذكرك ولكن لا أعلم لماذا لا أشعر بالبكاء. لا بد أنه وقع
لي أمر ما. لقد اشتقت إلى جمالي العزيزة لكنني لا أعلم هل
سأبكي عند رؤيتها أم لا!

إيرج بزشك زاد Iraj pezeshk Zad

روائي، باحث وكاتب ساخر، ولد عام ١٩٢٧ بمدينة طهران، سافر إلى فرنسا بعد تخرجه في المدرسة الثانوية ودرس الحقوق في جامعاتها. اشتغل بعد عودته إلى إيران قاضيا في المحاكم وبعد خمس سنوات من العمل، التحق بوزارة الخارجية الإيرانية ليشغل منصب مدير عام للعلاقات الخارجية. أحيل إلى التقاعد بعد انتصار الثورة الإسلامية. سافر إلى باريس ليقوم فيها متفرغا للكتابة. اشتهرت روايته «الخال العزيز نابليون» الساخرة وتفيد بعض الإحصاءات بأن مبيعاتها تجاوزت المليون نسخة، وقد ترجمت إلى الإنجليزية.

صدر لهذا الروائي الذي يعد من الأسماء اللامعة في مجال الأدب الساخر، أكثر من خمسة عشر كتابا ما بين الرواية والمسرحية والبحوث التاريخية والاجتماعية. بعض عناوين آثاره هي:

- ماشاء الله خان في بلاط هارون الرشيد
- أدب المرء أفضل من ثروته
- الخال العزيز نابليون
- عائلة الحظ السعيد
- تذكرة العم الكبير ..

عار الفقر

كان أبو الفتح خان أحد أقربائنا قد ابتاع بيتا بخمسة وثمانين ألف تومان، وبديهي أن بيتا بهذا السعر لم يعد اليوم بيتا يستحق الحديث عنه، مع ذلك فقد أصر بعض أقارب وأصدقاء أبي الفتح خان على أن يقيم لهم وليمة بمناسبة شراء المنزل الجديد دون أن يأبهوا بكلامه واعتراضه.

لم يقم أبو الفتح وليمة بمعناها الحقيقي ولكنه دعا نحو خمسة عشر فردا من الأقارب والأصدقاء لتناول الشاي والحلوى في البيت، وكما تظنون فقد كنت أحد المدعوين، ولأن الضيافة كانت بمناسبة شراء البيت فقد كان أغلب الحديث يدور حول البيت وكان أبو الفتح خان وزوجته شمس الملوك يطوفان بالضيوف واحدا واحدا في الغرف ويوضحان لهم ويكرران نفس العبارات: - لقد اضطررنا لشراء هذا المنزل، والا فإن بيتا من ست أو سبع غرف لا يكاد يكفي، ذهبنا لنشتري بيتا بمائة وأربعين ألف تومان، لكن للأسف الشديد تم بيعه قبل يوم من تصميمنا على شرائه.

في ذات الوقت الذي كان يتحدث فيه كل من صاحب البيت وزوجته وأخت زوجته عن ثروتهم وعن مقامهم الذي لا يتناسب مع شراء بيت بخمسة وثمانين ألف تومان، فجأة دخلت بنت أبي الفتح خان مستعجلة وهمست في أذن أمها.

بهدوء نقلت شمس الملوك ما سمعته من ابنتها لزوجها وأختها فاصفرت وجوههم وبعد دقيقة، أو دقيقتين خرجوا ثلاثتهم،

فشعرت أن شيئاً مهماً قد حدث، ولأن ابن أبي الفتح خان كان جالساً بجواري وتربطني به علاقة طيبة فقد استفسرت منه عما حدث، اقترب مني وقال: لا أشعر بالكلفة تجاهك ولا أراعي المجاملات، لقد قال أبي وأمي للجميع إنهما ابتاعا البيت بخمسة وثمانين ألف تومان في حين أنهما اشترياه بأرخص من هذا السعر، لكن عمة والدتي كانت حاضرة لدى كاتب العدل مصادفة وقد عرفت السعر الحقيقي وسوف تفضحهما بكل تأكيد، والآن علم الجميع أنها في رأس الزقاق وسوف تصل إلى هنا بعد لحظات، وهذا هو سبب استياء والدي ووالدتي.

أليس من الممكن أن يرجوها أن...

أنت لا تعرف أخلاق العمة، إنها لا تغير أدنى أهمية لهذا الكلام، وهي أن عرفت أننا أخفيها السعر الحقيقي للبيت فسوف تعلن عن ذلك من وراء المذياع...

في هذه الأثناء فُتح الباب ودخلت عجوز عمرها نحو سبعين سنة ونيّف، نشيطة وتترك انطباعاً بالذكاء، وبلا أسنان، وكانت تضع خماراً أبيض على رأسها، وبعد أن ألقّت السلام والتحيات الحارة على الجميع وتقبيل أكثر الحضور جلست وبدأت بالأكل وبملاء فم عاتبت على عدم توجيه دعوة لها مما اضطرها للحضور من تلقاء نفسها، وقد بهت واصفر وجه شمس الملوك كلون جدران البيت.

قالت العمة العجوز:

كان عليكم أن تدعوني قبل أي شخص آخر لأنني كنت حاضرة لدى كاتب العدل عندما وقعت العقد...

قبل أن تكمل عبارتها قاطعتها شمس الملوك وأختها، قالتا
معا: لماذا لا تتفضلي بتناول الحلويات؟

باختصار، كانت شمس الملوك وكذلك أختها تشعران بالقلق
وقد وجهتا كل اهتمامهما للعممة العجوز الثرثارة التي كانت تلوي
عنق كل حديث ليتحول إلى حديث حول سعر البيت. حتى إنها
قالت دون مناسبة بفم مملوء بالأكل:

- إن بيتا بهذا السعر...

ارتبكت أخت شمس الملوك إلى حد أنها لم تجد الفرصة
لمقاطعتها فراحت تصفق وتصيح بفرح:
ألف مبروك إن شاء الله، ألف مبروك.

فسألت العممة بتعجب: علام التهليل؟ تبادلت شمس الملوك
وأختها النظرات للحظة ثم قالت شمس الملوك:
ألم تعلمي يا عممتنا العزيزة أنه عن قريب سيكون حفل خطوبة
بنت أخ أبي الفتح؟!

انصرفت العممة عن طرح قضية ثمن البيت مؤقتا ولكن
اهتمام المضيفين لم يعد منصبا إلى الضيوف وإنما إلى العممة
وخوفهم من أن تتفوه بالسعر الحقيقي للبيت الجديد، خصوصا
أنها تعود لهذا الموضوع بين عبارة وأخرى، بعد لحظات خطرت
فكرة في رأس شمس الملوك فهمست في أذن أختها التي قالت
للعممة:

- بالمناسبة يا عمتي أعتقد أنك لم تشاهدي حمام بيتنا...

- يا لحسن حظكم أنه يحتوي على حمام أيضا؟ وهل تدفأ
أرضيته كذلك؟

- نعم يا عمتي، إنه دافئ الآن أيضا وإذا أحببت أن تستحمي فلا مانع من ذلك.

وبعد ربع ساعة من الإصرار أقنعوا العمّة بالذهاب إلى الحمام والاستحمام. حينما خرجت من الغرفة تنفس المضيفون الصعداء، وعادت أجواء الضيافة إلى حالتها الطبيعية، وغرقت هي بالتفكير.

إن هذا المرض لا يقتصر على أبو الفتح خان وعائلته، فمرض الهراء والتفاخر الفارغ ينبعان من مكان آخر، فهو مرتبط بعار الفقر الذي لا مثيل له في كل مكان في العالم بالمقارنة بما هو عليه هنا. إن الناس يعتبرون الفقر عارا بحيث إنهم مستعدون لتحمل ألف نوع من الشقاء من أجل التستر على فقرهم لئلا يطلع عليه أحد، أما الذين يملكون الثروة والمال، فإنهم يتباهون ويتفاخرون بهما إلى حد يبدون فيه كأنهم اكتشفوا البنسلين.

لقد حدث عدة مرات أن كنت مع صديق وفرغت محتويات جيبتي أمام شخص ثالث كي أبين أنه خاو من النقود، فيحمر وجه صديقي خجلا بدلا مني ويلومني بشدة على ما يراه فضيحة، كما للمرة الألف أرى شخصا يشتري سلعة ما ويجمع جميع أفراد عائلته موصيا إياهم بأن يذكروا ثمننا مضاعفا للسلعة أثناء حديثهم مع الآخرين.

لقد توسطت قبل أيام لصبي تعرض للضرب من قبل والده. لأنه قال وبحضور الآخرين إنه تناول طعاما لم يكن سوى مهلبية. لي صديق آخر وخوفا من ابنه الثرثار علّم ابنه ولم يتجاوز عمره ثلاث سنوات أسماء غير صحيحة لأنواع المأكولات، فأطلق على

أكلات الفقراء ووجباتهم المتواضعة مثل التشرية وحساء اللحم أسماء اجنبية أو أطعمة فاخرة، فإن سأله أحد ماذا تناولت اليوم يجيب فوراً: الدجاج المشوي.

وقد تعرض هذا الصبي المسكين هو الآخر للضرب من قبل والده إذ إنه قال ذات مرة أثناء حديث مع الآخرين إنه قطع الخبز داخل صحن حساء الدجاج المشوي.

قطع صوت العمة العجوز المنبعث من مكان بعيد سلسلة أفكار، كانت تطلب شخصاً من النساء يساعدها في تدليك ظهرها بالليفة، خرجت أخت شمس الملوك بعد لحظات مسرعة نحو العمة العجوز، بعد نصف ساعة من استئناف أبي الفتح خان وزوجته التباهي والتفاخر بالبيت الجديد، خرجت العمة العجوز من الحمام وقد احمر وجهها بسبب الماء الساخن وصار شبها بالشمندر، فأقنعوها رغماً عنها بضرورة عودتها إلى بيتها، قفز أبو الفتح من مكانه ليهيئ لها سيارة أجرة، أما شمس الملوك وأختها فلم تتركا موضوعاً تافهاً إلا وتطرقتا إليه كي لا تعطيا العمة العجوز فرصة للحديث إذ أن ذلك سيعني التطرق لثمن البيت، تحدثا لها عن الأخبار القديمة في الصحف وحوادث تصادم السيارات والانتحار وما شابه من مواضيع لم تكن هناك أي مناسبة للتطرق إليها، حينما حضرت سيارة الأجرة ودّعوا العمة بالتحية والصلوات، تنفس المضيفون الصعداء، ومسح أبو الفتح خان قطرات العرق من جبينه، لكن فجأة ومن خارج البيت نادى العمة العجوز شمس الملوك من الباحة، فتحت شمس الملوك النافذة. صرخت العمة بصوت عال، عزيزتي شمس الملوك

لا تبحثوا عن حجر الغسل الذي كان في الحمام فقد سقط في البئر، ادعوا من يخرجهم، واشتروا نافذة مشبكة سلكية وضعوها على هذه الحفرة.

- نعم يا عمتي سوف أنفذ ذلك غدا وفي أول فرصة.

- نعم يا عزيزتي، أن نافذة مشبكة سلكية لا تكلف سوى ثلاثة أو أربعة آلاف تومان، اعتبروا هذا المبلغ مضافا إلى السبعة وخمسين ألف تومان، أي المبلغ الذي دفعتموه لشراء البيت.

غلام حسين ساعدي Gholam Hossein saedi

ولد هذا الكاتب المسرحي والقصصي الكبير في العام ١٩٣٥ بمدينة تبريز وهي مركز محافظة آذربيجان الشرقية. تخرج بدرجة الدكتوراه في علم النفس واشتغل في مجال تخصصه حتى خروجه من إيران إلى باريس بعد الثورة الإسلامية. كتب في شتى فروع الكتابة الأدبية مثل الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والسيناريو والترجمة ويعد من الأسماء اللامعة في مجال الأدب القصصي. توفي ساعدي في باريس العام ١٩٨٥ وهو لم يزل في الخمسين من عمره لكنه خلف لقرائه خزيناً ضخماً من الأعمال الأدبية يفوق عدده الخمسين كتاباً. من أهم آثاره كتاب «أصحاب العزاء في بَيْل» الذي تحول إلى فيلم سينمائي وحصل على جوائز عالمية. ومن أعماله الأخرى: سهرة رائعة، المهذول والحد، الخوف والارتجاف، رهبة بلا شكل ولا لون، المقتل، الكرة، غريب في المدينة وغيرها...

المتسولة

لم يمر شهر، وأنا، ولمرات ثلاث، بين ذهاب وعودة من وإلى مدينة قم. وكأنتي في المرة الأخيرة كان قد خطر على بالي أن الأحوال ستسوء لا محالة وتتدهور. إلا إنني استقلت في منتصف الليل سيارة متهاكة لأقف قبيل شروق الشمس عند عتبة باب سيد أسدالله. وما إن طرقت الباب حتى فتحت السيدة عزيزة وحينما شاهدتني فوجئت وتكبرت عليّ. وعندما كانت تتنحى من مقابل الباب، نظرت باضطراب وقالت: «أولم تكوني قد ذهبت يا جدة؟».

لم أكرث بكلامها. سلمت ودخلت وعبرت البهو لأقف في وسط الباحة؛ فإذا بأطفالها الذين كانوا لتوهم قد استيقظوا من نومهم وتحلقوا حول حوض النافورة ليغسلوا أيديهم ووجوههم، يقفون وينظرون إليّ. جلست بجانب الحائط ووضعت صرّتي إلى جانبي، فمكثت هناك. وسألت السيدة عزيزة من جديد: «حقاً! أيتها الجدة! أولم تكوني قد ذهبت؟»

أجبتها: «نعم، كنت قد سافرت يا بنيّتي ولكنني عدت ثانية». فقالت السيدة عزيزة: «ما دمت أنك كنت عازمة على الذهاب والعودة، فلمَ ذهبت أساساً؟ ما كان لك أن تذهبي. كنت بقيت هنا وأرحتنا».

أجبتها ضاحكة: «ها أنا ذا قد عدت، ليرتاح بالك! ولكن يا بنيّتي لم أعد هذه المرة دونما سبب. عدت لأمر واجب».

دنا الأطفال مني، والتفوا حولي، في حين جلست السيدة عزيزة إلى جوار حديقة الدار وهي مكفهرة، وسألت: «وما عملك الآخر؟»

أجبتها: «عدت لأشتري لنفسي شبرا من الأرض لأثوي إليه، فقد حلمت بأنني على وشك الرحيل من هذه الدنيا».

انتقلت السيدة عزيزة من مكانها، ثم سألت: «بماذا تشتري هذه الأرض؟ وكيف تشتري؟ وقد كنت خاوية اليدين منذ حين». أجبتها: «سأشتريها بشكلٍ ما»، وأشارت إلى صرتي.

غضبت السيدة عزيزة، واستفسرت: «ما دام عندك نقود! إذن لماذا تأتين دوماً إلى هنا وتبتزّين سيد المسكين؟ ذاك المسكين الذي يركض ليل نهار ويكدّ ولا يستطيع أن يسد رمق أولاده. وأنت لا تتركينه وشأنه تذهبين وترجعين وفي كل مرة تأخذين منه شيئاً». ثم حملقت في عيني وهي تتوقع مني رداً، ورغم أنني كنت منهارة للغاية، لكنني لم أرد عليها. ارتقت عزيزة السلالم وهي تدمدم وأطفالها من خلفها يتبعونها بسرعة، وكأنهم يخشون أن أصيبهم بأذى، أو مكروه. أما أنا فلا أدري كيف تسلل إليّ النعاس وأخذني النوم وأنا مشدودة إلى جنب الحائط! فرأيت في المنام: أن سيد عاد من الدكان، ووقف مع عزيزة تحت الشجرة ويتكلمان بشأني. فإذا بعزيزة تزمجر وتتوعد، إن لم يطردني سيد فسيعلم أيّ بلاء سينزل بي.

انتفضت مستيقظة من نومي، ورأيت بالفعل أن سيد قد عاد وهو يحدث زوجته في بهو المنزل وبصوت عال، قائلاً لها: «بالله عليك قولي لي ماذا أفعل معها وكيف؟ فهي كما يقال كباب

المسجد لا يمكن قلعه كما لا يمكن حرقه، دليني وبيّني لي كيف أتصرف معها؟ وماذا يمكنني أن أفعل؟»

قالت السيدة عزيزة: «لا أعرف ماذا تفعل بها، فرغم أنها أبلغت الجميع القاصي منهم والداني وبشكل فاضح بأنها معدومة الحال وعلى البساط ولا تملك حتى مليما واحدا، جاءت اليوم لتعلن أنها بصدد شراء أرض، لا بد وأنها سوف لن تقنع بالشراء في مقبرة وادي السلام وغيرها! وربما ستشتري لها قبرا في تربة الفرج. وما دامت تمتلك كل هذه النقود، فلماذا لا تتركك وحالك؟ لماذا لا تذهب لتعيش مع أولئك الآخرين؟ لديها كل هؤلاء الأولاد والبنات، ولكنها تمسك بتلابيبك، لأنك الأكثر غباء ومسكنة. فأولادها سيد عبدالله وسيد مرتضى وسيد جواد وسيد علي وبناتها صفية وحورية وأمانة آغا ولديها كل أولئك الأصهار الأغنياء، ولماذا هي متمسكة بك وحدك؟»

تمهل سيد قليلا وقال: «إنني عجزت، فافعلي ما ترين وما يحلو لك، ولكن لا تقومي بعمل يفضب الله، أيا كان فهي في نهاية المطاف أُمِّي».

خرجا معا من البهو، فأغمضت عيني وتظاهرت بالنوم. ثم ارتقى سيد السلالم ثم نزل بكل هدوء وخرج من البيت. أخرجت أنا كسرة خبز من صرتي وتناولتها وتمددت هناك ونمت، لقد هزتي السيارة المتهالكة ليلة أمس بحيث أفقدتني القدرة على الوقوف على أقدامي. وحينما استيقظت وفتحت عيني كانت الدنيا قد اظلمت ولكن مصباح الغرفة كان مضيئا. سعلت عدة مرات، ثم ذهبت إلى جانب الحوض، وحركت بعنف مياهه الراكدة،

ولكن لم يخرج أحد، فصعدت السلالم، فشاهدت السيدة عزيزة وأولادها جالسين حول سفرة الطعام وهم يتناولون العشاء، ولم يحضر سيد حتى ذلك الحين، فانتظرت في الممر، وما إن انتهوا من تناول العشاء، حتى أطلت عليهم برأسي وأقحمته داخلا، وناديت: «سيدة عزيزة! سيدة عزيزة!»

انتفضت ماهرخ ابنة سيد أسدالله الكبرى من مكانها، وصرخت. ونهض الجميع، ورفعت السيدة عزيزة فتيلة السراج، وقالت: «ماذا تفعلين يا عفريتة؟ أتريدين أن ترعبي الأطفال؟». عدت إلى الوراء، وقلت: كنت أريد أن أتأكد: هل عاد سيد؟ فقالت السيدة عزيزة: «أعمياء أنت؟ أليس لديك عيون؟ ألا ترين أنه لم يعد؟ إنه لن يأتي الليلة أساسا!». سألتها: «أين ذهب؟»

حركت يدها ورجلها وقالت: «من أين لي أن أعرف إلى أية جهنم قد ذهب؟»

فقلت لها: «طيب، إذن! أين أنا؟» قالت: «فوق رأسي! من أين أعرف أين تتامين. عليك ألا تزاحمي أولادي، في أي مكان تريدين نامي».

تمددت في الممر نفسه، ونمت. وفي الصباح استيقظت، وكنت على يقين من أن عزيزة لا تطيق رؤيتي. ولذلك، فما كدت أن أنهى صلاتي حتى خرجت من المنزل متجهة إلى الحرم. وبدأت بزيارة ضريح السيدة فاطمة المعصومة أولا ثم جلست القرفصاء عند المدخل الكبير للحرم، وغطيت وجهي، ومددت يدي إلى زوار السيدة المعصومة! وحينما افترشت الشمس باحة الحرم،

هممت بالنهوض، وجمعت نقودي، وعقدتها في طرف صرتي وسرت. وقبيل الظهيرة عدت إلى بيت سيد أسدالله وحملت معي عرائس السُّكَّر والحلوى للأطفال. وعندما طرقت الباب جاءت ماهرخ وفتحت الباب قليلا وما أن رأَت وجهي حتى أغلقت الباب ثانية ودخلت. عاودت الطرق، وإذا بسيدة غريبة لا أعرفها قد خرجت إليّ، وقالت: «منذ ثلاثة أشهر ذهب سيد أسد الله من هذا البيت».

قلت: أين ذهب؟ كان البارحة هنا.

قالت المرأة: لا أعلم أين ذهب، من أين أعلم؟

أغلقت الباب وذهبت. كنت أعلم أنها تكذب، فجلست إلى جانب الباب حتى العصر ربما يظهر سيد أسدالله. وحينما أيقنت أنه لا فائدة من ذلك نهضت ومشيت. وفجأة خطر على بالي أن أذهب لـدكان سيد ربما أجده. ولكن أينما ذهبت لم أجد من يعرف سيد أسدالله المرآتي. وقد دُلني البعض إلى محل لبيع المرايا يقع إلى جوار محلات قطع الحجر يملكه شخص اسمه سيد أسدالله وهو رجل يرتدي عمامة وعباءة وكان جالسا في دكانه، ولم يكن هو فـسيد اسدالله كما أعلم يرتدي عمامة فقط. فعدت أدراجي وتسكمت في الطريق، حينما حل وقت الصلاة ذهبت للحرم وجمعت الصدقات وعاودت الرجوع للسوق. اقترب الغروب وأنا أبحث عن سيد وأطرق كل الأبواب وكأنتي في أيام طفولته حينما كان يتيه وأبحث عنه. وقلت مع نفسي من الأفضل أن أعود إلى باب داره، ولكن داهمني خوف! كنت أخاف من عزيزة! كنت أخاف من أولادها! أخاف من الجميع حتى من حرم

السيدة المعصومة لا سامحني الله على ما أقول! وفجأة داهمتني الخيالات وفكرت في أن أعود في نفس ذلك اليوم وذهبت إلى محطة السيارات وهناك رأيت سيد أسدالله وهو يعبر الشارع صوب الرصيف الآخر. ناديته، فتوقف. هرعت إليه وأخذت بيده وتوددت إليه ودعوت له، فوجئ ولم يتمكن من الحديث. مرت لحظات ولم ينبس ببنت شفة، انعقد لسانه وهو ينظر إليّ في ذهول.

قلت له: يا حبيب ماما، لا تخف! لن آتي إلى منزلك! أنا أعلم بأن السيدة عزيزة لا ترغب في رؤيتي. لكني قد اشتقت اليك. كنت أريد أن أراك وأرجع.

قال سيد: «يا أمي أنت أيضا لم تحفظي ماء وجهي بالمرة! لقد رأيتك عصر اليوم في الحرم تتسولين! فرجعت أدراجي في لحظتها، ولم أقو على التحدث معك حتى لو بكلمة، فما هذا الذي تفعلين وأنت في هذا العمر؟!»

لم أنبس ببنت شفة. عاد سيد وسأل ثانية: «هل اشتريت لنفسك قبرا؟»

قلت: «لا تحمل همي! لم تبق حتى الآن جثة دونما دفن، سيورونها الثرى على نحو ما».

خنقتني العبرة فأجهشت بالبكاء وتملك البكاء من سيد أسدالله أيضا، لكنه لم يطلق العنان لدموعه، وسألني: «لماذا تبكين؟»

فقلت له: «أبكي لغربة سيدي الإمام الثامن عليه السلام المدفون غريبا في خراسان».

فتش سيد جيوبه، فعثر على مبلغ زهيد فتناولني تلك النقود وقال: «أمام، لا فائدة من بقائك هنا. الأفضل أن تعودني إلى سيد عبدالله، فإني عاجز عن أن أوفر لك حياتك، كما لا يمكنك التسول! في النهاية سيرونك ويعرفونك. وحينما يعلمون أن زوجة الحاج سيد رضي تتسول، سوف ترتعد عظام والدي وهو في قبره! وسوف تريقين ماء وجه العائلة والأقارب كلهم. ارجعي عند سيد عبدالله، وزوجته ليست سليطة اللسان مثل عزيزة، فهي رحيمة ومنصفة».

وحينما وصلنا لموقف السيارات، توجه سيد لأحد السائقين وقال له: «أبتاه! احمل هذه العجوز وأنزلها في ميدان شوش بطهران، أثابك الله!»

قفل سيد راجعا دون أن يودعني، ولم أناده، فقد أبى أن يعرفوا أنني أمه.

لقد كانت أسرة سيد عبدالله قلقة من أجلي، وكان سيد عبدالله قد خرج مع زوجته رخشنده، وأطفاله كانوا منهمكين في اللعب داخل المنزل، وكانت أخت زوجته، وهي سمينه للغاية، تجلس وسط الدار ومنشغلة بالحيافة. وما إن سمعت صوتي وعرفت أنني جئت حتى انفرجت أساريرها وهكذا الأطفال قد فرحوا بعودتي. ولم يكن من المقرر أن يعود سيد عبدالله وزوجته رخشنده بسرعة. وقد كان الخبز والطعام متوفرين للغاية، وكان الأطفال يلعبون في باحة المنزل وهم في فرح وسرور يركض بعضهم وراء بعض. يبعثرون كل شيء ويتمازحون معي. وكانوا يحاولون أن يتعرفوا على ما أحمل في صرّتي. الكل كان يريد

أن يعرف ماذا يوجد في الصرة. وكانت أخت رخشنده جالسة في الإيوان وقد تمالكها الضحك وهي تجمع شعرها المجعد وراء أذنها، وقد تناغمت مع الأطفال وهي تردد معهم: «ماذا لديك في الصرة يا جدّتنا؟ إن كان فيها طعام فأعطينا نأكله».

فقلت: «بالله! ليس فيها طعام، وماذا يفعل الطعام في صرّتي؟» حينما هممت بالخروج أراد الأطفال أن يخرجوا معي ولكنني تحايّلت عليهم وخرجت للشارع وحدي. وقد كان المكان الذي كنت أجلس فيه دوماً مفترق طرق ويشبه الميدان الصغير وقد كان مظلماً وعميقاً، وقليلاً ما كان يمر منه المارة، بركة التسوّل فيه قليلة، وقد كنت أفعل ذلك من أجل الثواب. وعندما عدت للمنزل، قالت لي أخت رخشنده: «أيتها الجدة أين ذهبت؟ أذهبت لزوجك؟».

تحلق الأولاد حولي، وكل واحد منهم يدلي بسؤاله، وأنا قد تملكني الضحك. ولم أقدر أن أجيبهم. وكنت أنفجر في الضحك، بل الكل كانوا يضحكون وكان البيت كله يهتز من الضحك. كانت أخت رخشنده تحبني كثيراً. وكانت تريد أن تسرّني بأية طريقة، وأن تفعل لي شيئاً. فطلبت منها أن تحيك لي مخلاة فبدأت بحياكتها لي وعندما أتمتها، قالت لي: «حياكة المخلاة تُفائل بالخير وسيصل خبر مفرح».

وهكذا حدث، ففي اليوم الثاني وقبل أن تطلع الشمس جاء سيد عبدالله وزوجته رخشنده اللذان كانا قد عادا من القرية. وحينما شاهدتني رخشنده فوجئت وعبست. وكان سيد عبدالله قد سمن، وازداد حمرة وبياضاً وقد نمت لحيته. ونظر إليّ بجزع

ولم يكثرث بي. وأنداك قلت مع نفسي: «والآن، حيث لم يكثرث بي أحد، فلأذهب، فلا طائل من بقائي. فكل من يراني ينزعج. ولا مجال للحديث والضحك مع الأطفال، كما خيم الصمت على أخت رخشندة. سرح سيد عبدالله في أفكاره وتفرسني ثم قال: «لماذا يا أماء تارة هنا وتارة هناك؟»

فقلت له: «أريد أن أرحل».

شعر بالفرح وقال: «طالما تريدان الذهاب، قومي الآن واذهبي للقرية بنفس السيارة التي جئنا بها».

وقد هيا لي الأولاد الخبز والجبن، وحملت أنا الصرة والمخللة التي حاكتها لي أخت رخشندة ومسكت بالخشبة التي وهبني إياها سيد عبدالله عوضاً عن العصا، ثم قلت: «لا أمانع وأنا جاهزة للذهاب».

فقبلت الأطفال وقبلوني وخرجت. كانت السيارة واقفة أمام الباب، فركبتها. خرج الأطفال وتحلقوا حول السيارة، ولم تأت خارجاً لا رخشندة ولا أختها. وقد أعطاني سيد عبدالله تومانين خشية أن أغير رأبي وأرجع إليه. وتناهى إلى مسامعي من داخل المنزل صوت بكاء أخت رخشندة. كما سمعت صوت ابنة رخشندة الكبرى وهي تقول: «إنها خائفة، خائفة من أن يحدث مكروه في هذا الليل». وعند الظهيرة وصلت القرية، وحالما نزلت من السيارة أخذوني إلى طامور له باب صغير ومربع الأضلاع. وكانت قدماي ويدي يعتصرهما الألم. وفي المساء قدموا لي الخبز والحساء، تناولت العشاء، ونهضت لأقيم الصلاة، ففتحت باب الطامور ووقفت عند عتبته التي تطل على واد عميق يعتليه

القمر وقد أضاء جوانبه فجعلها بيضاء كلون الحليب، وقد تنهى إلى مسامعي عواء ذئب عج من مكان ناء، كما أصغيت إلى صوت انبعث من خلف الدار، وكان يردد: «ها هو سيأتي الآن ليأكلك، إن الذئاب تحب العجائز».

وكان يتراءى لي وكأنني أرى أنيابه، كما كان فوق سطح المنزل ما يشبه الدجاج ينقر بمنقاره ويكاكي كالدجاجة، تمنيت أن تكون كل هذه الهواجس أوهاما وخيالات. وتملكني الخوف فدلقت للداخل. وفي اليوم التالي رغبت عن الخروج ومشاهدة الوادي بقمره المضيء، وقضيت اليوم كله داخل الطامور. كنت ضيقة الصدر وأفكر فيما حدث ولماذا حدث، فأجهشت بالبكاء وانفجرت باكية على غربة الإمام الغريب وعلى شهادة سقاء كريلاء الشاب. وقد تذكرت صفية واشتقت إليها، لكنني كنت أخشى زوجها، ورغم أنه لا يعرف مكاني، لكنني مع ذلك كنت أخاف منه، وقد اجتاحتني الأوهام والخيالات.

كل ما في القرية كان حسنا، بيد أنني ما كنت أستطيع أن أجمع الصدقات. وكنت أذهب في أوقات العصر صوب ميدانها الصغير، وأظل جالسة هناك حتى المساء. وما كنت أتدخل في أمور الآخرين، كما لم يتدخل أحد في شؤوني. وكنت قد أضعت حذائي في الطريق، وتمنيت أن يأتي أحد ويهيني حذاء لوجه الله. كنت أخشى أن أطلب ذلك من أحد، فقد كنت أخاف أن يصل لمسامع سيد، فيتأذى وينزعج. لم تكن حالي جيدة، كنت أوسخ ملابسي بلا سبب ولا أعرف لماذا؟ ولماذا أصبحت هكذا؟ فليس هناك من يهتم بأمرى.

و ذات يوم، جاء للقرية درويش هرم، وكانت لديه لوحة كبيرة للإمام الحسين وقد باعها لي، وفي تلك الليلة والليلة التالية لها جلست إلى جوار هذه اللوحة وكنت أنشد التعازي الحسينية. وكنت سعيدة وكنت أعلم أن التسول بعرض هذه اللوحات ثوابه أكثر.

و ذات ليلة حينما انقبض فيها قلبي، كنت جالسة وكانت الظنون تأخذ بي، وإذا بصوت يناديني، صوت من بعيد، فتحت الباب، وأصغيت إليه، فقد كان يعلو من مكان بعيد، وكأنهم ينادوني من خلف الجبال. لم يكن الصوت غريبا عليّ، ولكنني لم أتبين صوت من هو. زال خوفي بأسره ونهضت وحملت معي اللوحات وصرّتي وأغراضي ومشيت. كانت الطرق ضيقة وطويلة ممتدة. وكانت الصحراء مضيئة. وكلما أوغلت في المسير أحسست بنعومة الطريق، وهي تتحدر تارة وترتفع تارة أخرى، ولكنها غير متعبة بالنسبة لي. وكل هذا كان من بركة قلبي المضيء والمفعم بالإيمان ومن بركة اهتمام السادة بي. خرجت من القرية وجلست على قاعة الطريق لأستريح إلى جوار أرض شخص وإذا برجل يظهر أمامي ومعه ثلاثة جمال، فبدأت في ذلك المكان بإنشاد التعازي الحسينية، فهاب الرجل في البداية مشهدي هذا، ولكنه رّق قلبه لحالي فيما بعد، وأركبني أحد الجمال، وركب هو الجمل الآخر، أما الجمل الثالث فقد كان يسير خلفنا بهدوء. وقد ضاق صدري، تذكرت ليلة غرباء كربلاء في الشام وبكيت بهدوء.

قلت للسيد جواد: سأذهب لأعمل، وسأوقّر طعامي، فأشباع بطن واحد ليس بمعضل، سأعمل، وإن كنت حتى الآن أتسول!

فلم يكن ذاك التسول من أجل جمع النقود بل من أجل الثواب. فأنا أحب رائحة خبز التسول، أحب ثوابه، ويجب ألا يضايقكم هذا التصرف، فكل إنسان يحاسب على أفعاله وهو وحده المسؤول عنها. ولم يسمح لي السيد جواد بدخول منزله، وقال: اذهبي وافعلي ما يحلو لك من أعمال مشينة. ثم تركني وأوصد الباب في وجهي. وكنت أعرف أن صفية خلف الباب، وقد عرفت أن السيد جواد لم يسمح لي بدخول البيت، وبدأت تلطم وجهها وهي في حزن دفين وتعج بالبكاء والعيول. وقد دخل السيد جواد الغرفة وحرك مهد الطفل وكأنه لم يحدث شيء. كما كنت أعلم أن السيد جواد سيذهب للسوق بعد ساعة، فذهبت للزقاق المقابل لبيته، وانتظرت هناك ساعة. ثم عدت ثانية وطرقت الباب، وفجأة فتح السيد جواد الباب، وقال مستكراً: خيراً! فقلت: لا شيء!

وسحبت أذيالي وقفلت عائدة، والسيد جواد يواكبني بنظراته إلى أن خرجت من الزقاق. وأخرجت اللوحات من صرّتي، وبدأت بإنشاد أشعار في مدح الإمام علي عليه السلام مولى المتقين. وتبدت لي سيدة نحيفة وهي تقترب مني وترمقني بنظراتها، ثم مدت يدها وناولتني صدقتها، وقالت: «أيتها السيدة العجوز من أين تأتين وإلى أين تذهبين؟».

قلت: «جئت من الصحارى وأبحث عن عمل».

فقالت: «أتقوين على العمل وأنت في هذا العمر؟».

أجبتها: «سأضع الجبال جبلاً فوق جبل بعون الله».

فقالت: «أوتستطيعين غسل الملابس؟».

أجبت: «سيساعدني إمام الغرياء».

فقالت: «لو كان كذلك فاتبعيني».

ذهبت إثرها، مشينا ومشينا حتى وصلنا منزلا كبيرا يقع في زقاق خال من المارة، وله مجاز كبير. دخلنا وكان البيت فناء فسيحا يتوسطه حوض ماء كبير يسع لكمية كبيرة من المياه، وقد جلست على حافته عدة نساء قد تزين بجميع المساحيق ويتألأن جمالا وكأنهن أقمار في الحسن. وكنَّ يكنَّ وكأنهن يتناولن طعاما ما دونما وقفزة. وما أن وقعت أعينهن عليَّ حتى انفجرن بالضحك وشرعن يتهامسن مع بعضهن. ثم قلن إنني لا أستطيع غسل الملابس، ومن الأفضل أن أجلس خلف بوابة الدار، وجلست خلف الباب ومعى اللوحات وصرتي. وقالت لي تلك السيدة النحيضة: كل من يطرق الباب ويريد ربابة فعليَّ أن أفسح له الطريق وأدعه يدخل. ومكثت هناك لعدة ساعات ولم يطرق أحد الباب. وكنت جالسة ومنشغلة بترديد الأدعية وأناجي ربي. وقد كان المكان منزويا، ولكنني ما كنت أخشى الظلام أبدا. وفجأة تعالى ضجيج أصوات من داخل المنزل، ولا أعلم من ذاك الذي عج بالعويل، وقد أوصتني تلك السيدة بألا أتدخل في الأمور، وأن أكون في حالي، وهكذا كنت، فلا شأن لي بشيء، وفجأة، طرق الباب، فقلت: «من الطارق؟».

قال: «أريد ربابة».

فتحت الباب، فإذا برجل نحيف للغاية يترنح في مشيته فولج الدار ودخل الفناء مباشرة. وتعالى الضحكات من الفناء، ثم خيم الصمت ثانية. ورويدا رويدا غلبني النعاس، وغططت في نوم

عميق، فحلمت أنني ذهبت ثانية إلى منزل صفية وأطرق بابها، فإذا بالسيد جواد يفتح الباب، ويقول متهمكاً: «حسناً؟!». فأرد عليه: «لا شيء!». ثم يقفز للخارج فجأة وأنا أفر منه وهو يتبعني بالسوط. وأنا أحلم بهذا الكابوس، فإذا بالباب يطرق، فأقفز من نومي وأنتفض في زعر، وأردد مع نفسي: يا ترى من الطارق إن لم يكن السيد جواد؟ وقلت: «من الطارق؟»
قال السيد جواد: «افتحي الباب».

قلت: «من تريد؟»

قال: «أريد ربابة».

قلت: «ليست موجودة».

قال: «أقول لك افتحي الباب يا سليطة».

وبدا يطرق الباب بشدة. وجاءت آنذاك تلك السيدة النحيفة، وقالت: «ماذا يحدث؟».

فقلت: «فديتك بروحي، أستحلفك بالله ألا تفتحي الباب».
قالت: «لماذا؟».

فقلت: «إن فتحتي الباب، فسيضربني ضرباً مبرحاً، وسيعتقد أنني جئت إلى هنا لأتسول».

قالت: «من ذاك الذي يمكنه أن يتجرأ على القيام بمثل هذه الفعلة؟».

قلت: «السيد جواد صهري».

قالت: «انهضي، واختبئي في الظلام».

نهضت وذهبت لأختبئ بالظلام، وفتحت السيدة النحيفة الباب، فسمعت وقع أقدامه وهو يلج الفناء مزمجرًا مع نفسه.

وارتفعت أصوات الفرح من داخل الفناء، ثم حل الهدوء كما هو معهود. فعدت أنا وفتحت باب المنزل، وقد كان الجو في الخارج صافيا ومضيئا، وحملت اللوحات وصرّتي، وقلت: «أنت شاهد يا قمر بني هاشم على ما أعانيه من تصرفات هؤلاء»، وذهبت خارجة من الدار.

في تلك الليلة لم أجمع الصدقات، وكان معي من الطعام ما يسد رمقي، وقد وقفت منتظرة وفي يدي عصاي وحملت اللوحات وصرّتي تحت عباءتي. ثم جاءت سيارة سوداء، فتوقفت وركبتها، وخرجت بنا من المدينة. وترجلت عند بداية زقاق ضيق ومظلم، وكان يلوح من نهاية الزقاق بصيص ضوء. لقد ارتحت من شر كل شيء، وحن الوقت لأهتم بنفسي. وحينما بلغت نهاية الزقاق كان الباب مفتوحا، فدخلت. كان بستانا كبيرا ويكتظ بأشجار قديمة هرمة، تلتف أغصانها حول بعضها، وخيرير المياه يسمع من كل مكان في البستان، وكان قد تدلى قنديل قديم مضاء من على شجرة صفصاف. فجلست تحت القنديل، ومكثت هناك في انتظار. ثم جاءت قمر وماهبار وفاطمة، وبدأنا نحن الأربعة في بداية اللقاء بالبكاء، ثم جلسنا معا نفضفض لبعضنا. كانت قمر قد بقيت مدحذحة وسمينة، وقد أصبحت بطنها مترهلة. أما فاطمة فقد ذبلت ولم يبق منها شيء، ولكنها لم تزل تضحك في البدء وتنتهي بالبكاء والعويل. وقد كانت ماهبار جائعة، وكانت تمضغ أصابعها وتجاعيد وجهها في هالة اهتزاز، ولم تكن تعرف ما بها، ولكنني كنت أعرف أنها جائعة، ففتحت صرّتي وفرشتها ومددتها أمامها وعليها قطع الخبز، ولم تزل هي تحتفظ بصرتها

وتحافظ عليها . وشرعت ماهباره بتناول الخبز، وبدا لي كأنها نسيت الأكل فقد كانت تمضغ الطعام وتبلعه بشكل غريب . ثم جلسنا معا وبدأنا بالحديث معا . وقد عاتبني على عدم زيارتي لهن، وكنت أقسم بأنني لم أكن هنا ولكنهن لم يصدقن كلامي . ثم تحدثنا معا عن التسول . وقد حاولت أن أحرك فاطمة لتتحدث لنا عن صرّتها لكنها امتنعت عن الحديث عنها . وبعد ذلك ذهبنا معا إلى جوار الحوض . وحدثتهن عن كل شيء، قلت لهن إن الدنيا بخير، وإن أحوالي لا بأس بها، ومنشغلة بجمع الصدقات وأتجول دائما عارضة لوحات الأئمة . فقالت فاطمة: «ما دمت تعرضين اللوحات هذه، فلتقرئي لنا نعي القاسم، فقد ضاقت قلوبنا» . كنا نحن الأربع نجلس تحت الأشجار، وقرأت مراثي العزاء للأئمة عليهم السلام: وقد تمالك الضحك من فاطمة في بداية الأمر، لكنها انخرطت في البكاء في نهاية المطاف . وكلنا نحن الأربع كنا نبكي معا، ومن أعماق البستان أيضا هناك من كان يبكي معنا .

وعندما انتهيت من دعاء علقمة، تذكرت بيتي وحياتي، وكنت قد جمعت كل ما لدي وتركته أمانة في منزل السيدة أمينة . وقد ذهبت إلى منزلها عصرا وطرقت الباب، ففتحت لي الباب، ففوجئت بي وكأنني قد رجعت لتوي من المقبرة، فقد صقعت بمشاهدتي وأنا أمام الباب . ولكنني لم أنبس ببنت شفة . وقد جاء أحفادها ولم تأت ابنتها إذ لم تكن هناك، ولم أسألها عن مكانها، إذ انني أعلم أنها تكون قد ذهبت إلى الحمام كعادتها .

قالت أمينة: «أين كنت يا أيتها السيدة؟»

قلت: «تحت ظلكم وتحت أكنافكم».

قالت أمينة: «غريب! ما الذي جاء بك إلى هنا؟»

قلت: «جئت كي أطمئن على أمتعتي».

أشارت السيدة أمينة إلى قبو منزلها، وقالت: «لقد جاء سيد مرتضى والسيد جواد والسيدة حورية لأخذها عدة مرّات، ولكنني لم أسمح لهم بأن يلمسوها، وقلت لهم جميعاً إنك لازلت حية ترزقين، وإذا ما، لا سمح الله، ووريت الثرى فلا مانع لديّ وتعالوا آنذاك وخذوا إرثكم».

ومن داخل القبو تعج بالمكان رائحة المخلّلات، والسدر والطحالب، فقد جمعوا في زاوية من زوايا القبو المرطوبة البسط والسجاد، وقد وضعوا أنابيب المدافئ والسماورات على بعضها البعض، وقد انتشر فوقها جميعاً شيء أصفر يشبه القرنبيط، وقد عكرت جو القبو رائحة غريبة وحينما تتنفس في هذا الجو تحس بالزكام. وقد نضدوا ثلاث طبليات جنباً إلى جنب وبينها ثلاث معزات صغيرة وكأنها ثلاث قطط، وقد كانت قابعة على أرض القبو وهي تأكل البرسيم، وكان هناك أيضاً حيوان غريب وعجيب له ذنب طويل ورأس مثلث الشكل، وكان يلحس الأرض بسرعة ويلتهم التراب.

سألتني أمينة: «ماذا فعلت بالنقود يا أيتها السيدة؟»

قلت لها: «أية نقود؟»

قالت أمينة: «قد كتبت لي عزيزة بأنك قد ذهبت إلى مدينة

قم لتشتري لنفسك قبراً؟»

قلت لها: «وهل صدقت أنت كلامها؟»

قالت أمينة: «أنا بدوري لم أصدق، ولكن ماذا نفعل لمثل هؤلاء الناس، وأي كلام لا ينسبونه للآخرين؟»
قلت لها: «لا تسمعي كلامهم».

قالت أمينة: «أين تذهبين؟ وماذا تفعلين؟»
قلت: «أذهب إلى كل مكان، أذهب إلى المقابر وأحمل معي لوحة الإمام وأقرأ التعازي الحسينية، فقد أصبحت من المداحات للأئمة».

ابتسم أطفال أمينة عند سماعهم لكلامي هذا، فسعدت بذلك، وأريتهم اللوحة فخافوا وهربوا.

قالت أمينة: «هل اطمئن قلبك الآن؟ وها أنت ترين أن أمتعتك على حالها كما كانت ولم يحدث لها شيء».

قلت: «حفظ الله لك أولادك، أعطني صرة من صرّاتي، أريد أن أعمل ستارة للوحة».

قالت أمينة: «لا يمكن ذلك، لأن أبناءك غير راضين، وسيأتون ويتشاجرون معي».

قلت: «لا بأس، ما داموا غير راضين، فأنا بدوري لا حاجة لي بها».

خرجت، وتذكرت أنه من الأفضل ألا تكون هناك ستارة تغطي لوحات الإمام الحسين عليه السلام، كما أن غبار المقابر سيحول دون رؤية جماله المبارك بالأعين الدنسة. وواصلت السير إلى أن وصلت إلى مفترق طرق، فجلست وبدأت بقراءة التعازي الحسينية، ووقف الرجال حولي وهم يتفرجون علي. وقد كنت أبكي وأنوح لكنهم كانوا يضحكون دونما سبب.

لم يعد لي هدف، وكنت أتسكع دوماً في الشوارع والأزقة، وكان الأطفال يلاحقونني، وكنت أقرأ التعازي، وأبيع ماء تربة الإمام عليه السلام بإناء صغير. وقد بح صوتي، وتقرحت أقدامي، وانخلعت أظافر أقدامي وكانت تؤلمني بحرقه، كأن هناك شيئاً في حلقومي يحول دون خروج صوتي، وكنت أفترش المقبرة وأرقد فيها، وقد غطى العفار والغبار اللوحات ولم يعد وجه الإمام واضحاً. لم أعد أجوع، وكنت أشرب الماء فقط، وكنت أحياناً أرغب في التهام التراب مثل ذلك الحيوان الصغير الذي كان قد قبع وسط المعزات وكان يلحس الأرض. وقد اتسع رقع الجرح الذي أصيب به فمّي وانخرق وكبر حجمه وانفتح بمقدار حجم راحة اليد، وكان ينزف الدم دوماً، وامتنعت عن أخذ الصدقات. وكنت بين آونة وأخرى ألمح أبنائي وسط المارة، وحينما كانت أعينهم تقع عليّ كانوا يخفون أنفسهم عني. وقد كنت في ليلة الجمعة في المقبرة، وكنت أصلي خلف جدران مفسلة الموتى، وإذا بالابن الكبير لسيد مرتضى وسيد مجتبي جاء ليأخذاني إلى المنزل. امتنعت عن الذهاب معهما، لكنهما أجبراني على الذهاب معهما وأركباني السيارة، وذهبنا معاً، وفجأة رأيت نفسي في بستان كبير. فتركاني عند شجرة، وذهبا معاً إلى غرفة كبيرة كانت مضيئة، ثم جاء ومعهما رجل بدين، وهم يرمقونني بنظراتهم. ثم ذهب سيد مرتضى والسيد مجتبي خلف الأشجار واختفيا كلية ولم يعودا. ثم جاء شخصان وأخذا بي إلى ممر مظلم ورمياني في غرفة مظلمة حالكة، وحينها غلبني النوم. وفي الصباح وجدت الغرفة وهي

مكتظة بالمتسولين، وحينما رأوني طلبوا مني خبزا، فبادرت أنا بقراءة تعاويذ أبي الفضل العباس لهم. ثم جاءوا لنا بحساء في عربة، وذهبنا جميعا إلى داخل البستان لتناول الحساء. ولكنني لم أستطع أن أشرب شيئا، حيث أن الجرح اتسع وملاً فمي. ولم يكن أحد ممن كانوا هناك يبالي بلوحة الإمام التي كانت لدي. وذات ليلة رأيت في المنام صفية وحرورية. وفي ليلة أخرى رأيت أطفال سيد عبدالله وفي الليالي الأخرى رأيت الإمام عليه السلام وكنت منزوعة كالناس الطائشين وكانوا يسبّونني من كل صوب ويشتمونني وكنت أريد أن أخرج، إلا أن رجلا قزما كان جالسا أمام الباب، كلما كنت أقترّب منه كان يرفع عصاه ويصرخ: «ولّي، ولّي». وذات يوم زارني كمال نجل صفية مع صديق له، وقد بعثت لي معه صفية رزا مطبوخا وخبزا وبصلا. وأخبرني كمال بأنهم يعرفون جميعا أنني في دار المتسولين، ترقّرت عيناه دموعا، ثم أجهش بالبكاء. ثم قال لي إنه بإمكانني أن أهرب عن طريق مجرى المياه، ثم أراد أن يهبني أحذيته ولكنه خشي أن يعاقبوه. وقد كنت أخاف من السيد جواد ومن سيد مرتضى. وكنت أخشى الخارج كما كنت أخاف من الداخل. فقلت لكّمال: «إن أراد الله فسأخرج». ثم ذهبنا، ثم جاء العجوز الواقف أمام الباب، وأخذ نصف الرز المطبوخ والبصل وأعطاني الباقي.

وحل الليل، فاخفيت بين الأشجار، وعندما بزغ الفجر، عثرت على مجرى المياه، وتأبطت اللوحة وصرتي، وزحفت كالحية وسط مجرى المياه، وحبوت بأرجلي ويدي من وسط الوحل وعندما

وصلت إلى الخارج كانت الشمس قد أشرقت وقد غطت البيوت بلونها الناري.

منذ ذلك الحين، وصحتي في تدهور، وقد ازداد خرق جرح فمي وقد ترهلت بطني وكنت أستعين بالجدار وأتكئ عليه حين المشي. وكان هناك صوت غريب يطن في رأسي وكأنه صوت صفيح، ولو كان هناك شيء كفوهة البئر يكلمني من داخل الأرض، وكانت لوحات التعازي تحدثني، كما كان يحدثني كل من إمام الغرباء (الإمام علي بن موسى الرضا الإمام الثامن لدى الشيعة الاثنا عشرية والمدفون بمدينة مشهد في خراسان) عليه السلام والسيدة فاطمة المعصومة (شقيقة الإمام الرضا ومثواها في مدينة قم) وماهبارة. وذات يوم التقيت بأبناء سيد عبدالله وقد أخبروني بأن خالتهم قد توفيت. وقد كنت أعلم ذلك، فإنني أعلم كل شيء. وذات يوم ذهبت من غير موعد إلى منزل أمينة، وكان الباب مفتوحا، فولجت الدار، وكلهم كانوا هناك، وقد اجتمعوا جميعهم في فناء الدار. وكان سيد أسدالله وزوجته عزيزة قد جاءا من مدينة قم، وكانوا يقسمون ما كنت قد أودعته في قبو منزل أمينة، ولم يرني أحد، إذ كانوا يتشاجرون، وكانوا يسبون ويشتمون بعضهم الآخر، ويتناحرون ويتوعدون بعضهم الآخر. وكان السيد جواد وسيد عبدالله يتشاجران بشأن السجاد وكانت أمينة تجهش بالبكاء لأنها لم تتل شيئا من تلك التركة رغم كل ما بذلته من جهد. وفي لحظة بادرت فاطمة بمناداتي من داخل القبو، وفجأة رأني كمال وعج بالعويل والصياح، والكل التفت إلى الورا وقد تحددت عيونهم وحملقت، ثم اجتمعوا حولي وتحلقوا

بي رويدا رويدا . ثم ماج وهاج السيد جواد الذي تحملقت عيناه
وجحظت، وصاح قائلًا: «أترين ما تفعلين بنا؟»

فتحت فمي، ولكنني عجزت عن الكلام ولم أتفوه حتى بكلمة
واحدة. ثم وضعت لوحات التعازي إلى جانب الجدار فنظروا إلي
أولا ثم إلى اللوحات.

قال السيد جواد «افتحي صرّتك، أريد أن أعرف ما بها».

قالت أمينة: «أيتها السيدة افتحي صرّتك ليستريح!»

قال السيد جواد: «طوال عمرها وهي تخذعنا، فلتسرع وتفتح

الصرّة».

فتحت صرّتي، ثم رميت بخبزي الجاف أمام تلك اللوحة ثم

خلعت خلعتي وعرضتها عليهم، فرموا بنظراتهم إليها ثم أعرضوا

بوجوههم عنها وأجهش كمال ابن صفية بالبكاء عالياً.

رسول برويزي Rasol Parvizi

ولد في مدينة تنكستان التابعة لمحافظة بوشهر جنوب إيران. وهو ضمن الرعيل الأول لكتاب القصة الإيرانية المعاصرة، حيث فرض نفسه كأحد كبار المتابعين لأسلوب جمال زاده - رائد القصة الحديثة - في الكتابة القصصية، لكن انشغاله بالمناصب السياسية، أدى إلى خروجه من ساحة الكتابة. فلم يستطع أن يخصص مساحة كافية لها مثلما فعل معاصروه أمثال صادق هدايت وبزرگ علوي.

عرفه القارئ بمجموعته القصصية «السراويل المرقعة» التي طبعت في العام ١٩٥٩، وتتضمن قصة نظارتي التي تليكم ترجمتها في الصفحات القادمة. وله مجموعة قصصية أخرى طبعت في العام ١٩٦٧ ولم تحظ باهتمام القراء كما كانت الأولى. وفي أيامنا هذه عندما يتحدث عنه النقاد يصفونه بأنه: قاصٌ يحكي خواطر طفولته وحداثته بلهجة ساخرة يتنبه خلالها القارئ للمآسي الاجتماعية والاقتصادية التي كان يعانيها المواطن الإيراني في الفترة التي عاشها الكاتب.

قصة نظارتي

هذه الحادثة حيّة إلى درجة أنها تتساطع كالشمس في ظلمة الذاكرة. وكأنها حدثت قبل ساعتين.. لاتزال في المحطة الأولى من ذاكرتي.

في الصف الثامن، كنت لا أزال أعتقد أن النظارة كالعصا وربطة العنق شيء متفرنج يضعه الرجال المتحضرون فوق عيونهم للجمال والأناقة. كان خالي العزيز الميرزا غلام رضا شديد العناية بمظهره ويرتدي السراويل وفق آخر التقلّيعات، ويستورد ربطات العنق من باريس، ويفرط في الحداثة إلى حد أنه لُقّب من قبل أهالي محلّتنا بـ «مسيو» وهو أول مولع بالنظارات أراه في حياتي. كان انهماك خالي في تلميع أحذيته واستخدامه السكين والشوكة عند الأكل وغيرها من المظاهر المتفرّجة قد كرّس عندي الاعتقاد بأن النظارات شيء يضعه المتأثرون بالغرب للتأنق والجمال. دع هذا الموضوع جانبا ولنعرّج الآن دقائق على المدرسة التي كانت نصيبي أيام دراستي. قامتني كانت دوما طويلة بالقياس إلى عمري. أمي - حفظها الله ورعاها - كانت تتملل كلما أرادت شراء ثياب لي ولأخي.. تغمز وتلمز بأنكما أشبه برايات تتطح السماء.. ما أطولكما.. تريدان الصعود إلى السماء لتأتيا منها بالحساء! ومقابل هذه القامة الفارعة كانت عيناى ضعيفتين لا تريان الأشياء كما هي. لم أكن أدري أن عينيّ ضعيفتان... لكنني كنت لا أميّز ما يكتب على السبورة فأتقدم بلا إرادة في كل الصفوف الدراسية إلى الخط الأول من المقاعد

وكلكم كنتم طلاب مدارس وتعلمون أن الصف الأول من المقاعد يخصص للطلبة القصار، وكانت هذه المشاجرات تحدث في الصف. وكنت أتشاجر دائما مع الأولاد قصيري القامة، ولأنني كنت فظا وشريرا بعض الشيء كان المساكين يستسلمون درءا للاشتباك معي بعد انتهاء الدوام. لكن القضية لم تكن لتنته عند هذا الحد.

ذات يوم صفعني أحد المعلمين بكل ما أوتي من قوة وبأس أمام باب المدرسة، ودوى رنين الصفعة إلى أواسط باحة المدرسة صاكا أسماع الطلاب. قبضت بيديّ على خدي المصفوع والشرر يتطاير من عيني من شدة الوجع، ووقفت أستمع لسباب مقذع يتدافع من فم الأستاذ، ثم قال:

«هل عميت عيناك؟ ترى أستاذك في الشارع ولا تسلّم؟!»
تبين أن الأستاذ مرّ يوم أمس من زقاقنا ولم أره ولم أحيه، ففسّر فعلي هذا تكبرا وغرورا فانتقم مني الآن وأدبني.
ولم أكن في البيت عديم النصيب من هذه النقم. كثيرا ما أنهض عن مائدة الغداء، أو العشاء الممدودة أرضا فتعثر رجلي بقدرح ماء، أو صحن طعام، أو جرّة ماء، فيراق الماء، أو ينكسر الصحن أو... فكان الأهل يفضبون وهم لا يدرون أنني نصف أعمى. أبي ينثر ما يخطر في باله من سباب. وأمي تعيّرني وتقول إنك كالبعير النافر، غير منظم وعشوائي وكل لحظة تقوم بالفوضى... ألا تنتظر أمامك.. ربما كان أمامك بئر تسقط فيها. ومن سوء الحظ أنني أيضا لم أكن أشعر بأنني نصف أعمى، بل كنت أتصور أن جميع الناس يرون بهذا المقدار.

لذلك كنت أتقبل السباب، وألوم نفسي في نفسي، وأحضنها على الحيلة عند المشي وأقول لها: ما هذا الوضع؟ تعثر دوماً بالأشياء وتخلق لنفسك الفضائح.

وكانت هنالك أحداث أخرى.. لم أتقدم في كرة القدم على الإطلاق. أرفع رجلي كباقي الأولاد، وأهدف، وأركّز كي أسدد الكرة صوب الهدف لكن رجلي لا تصيبها! فيضحك الأولاد ويتمكنني الغضب.

أفجع المشاهد وقع ليلة عرض شعوذة. كان قد وفد على شيراز شخص يشبه غلام حسين المشعوذ، وتدفق الناس رجالاً ونساءً وأطفالاً، لمشاهدة ألعابه السحرية وخفة يده. كانت صالة مدرسة شابور مكاناً للعرض. ومنحني معاون المدرسة بطاقة دخول مجانية. كان للطلاب الأوائل بطاقات مجانية. طرت من الفرحة لهذه البطاقة، وذهبت ليلتها وكان مكاني في آخر الصالة. سمّرت عيني على المنصة وضيقّت أجفاني لأرى ما يدور إلى أن اعتلى ذلك الشخص المنصة.. أخرج منديله وبدأ ألعابه السحرية ورأيت كل من حولي تفتتهم هذه الألعاب.. يتحيّرون حيناً، ويفزعون حيناً آخر، ويضحكون تارة ويصفقون أخرى.. لكنني كلما ضيقّت أجفاني وضغطت على عينيّ لم أرَ ما يفعل الرجل جيداً. تتحرك أمام عينيّ الأشباح لكنني لا أميّز ما هي ومن هي وماذا تفعل. خيم عليّ الحزن والقنوط، واضطرت إلى التطفل. سألت الذي بجانبني ماذا يفعل الساحر؟ إما كان يعزف عن إجابتي أو يقول لي:

هل أنت أعمى؟! ألا ترى؟ ليلتها شعرت بأنني لست كباقي
الأولاد لكنني مع ذلك لم أفطن إلى دائي.. شعرت فقط بأن فيّ
نقصا ما، استحوذت عليّ مرارة مقرفة.

ومن سوء الحظ لم يفطن أيّ بشر لمشكلتي... جميعهم كانوا
يحملون أخطائي - وهي نتيجة ضعف بصري - على غيائي
وإهمالي وعدم تركيزي.. وكنت أشاركهم هذه الأفكار.

مع أننا كنّا قد سكنا المدينة منذ أعوام، لكن بيتنا احتفظ
بظاهره القروي. في الميناء كان يفد علينا فجأة عشرة أشخاص
أو أكثر يأتون من الصحراء بخيولهم وبغالهم وحميرهم ضيوفا،
ويبقون عندنا أياما. ففي شيراز تواصلت هذه الزيارات المفاجئة.
كبا الزمان بوالدي لكنه لم يترك الجور على نفسه والتظاهر
بالثراء. ومع أن بيتنا وأثاثا كان مرهونا عند السماسرة غير أن
ضيافاتنا لم تنقطع. كل تائه وابن سبيل يتحرك من الجنوب لا بد
أن يمرّ ببيتنا. رحم الله أبي كان ذا صدر رحب وعلى الرغم من
فقره كان يقلد أعمال الملوك.. يبيع ساعته اليدوية ليقري ضيفه.
وكانت إحدى الضيفات عجوزا من أهالي مدينة كازرون.
تعمل نائحة للنساء. تقرأ التعازي والمآتم. مهذارة وفضول. وهي
مع ذلك عذبة الحديث وقصّاصة. نحن الأطفال كنا نحبها كثيرا.
حينما تفد إلينا تتناوبا البهجة والغبطة. في الليالي، تقص لنا
القصص، وتغنّي أحيانا فيصفق الجميع. لم تظهر التكلف مع
أحد.. تتحدث بصراحة وصدق، وتقصف الناس بعيوبهم كما هي
من دون تلميح أو كنايات. أمي كانت شديدة الحب لها.

عموما، كانت ضيفة عزيزة على القلوب. تحمل معها كتاب

زاد المعاد وكتب الأدعية والتعازي والمراثي.. تلفّ كلّ هذه الكتب في صرّة ملابس. وكانت لها نظارة. نظارة قديمة لوزية الشكل. كانت نظارة بالية مكسورة الإطار، وقد وضعت العجوز بدل الذراع اليمنى سلكا نحاسيا، وبدل ذراعها اليسرى خيطا من صوف تلفّه على أذنّها اليسرى.

ذات يوم تشيطنّت فقصدت صرّة العجوز حينما لم تكن في الدار. بعثرت كتبها أولا، ثم أخرجت نظارتها السالفة الذكر من علبتها لأشبع رغبتى بالمشاكسة وأستهزئ بالعجوز في نفسي. وضعتها على عيني لأنصرف وأتمازح مع أختي بمظهري المضحك الجديد. كانت لحظة عجيبة مذهلة لن أنساها ما حييت. ما إن وضعت النظارة على عينيّ حتى انقلبت الدنيا بعيني، وكل شيء تغيّر عندي. أتذكر أنه كان عصر يوم خريفي. الشمس باهتة، وأوراق الأشجار تتساقط كالجنود إذا أصابهم الرصاص. لم أكن قد شاهدت من الأشجار قبل ذلك اليوم سوى كتل من الأوراق المحبوكة، وفجأة رأيت أوراقها هذه المرة منفردة واحدة واحدة. وكنت أرى الجدار أمام غرفتنا مستويا صافيا والآجر مختلطاً، فرأيت يومذاك لأول مرّة كما هو، وكل آجرة مستقلة عن جاراتها بخطوط واضحة تحت ضياء الشمس المخطوف. أي لذة هذه.. إنها الدنيا يعطونني كل ما فيها لأراه.

لم تتكرر تلك اللحظات وتلك الملذات أبدا. ولم يرتق بعد ذلك شيء في نفسي إلى مستوى تلك الساعة الخالدة من العمر. فرحت إلى درجة أنني عصرت نفسي عدّة مرّات ورحت أرقص وأقفز وأفرقع وأطّق أصابعي ببعضها. شعرت بأني ولدت لتوي

وأن للدنيا معنى جديداً في روعي. فرحت إلى درجة عقدت لساني فلم أستطع التفوه بشيء.

خلعت النظارة فعادت العوالم حالكة في عيني. لكني كنت مطمئناً ومسروراً هذه المرة. طويت النظارة وأعدتها إلى محافظتها. لم أذكر شيئاً لأمي. لو نبست ببنت شفة لأخذوا النظارة مني وانهاالت خراطيم النرجيلات على يديّ وظهري. كنت أدري أن العجوز لن تعود لبيتنا حتى بضعة أيام.

وضعت علبة النظارة في جيبتي، وقصدت المدرسة ثملاً بفرحة العالم الجديد الذي صار في وسعي معانقته.

بعد ظهر ذلك اليوم كان صفنا في غرفة قديمة جميلة. مدرستنا كانت بناية أرسقراطية عتيقة.. كانت حديقة النارج وكانت غرفها مزينة بالمرآيا، وصفنا كان في أفضل غرف ذلك القصر. لم يكن في الصف نافذة، وكانت له باب صغيرة مملوءة بفنون الزجاج الملون. كانت شمس العصر تسطع على هذا الصف فتتراءى وجوه الطلاب البريئة كالألئ شفافة جميلة في خاتم ثمين.

الدرس الأول هو إعراب اللغة العربية. معلم العربية شيخ هرم هزل الطباع دقيق النظر له من العمر نحو قرن. كل الذين في مثل سني ممن درسوا في شيراز يعرفونه. كنت واثقاً من عيني هذه المرة لذلك لم أجلس في الصف الأول. ذهبت وجلست في الصف الأخير، أردت اختبار عيني بالنظارات.

مدرستنا كانت مدرسة الأثرياء في محلة الأشقياء. لذلك لم يكن عدد الطلاب في المرحلة الإعدادية كبيراً. فكان تلاميذها

كالمحاصيل المصابة بآفة الأرق يهربون عاما بعد عام مفضلين العمل في المخابز على قراءة التاريخ والأدب. في الواقع أن هموم الحياة كانت تفرض عليهم ترك المدرسة. لم يكن في صفنا الكثير من الطلاب. إذا حضر جميع التلاميذ لجلسوا حتى الصف السادس من المقاعد، وقد اخترت الصف العاشر لاختبار عيني المسلحة بالنظارة. موقفي هذا إلى جانب سوابقي في الوقاحة والشورور أثارت في البداية سوء ظن المعلم الشيخ. شعرت بأنه يرمقني شزرا. لا بد أنه تساءل مع نفسه: لماذا يجلس هذا الطالب المشاغب في الخط الأخير بخلاف عادته؟! ربما كانت هناك غاية في نفس يعقوب!

واستغرب الطلبة إلى حدٍّ ما أيضا، خصوصا وأنهم يعرفون حالي. كانوا يعلمون أنني خضت معارك طاحنة من أجل الجلوس في الصف الأول. مع ذلك بدأ الدرس. وكتب المعلم جملة عربية على السبورة، ثم رسم جدولا، ووضع كلمة عربية في العمود الأول من الجدول وقام بإعرابها في الأعمدة المقابلة. في هذه اللحظات اغتتمت الفرصة ومددت يدي وأخرجت العلبة. أخرجت النظارة من العلبة بحذر ووضعتها على عيني. ثبتّ الذراع السلكي خلف أذني اليمنى، وأخذت خيط الصوف إلى أذني اليسرى ولففته عدة مرات حول صيوان أذني وعقدته.

كان وجهي كوميديا حقا بتلك النظارة. جسمي الضخم، ووجهي الكبير، وأنفي النافر الكبير المعقوف، لم يكن أي منها لينسجم مع النظارة اللوزية ذات الزجاج الصغيرة. ناهيك عن ذلك، فإن ذراعي النظارة الخيطية والسلكية كانا زيتا على نار

المهزلة. مهزلة يمكنها إضحاك حتى الثواكل، فما بالك بطلاب مدرسة ينتزعون الضحكة لأفواههم من أي شيء.

لا أراكم الله مكروها. كتب معلمنا المحترم السطر الأول، والتفت ليلقي نظرة على الطلاب ويستوثق فهمهم من أمارات وجوهمهم. وفي لحظة وقعت عينه عليّ. ألقى الطباشير متحيرا وظل يتفحصني بنظراته لمدة دقيقة. لم أكن قد تفتنت لحيرته فقد كنت غارقا في لذة أذهلتني عن كل شيء. في الصف الأول كنت أقرأ كتابات السبورة بألف مشكلة، والآن أقرأها بكل سهولة. كنت ثملا في هذه الحياة الجديدة ولم أنتبه إلى الحكاية التي بدأت تدور حولي. عدم اكتراحي لنظرات المعلم المتسائلة أكد لديه أنها لعبة جديدة مني للسخرية منه وإضحاك الطلاب عليه.

فجأة، انطلق كنمر غاضب، وكان ذا لهجة شيرازية شديدة، ومصررا على التحدث بالعامية. كان يقول وهو يتقدم نحوي:

يا سلام، لبست قناع المهرجين! هل ظننت الصف سيركا أو

مسرحية كوميدية؟

كان الصف هادئا قبل أن يتفوه بكلماته والطلاب مولين وجوهمهم شطر السبورة، وحين بدأ هجومه التفت الطلاب إليّ وولوا وجوهمهم نحو الخلف ليطلعوا على ما وقع وما أن نظروا إلى الوراء ورأوا نظارتي كما وضعتها حتى ضجّ الصف بالضحك كأنما أصابه زلزال.

هزت أصوات الضحك المهيبة الصف، والمدرسة. انهالت القهقهات والتعليقات والأصوات فأثارت غضب المعلم أكثر. توهم أن كل هذا مدبر للسخرية منه. عدت إلى وعيي بهجوم المعلم

وضحكات الطلبة، وشعرت بالخطر.. أردت أن أخلع النظارة بسرعة، وما أن امتدت يدي نحو النظارة حتى لعل صوت المعلم: «اتركها، لناخذك إلى المدير. بقناع المهرج.. ما أنت والمدرسة والدراسة والكتب!»

ها هو الصف غارق في الضحك، وأنا مرتبك متلعثم كأنما ختم على فمي فلم أعد أدري ما أقول. بقيت النظارة الأثرية على عيني وأنا أرمق المعلم من ورائها ذاهلاً. طُفح به الكيل هذه المرة ووقف أمام طاولتي مباشرة.. إحدى يديه خلف سترته ويده الأخرى مستعدة للصفع. قال وهو في هذه الحال: قم وأغرب، هيا بسرعة، قم وأغرب!

نهضت أنا المسكين والنظارة لاتزال على عيني والصف غارق في الضحك. تحاشيته لكي لا تصيبني صفعته أو لا تصيب وجهي على الأقل، مررت من أمامه بكل ما أوتيت من خفة لكن صفعته انطبقت على وجهي وانكسر سلك النظارة فبقيت معلقة، لتزيد من كوميديا الموقف. وما أن أردت إرجاع النظارة حتى أتتني ركلتان قويتان.

لم يكن ثمة مجال للتأوه والأنين.. قفزت بسرعة وخرجت من الصف.

شكّل المدير والمعاون ومعلم العربية لجنة، وبعد مداولات طويلة قرّروا فصلي. حين أرادوا إشعاري بالقرار، ذكرت لهم قضية بصري الضعيف. لم يصدقوا في البدء، لكن لهجتي كانت صادقة إلى درجة تؤثر في الصخر.

وحين وثقوا من ضعف نظري تجاوزوا عن إساءتي، وقال

أستاذ العربية بلهجته المعهودة:

لَمْ لَمْ تخبرنا قبل هذا.. لا وفقك الله.. كان عليك أن تخبرنا
من البداية. غدا حين ينتهي الدوام، تأتي إلى شارع شاه چراغ عند
دكان الميرزا سليمان العويناتي.

في اليوم التالي، بعد عمر من المحن، وبعد مهانة يوم أمس،
ذهبت عقب انتهاء المدرسة إلى صحن شاه چراغ، وقصدت دكان
الميرزا سليمان العويناتي. وجاء أستاذ العربية فأخذ النظارات
واحدة واحدة من الميرزا سليمان ووضعها على عيني وقال: انظر
إلى ساعة حرم شاه چراغ، حتى ترى العقرب الصغير؟ اختبرت
النظارات واحدة واحدة إلى أن استطعت أن أرى بواحدة منها
العقرب الصغير في ساعة حرم السيد شاه چراغ.

أعطيت الميرزا سليمان خمسة عشر ريالاً وأخذتها منه
ووضعتها على عيني، وأصبحت من حينها «أبو نظارة».

محمد أيوبي (١٩٤٢ - ٢٠١٠)

Muhammad Ayobi

ولد في مدينة الأهواز التابعة لمحافظة خوزستان جنوب غربي إيران. كتب محمد أيوبي القصة القصيرة والرواية على مدى عقود. تعكس قصصه أجواء الجنوب وغالبا تحدث وقائعها في فضاءات الجنوب الإيراني.

صدرت مجموعته القصصية الأولى وتحمل عنوان «الجنوب المحترق» قبل انتصار الثورة الإسلامية وتالت بعدها قصص وروايات أخرى ومنها: أغنية الجنوب الطويلة، أقنعة التسليم، تحت مظلة الشيطان، ساق للركض، ازدهار الصخر وغيرها. رواية يوم الخنزير هي قصة رجل يحتمي بقواه الجسدية في تصرفاته لمواجهة الناس والحياة ولا يستخدم عقله لإدارة أموره ومع ذلك فإن خلجاته الروحية تدل على أنه يتظاهر بالغباء. للتعرف على أسلوب هذا الكاتب نقرأ صفحات من رواية «يوم الخنزير».

يوم الخنزير

أترين يا امرأة؟ هل صدقت الآن؟ أأزلت مرتابة؟ لا لا ترتابي. هو أنا! حبيب ذاك المجنون المريك الساذج البسيط، ذاك الذي على حد قولك وقول أختي: «إذا ما دخلت فمه ذبابة فلا سبيل لها إلا الموت لأنه لا يفتح فمه أبدا!» الآن يقضي معظم يومه أمامك، أو يتمشى على حد قول إيرج كما يمشي المعلمون بلا خوف ولا فزع، وهو لا ينفك يتكلم، حتى إنه لا يسمح لك بأن تتفوهي بكلمة؟

كم مرّة - أقسم بحياة علي - في هذه الأعوام، كم مرّة أردت أن أخبرك. وقد انتبهت لي أيضا عدّة مرات وقلت: «ماذا؟ لماذا أنت تحديق بي هكذا؟ أتريد أن تقول شيئا؟ هل تتمكن من الكلام؟ ألم تسمع الجيران أخذوا يتكلمون مع بعضهم بصوت مرتفع، ويقولون لبعضهم إنه بكم أو على وشك أن ييكم ألم تلحظوا؟ فهو لم يعد يجيب السلام، أو يجيب كالبكم بكلام غير مفهوم. حسنا لم أنت الآن تحديق بي هكذا؟ هل تريد قول شيء؟».

وأنا، طبعا كنت أحاول... حتى إني - إذا كنت تتذكرين - في إحدى المرّات دلّكت عضلات حنجرتي وبلعومي بيدي عسى أن أنجو من انقباض العضلات هذا وأتمكن من أن أقول لك: «نعم سيدتي العزيزة! أريد أن أتكلم، وأحكي لك بنفسني عن كل ما تسمعيه في الدنيا من هذا وذاك. هذا وذاك الذين اعتادوا أن يضحخوا الأمور ويصنعوا من القشة حمل بغير! نعم أريد أن أتكلم، لا ليوم ويومين، بل لأربعين يوما وليلة إن تطلب الأمر، نعم

كلامك صحيح، أصنع ألف ليلة وليلة جديدة، فأنا عائم جيد
إلاّ إنني لم أجد ماء» لكنني لم أتمكن. كان يجب أن أكون مهيثا
كما أنا الآن، حتى أريك جراح القلب جرحا جرحا وأشفي بعض
غليلي. أشفي غليلي مما كنت أحتمله من كلامك الجارح وما كنت
أحتمله من إهاناتك التي كنت تتهالين بها علي كل حين وتدمين
بها فؤادي.

كنت أريد أن أكتب لك كل هذا عوضا عن الكلام وأكتب لك
أنت بالذات حتى تذهلي من شدة التعجب، لكنني لم أستطع!
فالرياح لا تجري بما تشتهي سفني وسفنك! فلو كان كذلك لادعى
الجميع بالألوهية - أستغفر الله - فنحن البشر على الرغم من
ضعفنا ومسكنتنا لا نرحم بعضنا بعضا ونفعل ببعضنا الأفاعيل!
فماذا لو كنّا نتمتع بالبطش والقدرة؟ لا تخافي فأنا استطعت
التكلم فحسب ولست قادرا على شيء آخر. وهذا أيضا لا أقدر
عليه إلاّ وأنا في هذه الزاوية من الغرفة وبعد أن ظفرت بك
وحدك على سريرك وصنعت بك ما يجبرك على الاستماع فقط.
اسمعي يا بنت، لقد تعبت، لا ليس من الشيخوخة! أيّ
شيخوخة؟ وما الذي بلغته من العمر؟ أنا لا أعلم على وجه
التحديد ولكنك بإمكانك أن تسألي من بتول أختي، فهي تعلم
على ما أظن. أسأليها في ما بعد إن استطعت. ليس الآن، في
ما بعد. لكن صدقيني ليس من الكبر. أقسم لك؟ ولم أقسم
بحياة علي؟ إذا كان لا بد من ذلك فيجب أن أقسم بحياتك أنت!
هل استأثرت! اعذريني، فأنا لا يروقني اسم «كلجهرة». لا أعلم
لماذا تفضلين وتصرين على أن ينادوك بـ «كلجهرة» أو «بريوش»!

أنا؟ أفضل اسم «أختر» أكثر من غيره. لماذا؟ من غير سبب. الآن تسألين عن السبب؟ لعل السبب هو أن حلاوة كلامك الأول لاتزال في نفسي بعد كل هذه الأعوام، ألا تذكرين؟ أول مرة عندما قلت: «اسمي أختر، أعمل في شركة إيران غاز!» ألا تصدقين أنني مازلت أذكر هذا؟ أنا لم أنس الذكريات الحلوة على قلتيها. كما أنني لم أنس الذكريات المرة والإهانات والأذى على كثرتها، فلم أنس حتى واحدة منها. ثم يقولون لي: غبي! أبله! فلم أتحمل الألم من «سلطان» وحده. صحيح أنه كان يضربني ويضربني ويقول: «اضربهم حتى يصبح هؤلاء الصبية رجالا حتى لا يستسلمون لنكبات الدهر وأدنى آلام الحياة، هذا فحسب!» لكن سلطان كان أحدهم، ماذا عن الآخرين؟

كانت طفولتي في مدينة «دزفول» عبارة عن جحيم يا أخترا لا أستطيع أن أصفها بالكلام والسمع لا يغني عن البصر كما يقولون. ما إن تغفل حتى يصيبك القرع لكثرة وجود القرعان. على ضفة النهر، في السوق، تحت السقيفات، كل مكان يموج بالأطفال القرعان. يكفي أن تهمل نفسك فإذا بك مصاب بالتراخوماو من ثم العمى، فما أكثر العميان الذين كانوا عندنا هناك. كنا نلهث تحت سطوة شمس القيظ حتى نكاد نلفظ أنفاسنا الأخيرة من شدة العطش. كنا إذا ما وصلنا إلى بركة، أو ساقية، أو جدول ماء صغير يتمتع ماؤه بشيء يسير من النقاء والصفاء وأعني بهذا أنه ليس كدرا وليس نتنا، لم يكن العطش يدعك أن تفكر في جنة ولا نار. فقط يكفي أن تعلم أن النهر بعيد عنك، بل ما الفرق أصلا بين مياه البركة ومياه النهر، فهل كنت تظنين

أنها أنقى وأعذب؟ كنا نلقي بأنفسنا في هذه البرك والغدران كالولهان ونكرع الماء كما تكرع البقرة العطشى حتى نرتوي. ثم لم تمض أربع وعشرون ساعة حتى يبدأ دور المغص وآلام المعدة التي لا تبقى لك معها حيلة. فقد كان من الممكن العثور على أنواع الموجودات الحيّة كالأفاعي والعقارب والضفادع في بطنك نتيجة لتلك المياه الملوثة. فالمحظوظ من كانت الضفادع الحيّة تسبح في بطنه. فلو كانت أفاعي، أو عقارب لانتهى أمره. كنت في الخامسة وكنت أرى هذه المشاهد، قلت لك؟ لم أنس شيئاً ما. كان لجارنا ابنة في الخامسة أيضاً وكانت تسمى خديجة. كنا نلعب مع بعضنا أحياناً. خرج من بطنها مخلوق عجيب غريب. كلنا رأيناها. في البداية قضى على الطفلة ثم خرج من حلقها مع أنفاسها الأخيرة. تصوري أنه يشبه العقرب، بيد أن له ذنبا كذنب الأفعى وأرجلا كأرجل السلحفاة. في البداية كان بقدر قبضة اليد، لكنه بعد أن خرج صار يكبر ويكبر كأنه شيء مسحور. ثم أخذ ينفخ على الجميع حتى أخافهم ثم ذهب إلى السقيفة والكل شاهده يخرج من السقيفة لكنه غاب عن الأنظار فجأة! وكأنه لم يكن أصلاً. فلولا موت الطفلة لما صدق أحد ما كان رأى، أمّ الطفلة صنعت ما صنعت فقد كانت ابنتها الوحيدة وكانت قد أنجبته بعد اللتيا والتي وبعد علاج طويل، أنجبت هذه الطفلة. الله يعلم كم كانت تتصدق للحفاظ على ابنتها من الحسد. ولأقل لك: لم يكونوا ميسوري الحال. كانت تتصدق بطعام يومهم إلى الفقراء حتى تبعد عن طفلتها العين الحاسدة. وكم كانت جميلة تلك الطفلة، فعيونها الزرقاء مازالت تراودني في المنام وتعمل بي

ما يجبرني على الصراخ والاستيقاظ من النوم. ألم تنتهي عندما أستيقظ من النوم مرعوبا؟ ذلك لأنني أنام في النهار. فهل نسيت أنني كنت أذهب مساء للعمل في المسلخ وعندما كنت أستيقظ مرعوبا من تلك العينين الزرقاوين كنت أنت في العمل غالبا، لكن أختي كانت ترى هذه الفزات.

بعد موت أمي - هل تعلمين؟ - ولعل أختي قد قالت لك بعد موت أمي اضطررت إلى العيش مع أختي هذه.

هل سألت نفسك في تلك الليالي الثلاث، عندما دفعت مبلغا وعرفت شابا بدلا مني على سلاخي المسلخ، حتى أستطيع أن أحضر ليالي زفافي، هل سألت نفسك لماذا لم أطبق جفني طوال الليالي الثلاث، ولماذا لم أنم؟ هل نسيت عندما كنت تستيقظين كنت تسألينني: «ألا تزال صاحيا» أو «أنت استيقظت أيضا؟» أو «كنت تنظر إلي وأنا نائمة؟» أترين، إنك أكثر غباء مني، حيث نسيت كل هذه الأمور! وكم مضى عليها حتى تنسي؟ أحاول أن أذكرك: أظن أن أختي اختلقتها من نفسها: «أمي كانت قد بنت لكم أحلاما أنتم الأولاد، على الأخص لك يا حبيب لكن ويا للأسف حقا فقلب الأم في وادٍ وقلوبكم في وادٍ. هي قلقة ألا تؤذيكم شوكة وأنتم ولا كأنكم بشر. حقا كوني كلبة ولا تكوني أما».

لم تكن جادة في كلامها. عندما توفيت أمي لم نكن نحن الأولاد في سن تؤهلنا للزواج وإدارة أسرة. يمكن أن مجيدا، أو عزيزا بما أنهما كانا أكبرنا سنا، كان باستطاعتها ذلك، لكن لا، فكم كان عمرهما؟ أنا؟ قولي خمسة عشر وعزيز ستة عشر،

أو لعله سبعة عشر: عندما ولد عزيز أجبر أمي على أن تظلم مجيدا. فلم يرتو مجيد من اللبن. عندما كانت حبلى بعزير كانت النساء تقول لها: «إن هذا أسوأ من السم يا زري، هذا اللبن الذي ترضعين به هذا الطفل ليس غير نافع فحسب، بل هو مضر أيضا! افطميه!» وكانت تقول أمي في جوابهن: «إذا لم أعطه هذا النزر من القحيح والدم على أنه لبن فماذا أعطيه إذن؟ لعلكن تردن مني أن أضحي بأحد أولادي من أجل الآخر؟ إذن ما الفرق بيني وبين الكلبة التي تأكل أحد أولادها عند الإنجاب كي تتقوى به وتستطيع أن ترضع جراءها الأخرى».

وكن يقلن لها: «أعطيه لبن البقر، أو الجاموس، أو ما شابه، أعطيه شيئا، هذا حرام والله».

وكانت أمي تجيبهن: «حقا أن الراكب لا يشعر بالراجل والشبعان لا يشعر بالجوعان تتكلمن ببطر! بأي نقود؟ أتظن أنني أملك المال وأبخل به؟ والله إن سلطان لم يترك لي شيئا. نعم كان عندي في يوم من الأيام وكنت أمتلك من الذهب فقط كيلوين! وأما الآن فلم يبق منه سوى حسرته التي تكوي فؤادي».

كنت أقول: «أختاه ما جدوى هذا الكلام الآن؟» كنت أقول في قلبي، وأنظر إليها فقط، حتى تفقد أعصابها وتقول: «قل شيئا يا حبيب، لماذا أنت ساكت هكذا! لمَ تحرق في المرء هكذا وكأنك أبكم؟ فالمرء يخاف من نظراتك هذه والله. من أجل هذه النظرات الناس يتهمونك بالجنون فلتقل شيئا!» أنت أيضا كنت تقولين: «هل يجب أن أتكلم أنا فقط؟ طيب تكلم أنت أيضا بكلمة، كي لا يقولون زوجك أخرس!».

لم أكن أستطيع، كنت أنوي ذلك، عندما كنت أخرج كنت أتشاجر مع نفسي إلى حد الإعياء وكنت أقول في نفسي عندما أرى أختر، عذرا كلجهره، ماذا يعجبك في كلجهرة؟! طيب كلجهرة كنت أقول في نفسي عندما أرجع سأقول كذا وكذا وسأضحك وأمازحك وأضرب على فخذك مازحا. لكني لم أستطع. عندما كنت أصل وبمجرد أن تقع عيني على أي شخص في البيت، يصيبني الخرس. في رأيك كيف حصل وتزوجنا؟ قالت أختي: «يا مسكين أي عمل هذا الذي تعمله؟ أتظن أنك تستطيع هكذا الاستمرار في الحياة؟ ترتدي الثوب حتى يهترئ على جسمك ثم تبدله بثنان وهكذا مع الجديد؟».

كانت أختي محقة. في الليل كنت أرتدي ملابس قديمة للعمل في المسلخ. كانت كأنها ملابس جلدية لكثرة ما علقت بها الدماء والشحوم لقد صار لونها قاتما وغريبا يشبه لون الدماء عندما تجمد وثقيلة ومتصلبة وكأنها من الكرتون، أو البلاستيك السميكة حتى إنك لا تستطيعين أن تهتدي إلى لونها الحقيقي الذي كانت عليه يوما، أترين يا أختر؟ الآن وقد استطعت أن أكلمك وعيناي في عينيك مازلت أتلعثم في الكلام كما يتلعثم المرتبكون، أو المعاقون - على حد قول إيرج ابن أختي - يجب أن أجد حلا أساسيا. ليتني كنت أستطيع أن أتكلم كما يتكلم إيرج على الأقل، لكنه متعلم وتعليمه جيد وقد تحسن الآن ولعله إذا كان هنا كان سيعلمني طريقة التحدث، تذكرت: كان دائما يقول: «خالي حبيب! حاول أن تتكلم عن جميع المواضيع كما تتكلم عن أفلام خنساء العرب وعنتر وعبلة وشزم والصاعقة وعلى سبيل

المثال المشرد والساحر وإسبارتاكوس وبن هاور وسائر الأفلام التي كنت قد شاهدتها. بنفس الطريقة، أي كما لو تتكلم مع نفسك كيف تكون عندها مرتاحا ولست مرتبكا وتستطيع بسهولة أن تعبر عما في داخلك، والآخرين يستطيعون بسهولة فهم ما تقصده».

يجب أن أحاول أن أتكلم معك بنفس السلاسة التي علمني إيّاها إيرج حتى لا أرتبك، وأنت أيضا تستطيعين فهمي. سأحاول: أبدأ بالأمور التي تعرفينها جيدا، بالأمور التي كان لك فيها دخل مباشر: يجب أن أحاول، دعيني أرى ما الذي أعرفه جيدا كما أعرف نفسي وأعرف حالاتي الشخصية مثلا. المسلخ أعرفه جيدا، حتى أكثر من نظرتي إلى الأشياء! كان إيرج يقول: «إذا حدّقت في شيء، أي شيء كان، ترخي جفن إحدى عينيك حتى تبدو وكأنها نعسى ثم تغلق الأخرى، على حد قول أمي تبقى عينك مفتوحة بقدر شرخ قدم الفلاح، وفي الظاهر أنك تبصر بتلك العين المفتوحة، لكنك تنظر بالمطبعة وتفهم الأمور من خلالها».

إن بيّتي الحقيقي كان المسلخ ولعل صعوبة نطقي هي لكثرة نظري إلى مشاهد المسلخ. في المسلخ الناس لا يتكلمون كثيرا، لكنهم ينظرون عوضا عن ذلك بشكل مستمر. العمل في المسلخ مهم وأساسي، سواء كان للذابح، أي الجزار، أو للبقر والأغنام، أي الضحية والمذبوح. لم تشاهدي حالة الحيوان الذي يذهب نحو الجزار ليلقيه أرضا باتجاه القبلة ويذبحه ثم يقذف الرأس جانبا ثم يلحق به اليدين والرجلين حتى يستجلب نظر الطباخ وترسم في ذهنه طبخة دسمة تروق للزبائن، أو أنه سيستاء

ويقطب وجهه ويقول متذمرا «يا إلهي هذا الرأس أيضا كسابقاته لا تكاد تجد في وجهه مثقالا من اللحم لشدة الهزال! في النهاية ستضيعون مني الزيونين أو الثلاثة الذين حصلنا عليهم أنا وأخي بالكلام الجميل والأخلاق الحسنة!».

أما الشاة، أو الماعز فتجلس في زاوية وقد رأيتها ترتجف بعض الأحيان عندما يذهب الجزار نحوها وييده السكين والشاة مقيدة كي لا تتمكن من الهرب. وأين تهرب؟ أينما تجول ببصرها ترى الذبائح من فصيلتها معلقة من الكلابات ورائحة الدم والموت قد أصابتها بالدوار وهي ترى أن السكين التي تأتي نحوها يقطر منها دم أمها وأبيها وأخيها التي كانت أمامها حتى البارحة رابضة تشتري في خير وعافية وتطلق بعض الثغاء أحيانا عندما تشبع من الطعام.

رائحة الدم، رائحة الموت المبتلة واللزجة كانت تفرز جسمي كله. في الليلة الأولى، كانت تفرزني وتلسعني لسعا في حين كانت يدي مبتلة من العرق في كف سلطان السمين والقوية. منذ الليلة الأولى دخل معي هذا العرق والنتن واللزج إلى المسلخ ولم يفارقني بعدها. كانت عيناى تعشو ولا أكاد ألمح شيئا في عتمة الضباب والهواء المرطوب، سوى نعيق الحيوانات ولا أكاد أرى شيئا سوى جثث الذبائح المعلقة على الكلابات ولا تعلمين كم هو مخيف هذا المنظر؛ إن تمسك بيد طفل صغير حتى لا يكاد يستطيع الإفلات وتأخذ به إلى صالة كبيرة ممتلئة بالكلابات والشبائات الحديدية التي تتأرجح من بعضها جثث الحيوانات المسلوخة عن جلدها، التي سلخت عنها جلودها من حيث علقت حتى وصلوا

بها إلى صدورها وأيديها في الأسفل فتُركت متدلّية كما لو كانت شماسي بيضاء مقلوبة على الصدر والأيدي لا تكاد ترى من تحتها إلى حين. ثم الذبائح المشقوقة إلى نصفين. فالأنفاس لا تكاد تصعد إلى الأعلى. في وسط الصالة وعلى أرضيته تنتشر البالوعات. البالوعات التي تبتلع وتمتص الدماء من دون وقفة والتي يبدو أحيانا صوت امتصاصها كقهقهة المجنون. بين الحين والآخر يلقون بحيوان على الأرض وعلى بقايا الدماء التي أريقت من الحيوانات التي سبقته ولمرتين لا أكثر يمررون السكاكين على المصقلة كما لو كانوا في سباق يصقلون السكاكين وهي تبرق تحت ضوء المصابيح المعلقة في أعلى السقف حتى لا تكاد ترى كما لو كانت قد وضعت في انتهاء نفق طويل، فماذا يمكن للطفل أن يرتسم في ذهنه في هكذا أجواء؟ ما الذي كنت أتصوره أنا؟ كنت أرتجف وأقول في نفسي إن سلطان لا يحبني من دون شك ولكن حتى لو كان يحبني ماذا عساه أن يفعل إن التبس على جزار الأمر وتصورني شاة (الشيء كانت أصغر مني بكثير) إذن من الممكن أن يلتبس الأمر على ذاك الجزار الأعور مثلا والذي كانت عينه تلك الصحيحة أيضا قد احمرت وارتسمت عليها بعض البقع، ماذا إذا أخذني بدلا من الشاة وبطعني أرضا. فحتى يأتي سلطان ويقول: «ماذا تفعل! هذا ولدي هذا حبيب!» يكون الجزار قد سحب سكينه على رقبتني وألقى برأسي أيضا مع رؤوس الأشياء التي يقلبها الطباخ بقدمه ويقول مستاء من هزالتها «وهذه أيضا هزيلة» أشعر بأن هذه هي أنفاسي الأخيرة التي تتردد في صدري...

شهریار مندنی پور (۱۹۵۶)
Shahriar Mandani Poor

قاص وروائي ولد في مدينة شیراز. ويعتبر من الأسماء اللامعة في قائمة الجيل الثالث لكتاب القصة الإيرانية الحديثة. صدرت مجموعته القصصية الأولى في العام ۱۹۸۹م واعتبرها النقاد من القصص التي تنتمي إلى المدارس الحديثة وما بعد الحداثة من حيث البناء اللغوي والأسلوب السردي. يعتبر هذا الكاتب اللغة جوهراً للكتابة القصصية ولا يستخدمها كوسيلة لنقل المعلومات. له كتاب بعنوان «أرواح شهرزاد» يختص بفنون الكتابة القصصية الحديثة. وله رواية بعنوان «شرق البنفسج» وأيضاً له عدة مجاميع قصصية ومنها «اليوم الثالث للأرض»، «قمر الظهر»، «زرقة ما وراء البحار» وغيرها.

إنسان الأرض

يوم من أيام الربيع، نحو منتصف هذا القرن، كان السيد فَرَّة مَند، أستاذ قانون البحار يتحدث إلى خطيبته الجميلة، حتى قال آخر ما قال:

ليس لي حيلة أخرى... اغفري لي وللدهر أيتها الفتاة الطاهرة... إذا كانت لي رجعة في مثل هذا اليوم بعد أربعة أعوام فلتكن، وإن لم أجذك في هذه المحطة في انتظاري فسأفهم أنك لم تستطعي البقاء وفيّة لي... أنت حرّة... مخيرة... لا تشغلي بالك بي...

وضع خاتم خطوبته في كف حبيبته زمرد وأسرع مبتعدا لكنه فكر بهدوء: «ما كان احلى تينك العينين الزمرديتين خلف الدموع بلا تزويق». لكنه وخوفا من تردد يعتري خطواته قرّر ألا يفكر في خطيبته مجددا. كان قد سحب جميع أرصده من المصرف قبل بداية عطلة رأس السنة الجديدة وأقفل بابه للأعوام الأربعة القادمة. تحرّك القطار ومع ارتفاع قرقعة عجالاته المعدنية على سكك الحديد؛ ضرب السيد فَرَّة مَند بقبضته على فخذه قائلا: «أستطيع أن أجح انج ح سانج ح».

في أعماق غابات شمال البلاد، ابتاع كوخا نائيا وحيدا وكوّم تلا من الطعام الملب فيه، حيث سيبدأ عهدا جديدا، مجهولا، بلا عنوان لمعارفه، أو جريدة، أو كتاب، أو أوراق أو أقلام، أو مذياع، وبلا أي شيء قد يتيح له إقامة أي اتصال خطير؛ جامعا حياة مترهنة في كل ذلك. ولم يعثر على راحته المنسيّة إلا بعد

أن أنهى توضيب كوخه. خارج ملجئه، جلس على جذع شجرة مُلقى، وحدّق في الوادي الذي يكوّن المشهد أمامه. كان الليل في الطريق وبدأت أشجار البلوط العتيقة بالاختباء في كتل الضباب المتصاعد، وتألقت أول نجمة في السماء الزرقاء. تسلى باستنشاق رائحة عصارة أشجار الكمثرى الجبلي والنباتات البرية التي كانت تعبق بها الأجواء. تأوّه طويلاً: «قطعا سأنجح... لطالما تغلبت على مشاكل لوحدتي، يواجه الإنسان دائماً عقود العدل لوحده إلا في المعرفة وعظمة البعث...».

لم يفكر السيد فره مند طوال عمره الأربعيني هكذا. في آخر يوم من حياته السابقة، وفي صف المحاضرة، عندما كان يتحدث حول «قانون المضايق» كان يفكر: «اللحظة التي أراها هي كل شيء، حتى لو لم يكن ما أراه هو كل شيء.....» ومن نظرات طلابه المرتعبة انتبه إلى ما يجري خلفه؛ رأى ثلاثة رجال يقتربون منه، كانت ملابسهم بهجة اللون، مع ربطات عنق حريرية متعلين أحذية لماعة بيضاء. سألهم السيد فره مند:

- كيف أستطيع مساعدتكم؟

- يجب أن ترافقنا لتوضيح بعض الأمور.

كان السيد فره مند يريد أن يقول: «قطعا أنكم مخطئون» لكنه أدرك غريزيا أن أي كلمة ستكون حماقة منه. ذهب برفقة الرجال الثلاثة من دون أن يودع طلابه. كان يتوقع أن يُزج به في غياهب الزنزانات لكنه على العكس أخذ إلى قصر صيفي في أعالي مصائف المدينة.

- لا تخف، نحن عكس جهاز الأمن، لا نؤمن بالعنف.

يشقّون طريقهم من شارع مفروش بالرمال على الظلال المتقاطعة لأشجار الإسفندان المتبقية بين سبات شتوي وحياة ربيعية، تسلقوا سلالَمَ من المرمَر الأخضر الصافي داخلين صالة مستديرة تفتح سبعة ممرات أفواهاها في النصف الثاني من دائرة الصالة. كان تألقها الشديد يمنع رؤية نهايتها. كان السيد رُخّ جالسا خلف مكتبه بعينيه المبهمتين يفتح ملف السيد فره مند.

- لا تقلق حول موعدك الليلة. لقد أبلغت خطيبتك المثيرة للشفقة شخصيا أنك معتقل.

حدّق السيد فره مند بعينيه اللتين كأن فيهما عرق من اليشب الأخضر سائلا:

- حسنا، ما الأمر؟

- على العكس منك أنا في حاجة إلى تمهيد. في الحقيقة لا أستطيع أن أخبرك الأخبار السيئة... اسمح لي أن أهنيك قبل كل شيء، على قرارك حول عدم التواصل جسديا مع خطيبتك قبل الزواج بها رسميا في هذا الزمن المنعدم القيم، وعندما أهديتها عشية العيد تلك الأقراط الزمرديّة الباهظة الثمن، أيا كان مكانك قطعا كان ليصطحبها معه إلى البيت و... لكن التنبؤ يخبرنا أنك لن تفعل هذا... رجاء.. لا تقاطعني، لانشفال بالي الشديد الذي أعانيه؛ أفقد تركيزي بسرعة، خاصة في هذه الظروف المجهدة التي أسمى خلالها لإنشاء جمل رسميّة، كما تبلغك نوعا من التعاطف والتفهم... حقا إن المصطلحات القانونية جامدة وبلا روح، وتفتقر إلى الدلالات الضمنية، لعلك

تستطيع أن تساعدني في ذلك... كيف يمكن إخبار أحد بعقوبته لارتكابه جريمة لا يمكن التهاون بها وقابلة للتنبؤ في مستقبل غير بعيد؟ إقناع المتهم بعدم قبول اعتراضه على أهلية المحكمة وانعدام الاستئناف والعفو. هل يمكن التعبير عن كل ذلك بجمل دارجة وضيقة؟... لكن الحقيقة... لا أعرف يا صديقي، حقا إن ما أراه ليس كل شيء.

يصيح السيد فره مند محتجا:

- لكنني متأكد من ذلك... يا سيد رخ و... أو من بنفسني ومتيقن أنني لم ارتكب أي مخالفة، ولن ارتكب أي خطأ أبدا....
- أنت ذكي جدا... ميزتك هذه قد أدرجت ضمن ملفك كأول ميزة لديك... أنت حرّ حاليا.. لكن تعال معي لأريك شبكة تنظيماتنا، وبعد التعرف على دقة وصحة تحرياتنا لن يبق لديك أي احتجاج آخر... فلنذهب.

نهض السيد فره مند من مكانه ودخل الكوخ، لم يكن فيه فانوس. كان قد قرّر أن ينام عندما يحل الظلام وأن يستيقظ مع أول خيوط الضوء. فعل ذلك كل تلك السنين التي قضّاها هناك. غير أنه كان حريصا على الاستيقاظ مع أول لحظات الفجر. عوّد نفسه أن يحفر خطا على العمود الذي يتوسط كوخه مع مرور كل ليلة، وأن يفطر عندما تتحوّل الأوراق القاتمة لأعماق أشجار البلوط القديمة في الوادي تحت أشعة الشمس إلى الأخضر الفستقي.

أمضى الشهور الأولى في تناول الأغذية المعلبة ثم فكر في أن يوفر غذاء طازجا. كان قد حرّم الصيد على نفسه - لعل

السبب كان جريمة سلب حياة الأحياء - ذهب يوما ما إلى قرية نائية وابتاع عنزة ونعجة وعددا من الدجاجات وديكا . في السنة الثانية فكر في الزراعة والحصاد . كان قطع الأشجار محظورا؛ عثر على تلة عارية استصلاحها وبذرها قمحا؛ مع أنه كان يرى نفسه تحت عين تراقبه . لكن غضب أمطار مارس، وزمجرة رعدھا البليغة، جرفت زرعه إلى أسفل الوادي . لكن السيد فره مند بعزمه الصلب هبط من تلّته تاركا إياها للفصل المقبل . كانت معزوفة مزمار طبقات الأوراق النخرة المتعنفّة؛ قد أحاطته، وكان صوت السيد رخ، ينعكس ويرنّ في كتل الضباب الحائرة والمأسورة دوما، بين صخور جدران طاحونة الجبال العالية:

- آسف لرفضك الاتهامات؛ أغلبية المتهمين يذعنون لعقوبتهم بعد أن نستضيفهم أياما ويتعرفون على طريقة عملنا قابلين نبوءتنا...الطمأنينة، راحة الضمير، التطهير،... تظلم نفسك بذهابك...اذهب...

بدت عينا السيد رخ تحت ضوء البراد كأنها ندى أخضر؛ كان لايزال محدقا به عندما حفر السيد فره مند خطه الثلاثين بعد السبعمئة على العمود، وقام وهو مكشّر أسنانه بتقليد حركات السيد رخ وقال:

- وفق التقديرات، حتما ولغاية نهاية العام الرابع المقبل سترتكب الجريمة... مازلنا نعاني نقاط ضعف، لكن سرعان ما سنتمكن من التنبؤ بمكان وزمان الجريمة....

في نهايات السنة الأولى كان السيد فره مند يتلهف لقراءة جملة، ولو حتى واحدة من كتاب، أو جريدة، ثم تمنى لو استطاع

أن يتحدث مع أحد ولو لبضع دقائق؛ مثلاً حول حدود المياه الساحلية... السنة الثانية، عادت إليه وساوس حبه المبعوث من رقدة الموت. أصبح يعتقد أن الحبيب هو النصف الضائع من كل شخص منذ اللحظة الأزلية الأولى لارتكابه الجريمة، وأن الاتصال الجسدي ليس سوى نافذة على وحدة الوجود التي يجب الوثوب عبرها إلى ساحة الكون. لساعات طويلة كان يحتفظ بصورة زمرد في خياله وهي تسبح في هالة النور تتسلل إلى الداخل عبر النافذة؛ كان يسعى إلى إضفاء الروح والحياة من الذكريات السعيدة التي جمعتهما، لكنه ما أن يحدّق في تينك الشفتين الكرزيتين الممتلئتين، كانت تختفي من وجنة زمرد تلك النتوءات الناحلة. وعندما كان ينظر إلى العنق، حيث أوردته تتراءى من تحت الجلد، كان يفقد بصره مجردُ النظر إليه. ولم يستجمع شظايا نفسه إلا عندما أفلّتت شمس الغروب، ليرتحل الليل بزمرد. في الصيف أحسّ السيد فره مند برغبة في الحديث حول صدق ونزاهة خطيبته إلى أحد ما، أيا كان ولو جرموق عابر؛ وتحدث بذلك، لكن مع طير كان يحط فوق أعلى غصنٍ لشجرة البلوط المجاورة لكوخه؛ في حين أن حمامة كانت تغرد من بعيد. في السنة الثالثة بدأ الحديث مع نفسه؛ عن الصعوبات التي عرقلت طريق هريه من الفقر المحقق بأسرته، وعن المعاناة التي تجرّعها أيام الدراسة، وعن المكانة والسمعة الاجتماعية الحسنة - ولو في ظاهر الأمر - التي صنعها لنفسه، وحيث ربت السيد رخ على كتفه في الشبكة الخاصة من الممر الأول وهو يقول:

- وفق الوضع المهني والشخصي، فإن للجرائم طيفا واسعا، لكننا لا نعلم بالتحديد أيها سيختار طالعك؛ لكننا حددنا نوعها وفق التفاصيل التي نعرفها عن حياتك.

تناول الأطعمة المعلبة أدى إلى أن يمرض السيد فره مند في السنة الثانية. كان قد سقط عدد من أسنانه في أواخر السنة الأولى؛ تجاهل ذلك الإنذار. لكنه ذعر عندما خانت ركبته عند جولته المسائية وسقط أرضا. اكتشف بعد بضعة أيام أنه أصبح يتحاشى الضوء، وكان شعره قد بدأ تساقطه بكثافة. لم يستطع طوال هذه الفترة أن يحتلب عنزته ولا أن يجمع البيض من الدجاج. قبل ذلك كان قد شعر بإغراء ذبح إحدى هذه الحيوانات وبالتهام لحمها الطري، لكن هذه المرة تعفف إغراؤه أيضا. للحظة استخرج نكهة جميع اللحوم التي مضغها طوال عمره في ثايا فيه. أمام عتبة كوخه حملق في الليّة المرتجفة للنعجة وهي ترعى هنا وهناك وفي دجاجته الوفيرة اللحم التي كانت تخرش الأرض بحوصلتها وتتقرها بمنقارها وهي تبتعد عنه. ونصف ابتسامة شاحبة تعتلي شفثيه. أبعد قبضتيه عن بعضهما؛ هكذا وبهذه البساطة كانت عملية قطع رأس هذه الدجاجة المسكينة. نهض ببطء. كانت الخيوط الأولى من أشعة الشمس تخترق الأشجار وغصونها منصبة على وجهه. كانت الحيوانات قد ألقت قربه إليها. أمسك بالدجاجة بسهولة وقبض بإحدى يديه على رأسها وبالأخرى أمسك بجناحها المرفرف. «يالها من طاقة عظيمة للحياة بين جنبيك أيتها الدجاجة». بعثت الفرقعة المتوحشة جراء قطع رأس الدجاجة عنفا بدائيا في أوردة وشرابين جسده. «لا

بد أن هذه هي الجريمة...». صرخ رافعا يديه المرتجفتين إلى السماء. سقطت الدجاجة أرضا على بعد قريب منه وولت هاربة بين حشائش الخنشار، لكن العنزة بنظرتها الغبية كانت لاتزال محمقة به. بصق على الأرض وحملق مقطبا في الحشائش العالية المجاورة، عله يجد الطائر الذي كان يراقبه حيناً، ولما لم يجده لجأ إلى كوخه. أحد برامجه الروتينية كل مساء، كان مراجعة أعماله اليومية، وفقط عندما كان يتأكد أنه لم يقترب خطأ في ذلك اليوم كان يسمح للنوم بالولوج إلى عينيه، وليحمله هذا النوم إلى الممرات السبعة المتألقة التي تتصل ببعضها عبر الالتواءات الإسلامية. كان مشوشا عندما أحس بوجود السيد رخ خلفه، أو إلى جانبه من دون أن يتمكن من رؤيته كحال تلك الأيام التي كان موجودا هناك حقا. كان يسير في ممرات متداخلة متشابهة من دون أن يجد طريقا للخروج.

- لكل الناس بأنواعهم المختلفة، أسرار، وساوس، أفكار خفية في طالعهم. إنهم أحرار منذ الأزل إلا أن كل هذا من أجل اختيار شخصية أو سلوك يغطي على أسرارهم، أو ميولهم الممنوعة... لكنك وضعت قناعا للتكر بهيئة أستاذ، حتى تخفي وجهك المخيف... لكن هيهات...

وكان ثمة رجل في الممر الثالث يقول للسيد فره مند وكانت عيناه قد بدتا من خلف عدستي نظارته السميكتين:

- اهدأ رجاء.. تحبطني ردود الفعل التي تختبئ خلف التصرفات الماكرة والبدائية، مثل الغضب، أو السخرية.. على العكس، فإن الخداع المعقد يبعث النشاط في.

ورفع نظارته إخطارا بنهاية الحديث، مغمضا عينيه الصغيرتين المتعبتين، كي تفتح عينا السيد فره مند على الصباح. كان يجلس طوال ساعات فراغه الطويلة أمام كوخه مفكرا في تصميم الممرّات السبعة. في الفترة التي كان فيها هناك وبسبب أساليب الاستجواب النفسية والاختبارات، فقد غريزة تحديد الوقت والجهة؛ وفقط عندما وصل إلى بيت خطيبته أدرك عبر عينيه المتعبتين، وكلماته المتلعثمة، أنه قد مرّت عليه أربعة أيام هناك. هوى على ركبتيه عند الأريكة التي كانت خطيبته جالسة عليها وهي تبكي، مهما حاول عبر شظايا ذاكرته المبعثرة، أن يصوّر لخطيبته مخطط نظم العمارة؛ لم ينجح في ذلك، حتى العام الثالث، حيث أثمر سعيه واستطاع أخيرا أن يتذكر آخر خطواته عند الخروج من الممر السابع. حفر مخططها على أرضية الكوخ. في الصيف أطلق دودة يراعة في الممر الأول حتى ينشغل بزحف الحشرة في الممرات المتداخلة. هذا الهاجس كان قد خلّصه لفترة طويلة من الأصوات الغاضبة الليلية للغابة.

- عليّ أن أكل الخضار، الفاكهة، والمواد التي تحتوي على الفيتامينات.

واستسلم لخطر اختبار الفاكهة والأعشاب البرية. سار بقدمين كانتا تحملان ثقل جسده بصعوبة، ومستتدا إلى جذع شجرة بلوط منحوتة. كان يخشى الفطريات. كانت براءتها ووداعتها؛ حيلتها السامة. تذوق الحلو والمر من صغار ثمار أشجار الغابة المجهولة، وبعد المفص الذي سببه تذوقها، جمع لنفسه مقدارا من الفاكهة قابلة للأكل. النباتات بتتوعها الساخر، لم تكن لتستسلم

ليتعرف عليها وهي تصيبه بالإحباط، وأخيرا وفي نهاية السنة الثالثة عندما استطاع أن يحرق مزرعته، أدرك أنه سيطر على مرضه. عندها أصبح نباتيا بالكامل. ماتت حيواناته واحدة بعد الأخرى ودفنها عند قدمي شجرة. كان يزور مقبرته الخاوية هذه بين الحين والآخر ويذرف الدموع لفراق رفاقه البهائم. كان منذ الأيام الأولى لهجرته إلى الغابة قد حرّم على نفسه الاحتكاك بأي إنسان، إذ كان يعتقد أن أي شخص يكمن فيه احتمال ارتكاب الجريمة، وإن كل المعارف يمكن لهم أن يقوموا بتسري خطر الاشتراك في تلك الجريمة، لذا كان حين يجمع غداءه كلما صادف جرموقا عابرا يلوذ بالفرار مثله، يختبئ في أدغال وشجيرات الغابة المتداخلة ببعضها... لفترات طويلة لم يك قد نظر إلى وجهه، ولم يدرك الطول الذي بلغته لحيته وسائر شعره إلا عندما مضغ شاربته في أثناء مضغه للطعام. وبعيدا عن كوخه، كان ثمة شلال يصب في بركة صافية. عندما شاهد وجهه؛ قهقه ضاحكا لعودته آلاف السنين في غضون بضعة أشهر. صنع لنفسه شفرة من علب الطعام وشدها إلى مسكة خشبية، وبلهفة منفعة وعلى شفير الوادي المجلبب بالضباب رفع يده المسلحة بالشفرة وهتف عاليا. كانت الريح تنثر شعره المقصوص على أشجار الوادي...

وبعد فترة، عندما استفذ مزرعته من منحدر التلة، الشديد بمحراث نحته من جذع شجرة وفي هالة أخرى لرائحة التربة المحروثة، ضرب بقبضته على صدره قائلا: «الإنسان بفقرات حجرية ودماء زئبقية وأيد من لحم؛ لا يهزم». في شتاء السنة

الثالثة تمنى لو كان السيد رخ الذي كان يزعم أن التنوع في الشخصية لا يبلغ أصابع اليدين موجودا هناك ليرى.. لكن الشك انقض عليه ليلة. في ظهر غد ذلك اليوم تحت ظلال شجرة مقبرته المجهولة، قرر أن يهبط من الجبال وأن يستسلم لطالعه. كانت نطفة هذا القرار قد انعقدت بعد حلم رآه البارحة؛ رأى كأن ذات العينين الزمرديتين والسيد رخ في شقته وفي وضع وقيح وبهيمي دونما التفات إلى وجوده الجاثم معهما. تذكر صباحا نبرة حديث السيد رخ عندما تحدث عن خطيبته اللهفانة. يبدو أن التقاها... وبكثرة.. كل تلك التفاصيل التي كانوا يعرفونها عني!.. من أين كان يعلم أنني لم ألمس زمردا! هي... التي أخبرتهم بذلك... خيانة... خيانة... وجه لكمة إلى جذع شجرة مقبرته. تساقطت أوراق من الشجرة. أطلق من حلقه نواحا كآخر أنين لنعجته قبل أن تلفظ أنفاسها، وتخر بركبتها على الأرض وقد التوى عنقها وبلا رمق.. وعندها أجهش بالبكاء. عند الظهر وبقامة منحنية وعينين مبتلتين لا تميز بين الأحجار والظلال، انحدر نحو الوادي هاو متعرج؛ كان الضباب يتجه نحوه إلى الأعلى مبتلعا قامات الأشجار الباهتة. «باستسلامي سوف أفعل شيئا يضع نعشي أمام ناظرَي تلك العاهرة...».

عند الليل وصل إلى حافة الجادة. كان العالم حينها قد يبس. كان يحاول أن يستوقف سيارة من السيارات التي تشق الطريق، لكن أيا من هؤلاء السائقين، لم يجرؤ على التوقف لذلك الشبح الهاوي من عصر الإنسان المحني القامة. في منتصف الليل كان فره مند جالسا بخوف على جرف الطريق الخاوي محققا

ببصيص أضوية بلدة تلوح من بعيد . أدرك أنه يحب حياته تلك
البدائية، وها هو قد اشتاق إلى كوخه ومزرعته وفاكهته الصغيرة
الجافة ومقبرته . عَبَر الطريق عائداً إلى الجبال . أمضى ليلاليه
الشتوية إلى جانب موقده في كوخه الفارق في أمواج البرد
القارسة . لم يستطع حتى الربيع أن يمحو يأسه وتردده . «هو
ذا كل ما في الأمر، بلا معنى، أكاذيب، لن أكون إلا ما أنا عليه
الآن، هنا كالطحلب...» وحلّ الصيف . في يوم مزدهر قصد
فره مند الشلال للسباحة، لكنه وقبل أن يصله فوجئ بسماع
ضحكات مقهقهة تصدر عن أمواج ماء الشلال . زحف مختبئاً
خلف شجيرات الخُشفار التي كانت قريبة من الشلال . رأى
الفتيات القرويات قد أسلمن أنفسهن بسذاجة مازحة إلى أيدي
الماء . سحب جسده المتمدّد على الأرض، بين الأوراق اللزجة لعرق
السوس وحقق فيما كان قد خزّنه من شعوره في لاشعوره عبر
السنين الماضية... النسيم المتشّح برذاذ الماء، الممتزج برائحة
عشب الشمس والضباب، أنساه حقارته، وفجأة أدرك أن له
طاقة حليلة مخزّنة تستطيع أن تعانق كلّ الأرض . كان العالم
مفعماً بالهمهمة والأصوات . كان يسمع شخصخة أقدام النمل
التي كانت تمرّ من أمام وجهه إلى داخل بيتها وخارجة منه،
وتلمّظ نحلة كانت ترتشف رحيق زهرة، وسريان الصمغ في
أوردة السرو الجبلية، وفوق كل ذلك قهقهات فتيات الشلال...
انطلق إلى البركة السفلى وأسلم جسده إلى الثلج نصف الذائب
للشلال، وخلال غوصه الهنيء؛ أدرك فجأة أنه أساء الظن
بخطيبته زمرد عبثاً . رخ ورجاله كانوا يعرفون بعض الأمور عنه

ولم تكن روح خطيبته لتحلم بها . تلك الليلة نام فره مند نومة هائلة بجسد عارٍ من الأدران والأقدار، ورأى في منامه كأنه مثل السيد رخ بجبروته وثقته بنفسه، وزمردية الطرف طوع يديه وأمره. بدأ حينئذ باختلاق تفاصيل حياته المستقبلية. صنع ليال وهو مستلقٍ فيها مع زمرد على أريكة حميمة، وهما يسبحان في سحابة من الموسيقى الساجية. صنع عطلاتهم ورأى زمرد مرارا وهي تعبر متعثرة ضاحكة تلك الصخور الزلقة في قاع النهر الشفاف إلى الضفة الأخرى، وألق رذاذ الماء والشمس مرفرفا حولها. اختلق فجرهما الصباحي حيث يستيقظ فيه دائما قبل زوجته ويحرق في ملامحها الهادئة الراضية. اختلق الأعياد والحفلات والذكريات السنوية... وفكر حتى لو كانت هذه الحفلات والمناسبات مختلفة، مع ذلك فهي ضرورية مثل جميع التقاليد والمواعيد، وظل محققا في خضرة عيني زمرد، لكن وبشكل مفاجئ اكتشفه لون آخر كان لون عيني السيد رخ وهو يسمعه يقول في الممر السادس:

- الأمور الفرعية... الفرعيات هي التي تشوش الذهن وتحيره، وعندما ننحي هذه الزوائد جانبا نصل إلى عدة أصول أزلية أبدية واضحة... بضعة أصول قليلة فقط... ضائعة في ثنايا الزحام...

دفع فره مند بغضب ثائر مزمجرا رخ إلى الورا وجاب عقله راكضا بسرعة لا يسبقها أي مأمور، جميع الممرات المتداخلة، يعود إلى الشبكات التي اجتازها، وإلى الممر الأول ثم إلى الداخل، كان يذهب ويذهب باحثا عن نقطة ضعف في هذه التنظيمات،

✽

كان ينتابه الدوار من هذا البياض المضيء البارد المجهول المصدر للممرات. كانت وجوه بلا ملامح تتراوح أمام عينيه. تختلج شفاه، وثمره أيدٍ تقلب أوراقا وتحركها، كانت ثمة أصوات تتكسر في أذنيه من زوايا مختلفة:

- الأمل، رد فعل دفاعي وابتدائي لمن لا حيلة له... لا.. ليس ثمة خطأ في الأمر يا سيد فره مند...
يفتح بابا وهو يلهث.

- .. تفضل.. مرحبا بك سيد فره مند... زملائي... انظروا.. رجاء قف! حيث أنت يا سيد فره مند.. انظروا أصدقائي إلى زاوية وقوف قدميه.. تهاني... كانت بالضبط كما قدرنا ذلك... ثلاثين درجة.. تستحق شبكتنا التشجيع من قبل السيد رخ...
- هذه الدائرة الأكثر عبوسا وتقطيبا.. الموظفون معذرون.. عملهم يرتبط بماضيك، مشجرات الأنساب، الوصايا، الأمراض الوراثية... القبور... تفضل...

ركض السيد فره مند مولولا ليخرج من الممر السابع. الصياد المتطفل الذي كان يختبئ أحيانا خلف الشجيرات مراقبا له، فوجئ فوثب مرتعبا من مخبئه ولاذ بالفرار أمامه. تطأ قدماه فطرية. تنتشر المشيجات من الفطريات كأنها قطعة ضباب في الفضاء، وتعتم طريق هروبه. كان ثمة ثعبان أخضر يزحف تحت جذع شجرة هاو، كانت أبخرة تخمر نبتة تتطوي، وعويل سقوط آخر عمالقة الأرض كان ينبع من عروق التراب. جلس فره مند جنب بركة صافية، وحدق في وجهه ليعي نفسه. كان يشاهد رأسه الذي أصبح أصلع وبقايا شعره الخفيف المجدد على

أطراف صدغه، ولحيته الطويلة القصيرة، والبقية المعدودة من أسنانه، وجلده الأخضر... وبقي مشدوها هناك محققا لفترة في عيني غريب كان شديد الاختلاف عن آخر صورة لتصوره... ليعود مجددا إلى كوخه ويشغل نفسه برقع ملابسه.

كان السيد رخ قد أخبره في الممر الخامس:

- يظن البعض أن عملياتنا فخ في طريق حياتهم المستقبلية... هذا سخيف...

وافقه السيد فره مند حينئذ في رأيه، فإن كلمات مثل المفاجأة والفخ والتعرض للخداع، هي حمق بالنسبة إلى العاقل. لكنه عندما شاهد كاحله في الفخ، أن يأسا. كان أواخر خريف عامه الرابع. كان فكان حديدان مختبئان تحت أوراق الخريف، أمسكا بكعبي قدميه. هذا عمل الصياد. فتح فره مند مولولا فكي الفخ. كان الألم ينبض في قدمه. تزلحق على الأرض محققا في السماء التي كانت تطل عليه من بين الأغصان العارية المهتاجة:

- يا إلهي... لم كل هذا العناء... هل يستحق هذا؟

زحف على صدره نحو الكوخ، حيث حلق بالخطوط المحفورة المتوالية على عمود وجدران الكوخ، فكر أنه من العبث، أي محاولة هي ضرب من العبث. يعبث قط القدر بالإنسان كعبثه بالفأر، وحتى إن محاولته للهروب من قدره المحتوم محددة سلفا. يضحك مقهقها من محاولات هروبه المحكوم عليها بالفشل... لماذا هكذا يا إلهي؟ كان قد حصل على تصور عن الله خاص به متناغم مع تصور هذا العالم. لكن حزن اليأس، أصبح مرهما لوجع ساقه. أوقف نزيه دمه بصبر مستسلم، ربط كعب رجله بقطعتي خشب

وخرّ مضجعا على ظهره وسط الكوخ. ارتسمت صورة الممرات السبعة متألقة على سقف الكوخ، ودوى صوت خطوات لا تتوقف في أذنيه، منقذا إياه من أصوات الغابة المجنونة.

- لا يدعونني وشأني... هذا جيد جدا. أخدع نفسي.

تلوّى طوال الليل من الألم والحمى. كانت الريح الباردة تتسلل إلى داخل كوخه عبر شقوق كوخه البالي. وهذى متقرفصا من شدة البرد لبضعة أيام، وارتعش مبلا بعرقه البارد، لكن ذات ليلة، فجأة وفي لحظة مشرقة، اكتشف طريق النجاة من هذا الخواء. كانت شفرته التي صنعها في متناول يده. «سأرتاح.. الدم الذي لا يتركني وشأني، فليس على أرضية الكوخ الوطيئة، بالفا الخطوط الخشبية ليهبط عند قدمها. أفرغ رأسي من آمالي وأمانيّ... وأنام... نوما قريرا... هنا، من دون حر، أو برد، أو غد... وتراب، وهل العالم سوى عالم من تراب...»، لكن عندما مرّ الشفرة على رسغه تراءى له نعشه في الغادي من الأيام، اعتصر قلبه ألم غربة هذا النعش. تدفق دم الثأر في أوردة جسده. بعد شهر، سلك طريق البحث عن الصياد بمشيته العرجاء. كان كلما سمع صوت طلق ناري ذهب باتجاهه، لكنه كان يصل بشكل دائم متأخرا، عاثرا على بقعة دم على الأوراق. كلّ مرة كانت تحاول قدمه العرجاء أن تسرع كان يسقط أرضا، رأى الصياد أمام عينيه المكفهرتين بغضا وحنقا وهجم عليه بعصاه مهشما رأسه بها. تذكر يوما ذلك الفخ. ذهب إلى نفس المكان ووجد الفخ وقد أعدّ مرة أخرى. «من المؤكد أنه سيأتي للتحقق منه...»، في اليوم الثاني وصل الصياد. وضع بندقيته

أرضاً ويحذر أزاح الأوراق اليابسة عن الفخ. بالضبط كان الفخ تحت قدم فره مند. كان يستطيع الانقضاض عليه من على غصن الشجرة غارزا شفرة حلاقته في شرايين عنق الصياد. كاد ينقض لولا أن ثابت إليه نفسه. «لا بد أنه هو...» بعثر الصياد الأوراق على الفخ ثانية وابتعد. نزل فره مند متثاقلاً عن الشجرة وتوجّه إلى مزرعته فارغاً من أي حقد أو حنق، جلس على الأرض اللينة. كان المحراث الذي صنعه بيده من جذع شجرة وخرش الأرض عبر سماجته به، مرمياً على الأرض أسفل التل، بريئاً من الدم والتعذيب. وكانت شمس الشتاء تبعث الحرارة في التربة وذاع بخار مبهج في الأرجاء وهطل ثاني ثلج شتوي. وحتى أن ذابت تلك الثلوج النائمة على صدر الجبال، خط فره مند عشرين خطاً آخر على عمود كوخه. هطلت ثلوج أخرى وذابت حتى تتسّم شذا الربيع من ضوء الشمس، عندها قال السيد فره مند لنفسه: «انتهى الأمر». في آخر ليلة عدّ الخطوط الخشبية مرات ومرات، وعندما تأكد أنه لم يخطئ جلس أرضاً إلى جانب موقده وحدّق في ليالي الأعوام الأربعة المنصرمة، حدّق في الأحطاب التي كانت تتقد حمرة بألسنة النار. لم يستطع النوم التسلل إلى عينيه. «يا ترى هل بقيت زمرد وفية لي؟ اشتعل حرا عندما تصور لطافتها. كانت الأحطاب قد أصبحت رماداً، وضع غيرها في الموقد حتى دب البرود في ألسنة النار وتعالّت أصوات الطيور. قصّر شعره ولحيته على عجل. قام بغلي الماء غاسلاً به جسمه، ولبس ملابسه التي كان يحتفظ بها لمثل هذا اليوم، وعند عتبة الباب ألقى آخر نظرة على كوخه ليترك كل عوالق

ذهنه بجميع تفاصيلها وهيأكلها حيث مكانها، في الكوخ نفسه.
ودع مقبرة حيواناته وتوجه إلى مزرعته في قمة تلة المزرعة؛ ركع
أمام ساق نبتة نحيل ارتفع من التربة، كان لونه الأبيض قد بدأ
يضرب إلى الخضرة. «تمكنتُ...» رفع رأسه إلى السماء. رأى
غيّات متناثرة كأنها أكليل عروس وهي تتجه جنوباً. شعر بأن
جميع حرّيات العالم وجميع شمس الربيع قد خُزّنت في جسمه.
هبط دوي صراخه المدوي من قمة التلة على الوادي أمامه...

مساء ذلك اليوم قطع السيد فره مند وهو يعرج بوجه متغضن
وبالقليل مما تبقى من أسنانه وشعره، لابسا بذلته الرثة، ممرُّ
القطار. توقف لحظة على سلّم القطار وألقى نظرة حوله.
على اليمين ابتسمت له زمرد ذات الطرف الزمردي المستندة
إلى عمود، وعلى اليسار توجه ثلاثة عناصر بملابسهم الأنيقة
نحوه....

علي مؤذني Ali moatheni

يكتب القصة والمسرحية وسيناريو الأفلام. حصل على
ليسانس في الأدب المسرحي ويعمل في حقل إنتاج الأفلام. له
نتائج عديدة في موضوع الأدب المقاوم ويكتب بأسلوب خاص
في هذا المجال.

حصلت أعماله على جوائز قيمة واحتفى به النقاد والقراء.
من أعماله المنشورة:

- الظهور (حصلت على جائزة أفضل رواية للعام ١٩٩٩).
- الفصول الأربعة (ثلاث قصص طويلة).
- لقاء في ليلة مشمسة (حصلت على جائزة أفضل رواية
للعام ١٩٩٧).
- أكثر بهجة من الأخضر (اعتبرت أفضل القصص المختارة
خلال عقدين).
- علاقة إيرانية (حصلت على جائزة تقديرية من لجنة
الكتاب الروس).
- البشارة (رواية).

البياض الناصع

فوق التل أربعة ثعالب تتقاذز بمرح. وفي وسط تلك الثلوج الشتوية، كم تمنيت أن تكون هنا ياسلطاني. ثم أنشد: «قلبي ممزق من الوحدة....».

كلا لا يمكن مواصلة الغناء بمثل هذه الأنفاس المتقطعة. حملقت الثعالب نحوه للحظة، وكأنها التفتت إليه لفورها، ومن شدة الدهول التبس الفضاء المحيط بهم إلى ما يشبه الوهم. قال السائق: هل معك سكين، أو ما يشبه ذلك؟ أجاب: كلا.

وبعد أن بدأوا بالقفز تلاشى الوهم. حان الوقت ليأخذ قسطا من الراحة، كانت هناك شجرة لوز تبعد عدة أقدام عن الجادة الخاصة بالدواب، وقد غطى الثلج أغصانها تماما. وبعد أن رفس جذعها وتراجع نحو الخلف تساقطت الثلوج كلها، الثعالب كانت تراقب عندما خيم الصمت، جلس على حقيبته واستند إلى الشجرة، الساعة كانت تشير إلى الخامسة، لقد استغرق ساعة ونصف الساعة للوصول إلى هنا، لولا الثلج لكنت قد وصلت حتى الآن.

قال السائق: يبدو أن هطول الثلج سيتواصل.

قال: إن شاء الله لا يهطل الثلج قبل أن أصل إلى القرية.

ومن قرص الشمس، كان هناك شعاع أحمر جميل يتسلل إلى الأفق وتظل الشمس تشرق. على رغم أنه لم يبق إلا القليل لغروبها، عندها لا شيء سواك والثلج؛ بياض في بياض في بياض.

والثعالب كان منظرها جميلا وهي تعيد تجمعها لتتناثر مجددا في ذلك الأفق الأبيض الممتد فوق التل، إنها مشاهد تبدو رائعة من هذا البعد وعلى ذلك الارتفاع، حيث تتمدد الأجسام وتتطاول السيقان. بلا شك فإن الأقدام فوق ذلك التل، ستغوص في الثلج حتى الركبة، سوف أصل حتى الساعة الخامسة والنصف، كلا، لا يمكن لكل هذا البياض أن يسمح لليل بأن يكون حالكا. شعاع الأفق الأحمر بدأ يميل إلى الزرقة، والبياض بدأ يهبط تدريجيا منسابا من الغرب إلى الشرق.

لو كان سلطاني موجودا، لشبهه الجبال بشيء آخر، مثلا بالسبابة، ولتحدث عن كتلة الغيوم الحالكة المتداخلة بعضها مع بعض. إن تلك الزاوية من الغيم، تشبه قبضة يد مسدودة، وعندما تتبسط ستتساقط مسكوكات الثلج على الأرض. كلا، إنها أشياء لا صلة لها بأناشيد سلطاني، يجب أن أنشد له. يا ليتك كنت هنا يا سلطاني. لقد غمرتني البهجة تماما. السهل والثلج والبياض الناصع والغيوم وأشجار اللوز والثعالب. وقلبي يشفق إلى السماء، وكلامك موزون. لو كان سلطاني موجودا لأزاح الغيوم جانبا وأراني السماء المرصعة بمليارات المجرات، حيث يحتضن كل منها مليارات من النجوم، التي تبعد عنا بمليارات السنين الضوئية... أرقام ليس بمقدورنا سوى المرور عليها من دون الولوج إلى غورها. ليعود ثانية إلى الأرض بعمر متوسط يتراوح بين ٦٠ و ٧٠ عاما، ويدور في دورة الحياة، فيظهر الماء بتجلياته المتعددة؛ كبخار وغيوم ومطر وثلج، ويصبح كالهواء فيأخذ لنا الشهيق من الأشجار ويأخذ لها

الزفير منّا... وبشعوذة دقيقة جدا؛ يقذف القمر والشمس بيد واحدة نحو الأعلى، ويتلقفها باليد الأخرى ليصير إنسانا عمودا على الأرض، وابتسامته تندو عن غرور تفصح عن سعادته في مشاركته بكل هذه الأشياء التي خلقت من أجلي. وأنا أصفق له فخورا.

مرة قال سلطاني: لقد قال كلمة واحدة فقط: كن، فصار كل ما هو موجود، كل هذا الذي تراه، كن فيكون، الوجود كله. قلت: لم لا يُظهر نفسه؟

قال: وهل هناك ما هو أكثر حضورا منه؟

قلت: هل هو موجود أصلا؟

رأيت في نظراته، يقينا لم أشاهده من قبل، ألوانا سطعت عن شعاع نور.

قال: هو أكثر حضورا مني إليك ومنك إلي.

قلت: أحب أن أراه، بهذا الوضوح الذي تمثله أنت إلي. فأنت ملأت لي الفراغ؛ الأب والأم والأخ والأخت، عندها سيكون تصديقه سهلا، وسأجد الطمأنينة.

قال: يراه؛ من يدعوه من القلب.

قلت: وحاجتي إلى رؤياه كانت دائما من أعماق قلبي... ثم ابتسمت.

قال: إذن، كن مطمئنا بأنك ستراه.

والآن، أي مكان أفضل من هنا؟ أنا وحدي، والثعالب لا تدرك من هذا الأمر شيئا. أظهر نفسك لي ليقوى قلبي كقلوب الأنبياء، لأبلغ عبادتك.

قال: «لا تهدر هذه الفرصة، أظهر». وضحك ثم التقط بعضاً من الثلج وصيرها كرة وألقى بنظراته هنا وهناك، ليرى إلى أين يرمي بها. شاهد أحد الثعالب جالساً نحوه وبعيدا عن مجموعته، فرمى كرة الثلج وعلى الرغم من أن كرة الثلج لم تصل إليه، فقد هب واقفاً، كما انتصبت رقاب الثعالب الثلاثة أيضاً وذيل أحدها. أشار بيده إلى الثعالب بما معناه؛ واصلوا اللعب ولا تخافوا. جلس ليحكم ربط حذائه. ثم قال: لأجلس قليلاً، كلا؛ قم.

وقف وبعد أن تمطى قليلاً، قال: لا بد أن أرى مشهد القرية من فوق ذلك التل قبل حلول الظلام، سأقتضي خطى حلقات الدخان المتصاعد من مداخن القرية. وعندما تناول حقيبته انتبه إلى أن الثعالب الثلاثة مازالت متسمرة في مكانها والآخر كان جالساً أمامه تماماً... لماذا؟ كان رأسه يدور مع كل حركة، فالوهم عمّ السهل والثلج، فجأة نمت الثعالب، تمددت أندامها أكثر وتوسعت أشداقها... إنها ذئاب! ذئاب!

ثم صرخ: «آه ذئب!» ضرب على رأسه صارخاً: «ياللهول ذئب!» وقف مبهوراً أمام نظرات الذئب الحارس ووقفت بقية الذئاب في صف الذئب الحارس تحمق به.

لماذا لم أفهم ذلك من قبل؟

عندما جثم على ركبتيه، شرعت الذئاب بالترقب والتجوال بالقرب منه.

إذن كانت تراقبني منذ اللحظات الأولى ومن بعيد، من بداية الطريق عندما ترجلت من الشاحنة، وكانوا يزدادون فرحاً كلما

اقتربت منهم، ولم يكن مرحهم وتقافزهم احتفاء بالثلج، بل من رائحة لحمي، ودمي الذي سيلطعونه من على سطح الثلج. التفت إلى الخلف، ثم قال: حتى آثار أقدامي سيمحوها الثلج. ما الذي سيبقى مني؛ غير أسمال من ملابسي، أو بعض من جلد أحذيتي، أو حقيبتتي، وهي كل ما تبقى من جنود الكشافة الثلاثة. كلا، هذه القشعريرة ليست لشدة البرد. كيف ينظرون إليّ بمتعة!

عبثاً حاول أن يشبك يديه، فصارت كفاه شيئاً فشيئاً قبضتين. جلس الذئب الحارس على رجليه. عليّ ألا أقوم بأدنى حركة، يمكن أن تثير غريزتهم للهجوم. غير أن هذا يعني انتظار الموت، إنهم يدركون أن لا سبيل لي إلى الفرار. أركض على الأقل... ولكن إلى أين؟ إلى الطريق العام، يحتاج ذلك إلى ساعة من الوقت، كما أنهم لن يتركوني أقطع أكثر من خمسين متراً ليكونوا حولي، وقد قطعوا عني كل الجهات، ويتقدمون زاحفين. ألا توجد بئر في هذه الأطراف؟ فإني أفضل أن أختنق فيه. نادى: «يا أمي...» ثم وضع رأسه على الحقيبة وقال: إن كان مصيري الموت ممزقا بين أشداق الذئاب، فلماذا لم تتركيني ألقى حتفي في ذلك الحوض، في الحوض كانت سمكة كبيرة قد فتحت شديها لتبتلعني... كانت السمكة سوداء.

قالت الأم: لا أريد هذا الحوض، غيره إلى حديقة.
قال الأب: هذا يعني أنه إذا سقط الطفل من السطح، علينا أن نخرب السطح أيضاً؟

لا تجادل يا أبي واسمع ما تقوله لك أمي، واجعل من الحوض حديقة مملوءة بالورد الجوري. وأنت يا أمي قولي لهم؛ إنني

لم أنتشل ابني من الحوض لأقدمه لكم وجبة سهلة، يا ذئاب
انصرفوا عن ابني.

اسكتوا... هل تسمعون أصواتهم يا جماعة؟
إنهم ينبحون كالكلاب. عليك يا حميد؛ الانتباه إلى هذا
الذئب الحارس، فإنه كبّل يديّ ورجليّ، حاول أن تجذب
اهتمامه، لأتمكن من الوصول إلى البئر الذي اكتشفه أبي.
ألم تعثر عليه حتى الآن يا أبي؟ سألوذ به حتى لو كان عمقه
مائة متر. وأنت يا زهراء يا أختي الحبيبة؛ إجمعي المزيد
من الحطب، أريد أن أوقد نارا كبيرة. وأنت يا أمي أمسكي
بيدي ولا تبتعدي عني، آه كم هو رائع أن تكوني هنا. ليس
في نيتي معاتبتك، غير أنني كنت أرجح ألا تعتني بتسميني...
لماذا كنت تصرين عليّ لأكل العسل؟ عصارة أشجار بساتين
سلطاني، ألتهم العسل؛ شطرا شطرا لأصبح غزالا بديعا، كما
كنت تودين يا أمي... لماذا؟ هل عقدت اتفاقا مع هذه الذئاب
من أجل تسميني؟

أنشد يا سلطاني مرثيتي وأنا حيّ، أريد أن أبكي كل كلمة فيها،
أريد أن تضمنها هذا الشطر: «أي موت هذا وكم هو مفاجئ!»،
أما البيت الأول فخصصه إلى السيدة وكيلي، التي لم تكن تعرف
أن بشرتي استمدت نضارتها من عصارة عسل زهور البستان.
لذلك حفرت صفتها عليه أثرا لا يمكن أن يمحي بيسر. كان
ذلك نهاية الدوام المدرسي، وكانت تدور حولي مرتبكة عسى أن
تتسيني أثر الصفعة، وبعد أن قرع جرس نهاية الدوام. قالت لي:
ابق هنا.. أحتاج إليك.

السيدة وكيللي ذهبت، وبقيت أنتظرها أكثر من ربع ساعة غير أنها لم تأت فإنها كانت قد ذهبت. شاهديني السيد رحيم فقال ضاحكا: لم لاتزال هنا؟ وعبر ضحكته أدركت أن غاية السيدة وكيللي؛ هي أن أبقى أطول مدة ممكنة، لعل أثر صفعتها يزول عن خدي.

والآن ادخل البيت الثاني يا سلطاني، فموضوعه هو غضب الأم؛ وهي تبكي وتلعن، ولا تسأل عما فعلته وقد خطف لون وجه السيدة وكيللي ويدها تترجفان. آه لو كنت أعلم أنني سأكون وليمة سهلة للذئب؛ لم أكن أدع أمي تتدفع بهذا الشكل نحو السيدة وكيللي، والتي لم تصح من غيبوبتها إلا بعد أن شربت ماء الورد.

والآن ما الذي في مقدورك فعله مع هذه الذئب يا أمي؟ فالذئب واثقة من أنها ستلتهمني، وحركاتها تشير إلى أنها تريد أن ترفع من شدة اشتهاؤها. قال: «يا أمي... يا أبي...»، ومن شدة البكاء بدأ جسده يرتعش. احتضنت الأم رأسه وقالت: لا يا عزيزي؛ هل مت أنا حتى تبكي هكذا؟

قال: هل هذا هو تقديري؟

ضحك الأب وقال: كالنساء...

قالت الأم: البكاء أمر لا يخص النساء فقط

قال: هذا هو تقصيري لأنني أردت أن أثبت لكم مقدرتي على

إدارة الحياة انخرطت في الخدمة العسكرية

بكت الأم وقالت: أنا التي تحملت أتعابك، غير أنك لبيت طلب

أبيك ورغبته؟ هل هذا جزاء محبتي؟

تقدم الأب منهما واحتضنهما معا وقال: وأنا أيضا أعتذر عما بدر مني وعما فعلت، لقد أثبت يا عزيزي كمال أنك رجل محق. الآن قم لنرجع إلى المنزل حيث الدفء والراحة، لنذهب بعد ذلك إلى الصيد معا، اترك هذا المكان فهو ليس باردا وحسب، بل على تلة أربعة ذئاب تتقرب أيضا.

ساروا باتجاه المنزل. كلا، لا تطفئي النار يا زهراء الحبيبة، أتركها متوقدة لعل عابرا يمر من هنا، ولنرم جميعنا الذئب الحارس بعدة كرات من الثلج، لقد عذبني كثيرا يا أمي.

قالت الأم: دعني أدهن وجهك يا عزيزي، فالبرد جفف بشرتك بشدة، وتشعثت خصلات شعرك تحت القبعة، هل تود أن أعمل في شعرك فرقا كما في السابق؟

ثم انهمرت دموعها كسحب الريح. التفتت إلى نساء الأقارب والجيران وقالت: لقد أعاد الله لي ابني، كانت الذئاب على وشك...

صرخ أبي غاضبا: ناوليني بندقيتي كي ألقي تلك الذئاب درسا لن تتساه، كانت تريد أن تلتهم ابني؟ صوب بندقيته باتجاه الذئاب، يا أبي اضرب الذئب الحارس أولا، ارتفع عواؤه بعد سماعه صوت الإطلاق، فاخفت الذئاب.

قال: عاشت يداك يا أبي لقد أرحتني. أنشد بيتا يا سلطاني في وصف أبي.

ورفع رأسه عن حقيبته، رأى الذئاب على التل تتقافز. قال: مازالت هناك؟

فأجهش بالبكاء، حاول الوقوف لكن يديه كانتا قد تخدّرتا.

عليّ التحرك. نعم! تعب أطرافك قبل أن تفقد السيطرة عليها، دع دمك يتسمم كي يصبح لحمك مرًا بمذاق الذئب، وعندما نهض بمساعدة جذع الشجرة، نهضت الذئب الثلاثة أيضا، والذئب الحارس لا يدع أي حركة منه إلا ورصدها. فبدأ يقفز في مكانه ويفرك يديه. هل لك أن تتسلق الشجرة؟ صحيح أنها قصيرة، نحيفة، إلا أنها أفضل من لا شيء، هجمت الذئب فجأة. فصفع على رأسه وقال: يا إلهي...

لكن الأمر لم يكن سوى وهم سببه اهتزاز الدمع في عينيه. فما زالت الذئب تقفز وتمرح، سوى الذئب الحارس. ولكن إن رميت لها معلبات اللحوم هل كانت ستتركني لحال سبيلي؟ كلا، فهي تعشق لحم البشر. ولحمك مذاقه شهى إلى الحد الذي إن نمت خارج الناموسية فستكون مركزا لاستقطاب البعوض والتي تمتص دمك إلى الحد الذي لا تقدر على الطيران، والذئب تلتهم اللحم وتلعق الدماء، ستكون يداي نصيب اثنين منهما وقداي من نصيب الآخرين وستتقاسم جسدي، لكنك أنت الذي تفكر هكذا، أما الذئب فهمها ابتلاع أكبر حصة ممكنة منك. ولكن ما مصير وجهي؟

اكتب عن تفاصيل وجهي بيتا يا سلطاني، وهل سيكون وجهي بحجم فم أحدها. غطى وجهه بكفيه وانتابته قشعريرة ثم صرخ باكيا: «يا إلهي... أدركني...»

مادمت قادرا على الحركة فتسلق الشجرة ولا تدع أن تفلت هذه الفرصة من يدك. بقفزة واحدة منها سوف أحرّ ساقطا. نهض ووضع قدمه على حقيبته، لم يلتفت إلى الذئب وهي

تقف متوثبة، قفز متسلقا الشجرة. ولكن الشجرة أضعف من أن تتحمل وزنه، وفعلا تكسرت أغصانها المدببة بهزة واحدة، وعندما ألقى نظرة إلى الأسفل كان قد ارتفع مترا واحدا عن الأرض، هل هذا يكفي؟ حاول ألا ينظر صوب الذئب، غير أن أصواتهم كانت قريبة جدا، ويبدو أنها كانت تضحك مندفعة وقد التحق بها الذئب الحارس. كانت الذئب تتلاعب وتضحك. شفق باكيا: يا إلهي.... يا إلهي العظيم... وصرخ: يا الله. كفت الذئب للحظة عن الضحك وحملت به ثم استأنفت ضحكها.

قال: أدركني... ساعدني يا إلهي وصرخ يا الله؛ من اسمك استمد القوة والأمل، وأنا على يقين من أن الذئب أيضا تدرك معنى اسمك، لأنه صلة الوصل بيننا جميعا؛ أنا والذئب والثلج والسهل والفيوم وشجرة اللوز هذه. فيا عائلتي الكبيرة لا ترتضي لي مثل هذا الموت. ثم صرخ: يا الله... ووسط نسيجه هذا شاهد الذئب وهي تلتفت فجأة إليه مندفعة بقوة. انكمش جسده وتمدد جلده وانتصب شعر بدنه، أحس بكل مسامات جسمه وهي تتضح عرقا. ووسط بكائه المتقطع شعر بأن جلد أحد الذئب يمس معطفه حينما وثب نحوه، بدأت الشجرة بالتمايل وأحس بمقدمة جزمته اليمنى عالقة بين فكي ذئب آخر للحظات ثم تركه، اما معطفه الجلدي فقد تمزق بضربة مخلب ذئب آخر، وأمامه كان فم ذئب مفتوحا وعيناه المشتعلتان بلون الدم؛ تحديق فيه وأنيا به الحادة كان بمقدورها تمزيق النظرة ذاتها... ولكن أين كان هذا الذئب؟ لقد التقط بأنيا به الجزمة اليسرى ثم

أفلتها، وذئب آخر كان يصدم الشجرة بجسده بشدة لتتأرجح إلى
الأمام والخلف وذئبان آخران كانا واقفين خلفه ويقذفان الثلج
عليه بأقدامهما بقوة. أغلق عينيّه وأشاح برأسه بعيداً، تاركاً
كرات الثلج تتساقط على ظهره، أما الذئب الخامس فقد ظل
فاغراً فمه؛ إنها صورة الموت؟

ها أنا على وشك السقوط. صرخ: يا إلهي...

أحس بأن قدمه اليمنى أصبحت أخف من اليسرى، الرؤية
أصبحت عسيرة عليه من شدة عصف الثلج الموجه إليه من قبل
الذئاب، سحب رجله اليمنى وسقطت جزمته وفم الذئب المفتوح
أصبح قريباً جداً وشعر بأنفاسه الكريهة وهي تلطم وجهه، حتى
يديّ... ولكن لماذا صرت أدور؟

من بعيد سمع هاتفاً وعندما توقف رشق الثلج عليه من قبل
الذئاب. شاهد شخصين ينحدران راكضين من فوق التلّ وسمعهم
يقولون: قاوم...

هكذا إذن، يبدو أن الذئاب شاهدت قدوم هؤلاء الأشخاص
فسارعت بالهجوم. أحس بنفسه معلقاً في الهواء وشعر بارتطامه
بالأرض... إلى أن يصلأ ساكون ممزقاً.

قال: سامحوني... أغلق عينيّه بشدة كي لا يرى فم الذئب
المفتوح، رأى أن وجهه قد غاص في ذلك الفم. تسارعت ضربات
قلبه، سمع أصواتاً من بعيد: «كان بإمكاننا أن نأخذ بطاقات
العرس غداً إلى قرية نصرآباد، لسنا في عجلة من أمرنا...»، فتح
عينيّه. شاهد ضوء فانوس وظلال السقف المتداخلة... «عندما
رأيت حركات الذئاب، قلت لكريم لا بد من وجود أمر ما...»

عرف صوت كريم، حرك قدميه ويديه، إنه لم يفقدهم. أنه حي.
لقد رميناها بالفؤوس. يكفي أن ينبح أحدها حتى يفر الباقين.

- ملاعين الوالدين....

- يا للعجب... يا للعجب...

كان ذلك صوت عمدة القرية (يبدو أنه قد استعاد وعيه) انتبه
إلى صوت سلطاني الذي قال: لقد مَنَّ الله على أمه وتلطف
عليها.

ضغط على جفنيه؛ أنشد للحياة يا سلطاني. فهمس: «لقد
شعرت به» واستمر في ذهنه يقول: ولكن كيف لي أن أشرح لك
هذا؟

ما الذي تقوله.... يا سيدي؟

واصل نجواه قائلاً: أدركته... واستمر في ذهنه؛ إلى الحد
الذي يمكن لمسه؟ ألمسه؟

قال سلطاني: يا عزيزي كمال؛ هل تحتاج شيئاً؟

واصل همسه: لقد رأيته، وقد ابتسم لي بلطافة مرئية.

ثم قال: يا أسرتنا... وأجهش بالبكاء.

كامران سحر خيز Kamraan Sahar Khiz

ولد كامران سحر خيز في عام ١٩٦٤م في مدينة صومعة سرا بمحافظة كيلاان الواقعة على بحر قزوين. حصل على شهادة الماجستير في آداب اللغة الفارسية. يعمل في حقل الإنتاج في هيئة الإذاعة والتلفزيون في محافظة كيلاان ويتعاون كذلك مع مركز الفكر والفن الإسلامي وجمعية حفظ آثار وقيم الدفاع المقدس. حصل على جوائز عديدة.

صدر له: «أرني طريق بيتك»، رواية (٢٠٠٢) و«الظهور في مساء ليموني»، مجموعة قصصية (٢٠٠٣)، و«لا تقرأوا هذه القصة»، مجموعة قصصية (٢٠٠٥).

لا تقرأوا هذه القصة

تظنون قطعاً أنني كتبت هذه القصة حتى تقرأوها أنتم لكن، كلا، ليس كذلك، أنا أريد... ليس مهماً، سأخبركم عما أريد في نهاية القصة. وأما القصة نفسها:

روى رجل اسمه الراوي لصديقه أنه كتب قصة تبدأ هكذا: تظنون قطعاً أنني كتبت هذه القصة حتى تقرأوها أنتم لكن، كلا، ليس كذلك، أنا أريد... ليس مهماً، سأخبركم عما أريد في نهاية القصة وأما القصة نفسها:

روى رجل اسمه صديق الرجل الراوي للراوي بأنه كتب أيضاً قصة تبدأ هكذا:

تظنون قطعاً أنني كتبت هذه القصة حتى تقرأوها أنتم لكن، كلا، ليس كذلك، أنا أريد... ليس مهماً، سأخبركم عما أريد في نهاية القصة.

لكن... ولكن قبل أن يروي هو وقبل أن أكتب أنا أريد أن أريح بالكم، ها أنا حقا أروي لكم القصة ذاتها:

الرجل الذي ليس أنا ولا رجلاً باسم الراوي ولا صديق الراوي قد ولد ضاحكاً بدلاً من أن يكون باكياً في الساعة التي لا يعرفها بالتحديد في الحادي عشر من مارس سنة ألف وتسعمائة وأربع وستين وكان يضحك أيضاً متى ما جاع.

كان يضحك عندما كان يركب السيارة وكان يضحك عندما يقرأ الجريدة. كان يضحك عندما يقرأ الكتاب وكان يضحك عندما تزوج. وفي النهاية ضحك بالقدر الذي ضجر منه الجميع

فقرروا أن يفعلوا شيئاً حتى لا يضحك. لأنهم ما كانوا يفعلون شيئاً وما كانوا يضحكون وما كانوا ييكون.

إنهم كانوا يعيشون فقط والحياة ليست الضحك والبكاء. فقاموا بخياطة شفتيه بواسطة أقوى خيط كان قد صنع حتى ذلك الحين وبواسطة أفضل إبرة موجودة.

والآن إذ لم يكن قادراً على الضحك صار شكله مضحكا بقدر كبير، مما أجبرهم على أن يضحكوا لأول مرة، ومنذ ذلك الوقت فصاعداً كانوا يضحكون عندما كانوا يجوعون. وكانوا يضحكون عندما كانوا يتزوجون.

وكانوا يضحكون عندما يتلقون الضرب وكانوا يضحكون عندما يقرأون الجريدة.

ولم يكن يوجد أحد يضجر، أو يقرر بأن يفعل شيئاً حتى لا يضحك. وكان الرجل يعيش وهم كانوا يضحكون. العمل نفسه الذي كانوا يفعلونه حتى الأمس، هم كانوا يعيشون والرجل كان يضحك. الآن تتصورون لا محالة بأنني كتبت هذه القصة حتى تقرأوها أنتم وتضحكون عليّ. أنتم أحرار تستطيعون أن تضحكوا، أو تذهبوا إلى أعمالكم وحياتكم.

على فكرة، قبل أن أنسى، كان من المفروض أن أخبركم لماذا كتبت هذه القصة بتلك المقدمة المكررة وما هو عمل ذلك الرجل الراوي وصديقه في الأصل؟

يا أحبائي، لا شيء! كانت حيلة كي تقرأوا هذه القصة الآن تستطيعون الضحك أو الذهاب إلى عملكم وحياتكم. وإذا انزعجتم فالذنب ذنبكم، أنا قلت لكم من البداية ألا تقرأوا هذه القصة!

أبو القاسم فقيري Abu Alqasim Faqeer

ولد عام ١٩٣٧ في مدينة شيراز. أمضى دراسته الابتدائية والثانوية والجامعية فيها. وبدأ العمل في سلك التعليم في المدارس الابتدائية عام ١٩٥٧ وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٨٠ وكان مديراً عاماً لدائرة الثقافة في محافظة فارس.

يعدّ هذا الكاتب من رواد القصّة في محافظته وقاعدتها شيراز وهو خبير في الفولكلور والثقافة العامة. طبعت له المجاميع القصصية التالية:

العقيم، البيت بيتنا، الوحش، معي على الطريق، المعطف، غزالي الصغيرة النائمة، أنا المرأة العجوز وعمو نيروز.

كما نشر دراسات عديدة في الفولكلور منها: النغمات المحلية، قصص أهالي شيراز، الألعاب المحلية في فارس، لمحات من ثقافة الناس في فارس، التقاليد النيروزية في فارس، من النغمات المحلية في فارس.

العروس

كان اسمها فاطمة، لكن الجميع كانوا ينادونها فاطو. عمرها إحدى عشرة سنة وكانت لا تزال طفلة صغيرة تملك ثلاث دمي. كان الأطفال يحيطون بها بسبب هذه الدمي. إحداهن كانت بطولها وقامتها هي. الدمية الأخرى كان لديها شعر طويل وعيون زرقاء فكانت تعتبرها الدمية العروس. فتضع الدمية التي كانت بنفس طولها كعريس وكانت تقيم حفلة عرس يوميا. تزغرد مع الأطفال ويغنون:

- من يدخل غرفة العروس؟ العريس الأنيق مع زوجته.

- من يدور حوله؟ أختها الصغيرة.

وكانوا يزغردون: لي لي لي لي.. لي لي لي لي.

وحينما يستولي عليهم التعب يكون قد حان وقت الظهر حينها يذهبون ليعودوا عصرا. في ذلك اليوم كان الأطفال قد ذهبوا فورا إلى بيوتهم عندما نادى أم فاطو ابنتها.

- ماذا تقولين؟ ماذا؟

- تعالي إلى الأعلى، أحتاج إليك؟

- سوف آتي.

- فاطو.

- نعم.

- هل تريد أن تصبحي عروسا؟

- طبعا أريد. من يكون العريس؟

- أسد الله خان.

- من هو أسد الله خان؟
- رجل ثري جدا .
- هل طوله كطول أحمد؟
- أحمد مازال طفلا لكن أسد الله خان رجل .
- كيف تصبح الفتاة عروسا؟
- حين تذهبين إلى بيت العريس سيعلمك .
- ماذا سيحلّ بدمياتي؟
- يجب أن تتركها هنا .
- هل ستأتين أنت معي أيضا .
- لا !

- وماذا عن الأطفال؟
- لا ، هم لن يأتوا أيضا .
- مع من سألعب هناك إذن؟
- يكفي كلاما ! أنت لست طفلة حتى تلعبى !
- فمن أنا إذن؟
- أنت امرأة ناضجة .
- لكنني سأشتاق إلى الأطفال ودمياتي .

في المساء ازدحم البيت بالناس بحيث إذا كنت تلقي إبرة لا تصل الأرض من شدة الزحام . كانت فاطو ترى أشياء جديدة لم تمرّ عليها ، كانوا يلبسونها ملابس جميلة وفرشوا لها سجّادة صلاة وأجلسوها عليها . أعطوها مصحفا مفتوحا وقالوا لها :

- انظري إليه .

بعد ذلك جاء رجل وقرأ أشياء لم تكن تفهمها .

لم تكن تفهم شيئاً من هذه الأمور .

قالوا لها : قولي نعم ! فقالت فاطو : نعم .

قالوا لها : بصوت أعلى . فاطو قالت بصوت أعلى : نعم !

وزغردت النساء ونثرن الحلوى على رأسها . كانت فاطو

تضحك وتجمع حبات الملبس من حولها وتضعها في فمها .

عندئذ رأت رجلاً قادماً نحوها وكانت النساء يفتحن له طريقاً

بينهن ويزغردن .

جلس بجانبها على الأرض في مقدمة سجادة الصلاة ، ووضع

زوجاً من الأساور في يديها . حركت يديها ، ارتفع صوت الأساور ،

استمتعت فاطو بهذا الأمر ، ومدّ الرجل يده تحت ذقنها ورفع

رأسها . عندما التقت نظرتها بنظرته فوجئت . كان الرجل مثل

أبيها المرحوم بالضبط . فأطرقت رأسها .

ضحك الرجل وضحكت النساء أيضاً . فنظرت فاطو باستغراب

إليهم . كانت تلعب بأساورها عندما سمعت جلبة الأطفال :

فاطو ! فاطو !

صاحت من مكان جلوسها :

- لا أستطيع المجيء .

- لماذا ؟

لأنهم جعلوني عروساً ، أمي تقول أنا أصبحت امرأة ناضجة .

ارتفع صوت امرأة بالغناء وهي تحمل الدف :

- الزقاق متعرج ، نعم .

العروس صغيرة ، نعم .

لا تلمسوا ضفيرتها.
شعرها مكتظ باللؤلؤ، نعم.
وضاع صوت الأطفال في زغردة النساء.

أبو تراب خسروي Abu toraab khosrawi

ولد أبو تراب خسروي سنة ١٩٥٦م في ضواحي مدينة شیراز، وحصل على بكالوريوس للتعليم الابتدائي، ليعمل أعواماً في تعليم الأطفال المعاقين بشیراز. من أعماله: «الهاوية» مجموعة قصصية، و«ديوان سومنات» مجموعة قصصية، و«أسفار الكتاب» رواية فازت بجائزة «المهرجان» الأدبية، و«نهر الحكايا» رواية فازت بجائزة هوشنك كلشيري في دورتها الرابعة. تعتمد أعمال خسروي القصصية على الأساليب السورالية وما بعد الحداثة، كما يبدي نزوعاً للنثر الكلاسيكي الفارسي واستلهام النصوص المقدسة. اهتمامه باللغة ومحاولاته تقديم مضامين جديدة جعلته صاحب أسلوب مختلف بين معاصريه من الكتاب.

وجود

نافذة مضاءة بضوء نارنجي. قالت المرأة: «مصباح المطبخ مضاء».

استدارت سيارة البيجو ثم توقفت فوق المعبر المقابل للمنزل. تتأهب الرجل وترجل، ومن الباب الخارجي عبر إلى الممر، ومن السلالم إلى حيث موضع الأحذية عند الباب الداخلي، ومن جيب معطفه اخرج مفتاح الدار، غير أنه أخفق في معالجة أمر القفل. أضاء المصباح الخارجي للمدخل، من سيارة «البيجو»، ترجلت المرأة وبعد أن اجتازت الممر قالت: «سأفتح الباب، اذهب أنت ورافق الأطفال».

حاولت المرأة فتح الباب، ولكن دون جدوى، فيما الرجل وضع يديه في جيب سرواله منتظرا. عندها قهقهت المرأة قائلة: (ربما لم يكن مفتاحه، سأجرب مفتاحي الخاص) بحثت عن مفتاحها داخل محفظتها، وبمفاتيحها أيضا لم ينجح الأمر. الريح حركت أشجار الصنار المتراسة على أطراف الساقية، كانت أوراقها تتساقط في الظلام وكان صوت خشخشتها يُسمع على الأرض. عندها ارتفعت قهقهات الرجل.

قالت المرأة: «اخفض صوتك فالجيران نائمون».

الرجل: «ومن حسن الحظ أن الأطفال أيضا مستغرقون في النوم»، وكرة أخرى حاول فتح الباب. أما المرأة فحاولت عبر الإيوان الضيق المشرف على الباحة إلقاء نظرة من خلال الشباك إلى مطبخ المنزل، نظراتها اصطدمت بنور ساطع انبعث

من المطبخ، عندها لاحظت ظلا عند موقد الغاز، وعيون تبحلق فيها، كانت هناك امرأة عجوز في المطبخ، ترتدي معطفا وبريا قديما، وثوبها أسود طويل، وأطراف جواربها تتدلى عند قدميها، وشعرها الأبيض ملتف في كماشات الشعر الحمراء.

هرولت المرأة إلى حيث زوجها الذي لا يزال مشغولا بمعالجة أمر الباب، لتهمس في أذنه: «هناك شخص في المطبخ».

صرخ الرجل: «من هو؟»

المرأة: «لا أعرفه!»

سار الرجل على أطراف أصابعه إلى حيث النافذة. كانت العجوز قد صارت خلف النافذة مباشرة ونظراتها مصوبة نحو الخارج.

صرخ الرجل بها: «كيف تجرأت على دخول دارنا؟»

ضيق العجوز من حدقتي عينيها وهي تنظر إلى الرجل بدقة. المرأة التحقت بالرجل ومن خلف النافذة طرقت على قضبان النافذة صارخة: «هيا افتحي الباب بسرعة».

فتحت العجوز النافذة وهي تبحلق مبهوتة بعيون المرأة.

المرأة والرجل كانا متسمرين خلف النافذة.

صرخ الرجل: «هيا بسرعة افتحي الباب والا...».

نظرت العجوز إلى ساعتها وقالت: «أفتح الباب لكم..! سأتصل حالا بالشرطة» تركت المطبخ ببطء. فوق شعلة الموقد الغازي الزرقاء كان إبريق الماء يغلي، والضوء الساطع المنساب من نافذة المطبخ جعل خصلات شعر المرأة تزداد توهجا، ضغطت شفتيها المشوبتين بالاحمرار إحداهما بالأخرى، أما الرجل فقد

أرخی ربطة عنقه قليلا، وبعد أن سحب منديلا من جيبه، جفف عرق جبهته. بعد ذلك سمع وقع اقدام العجوز بعد أن عادت إلى المطبخ، وعندما قطعته نحو الصّفة سحبت سكيننا ضخما من إحدى سلّات المطبخ الفلزية، وسارت صوب النافذة، وعند طرف النافذة أسندت كتفها على قبضة يدها، قائلة:

«لأجل أن تدركوا أن نومي خفيف كنوم الطيور، وأنتي جاهزة دائما للدفاع عن منزلي، حقا إنكم لا تعرفونني جيدا، فأقداركم السيئة جاءت بكم إلى داري، وإن أصررتم على البقاء سيصل من يسألکم عن سبب وجودكم في هذا الوقت المتأخر خلف نافذة منزلي».

- عليك أن تعرفي أن الأطفال نائمون في السيارة، ورأسي يؤلمني وغدا صباحا على زوجي أن يذهب باكرا إلى عمله. افتحي الباب، طأطئي رأسك وارحلي قبل فوات الأوان، وأعدك بأن لا تواجهي أي مشكلة بعد ذلك.

- لم يخطر ببالي أن يوجد أشخاص على شاكلتكم. تأتون في منتصف الليل لتخرجوني من منزلي. الشرطة ستصل قريبا، لقد اتصلت بهم وسيصلون بين لحظة وأخرى، حتى وإن لم يصلوا سألقنكم درسا بهذه السكين القاطعة.

- «ليس من اللائق إيقاظ الجيران في مثل هذا الوقت المتأخر من الليل، ولكن ما الحل قد اضطر إلى ذلك، عندها سألتقطك من فروة رأسك مثل أي قطعة لأعرضك أمام الجميع».

- «إن أصررتم على البقاء في مكانكم هذا فستظهر حقيقتكم. فاللصوص المبتدئون دائما ما يسرقون المتبن. ذهبت المرأة إلى السيارة لتلقي نظرة على الأطفال.

قالت: «إنهم متقرفصون من شدة البرد».

هبّت رياح باردة، وسمع صوت خرير الماء، وتحت شعاع
النور الفضي للأمواج صار رذاذه نسيجا انساب عبر منحدرات
الطحالب.

صاح الرجل: «لقد تلاعبت بالقفل كي لا يفتح... افتحي
الباب!» ضاربا بقبضته قضبان النافذة. انعكس صوت تهشم
زجاجها في عتمة الليل، على قبضته لاح خط نازف، أسرع
زوجته نحوه، رفع الرجل يده محدقا بها في ضوء النافذة، على
جبهته الملتهبة استقرت قطرات من العرق. أخرجت المرأة منديلا
من محفظتها، ودعته لأن يبسط يده، وشدت يده بالمنديل. من
بعيد سمع صوت سيارة مقبلة.

العجوز كانت تراقب من أحد جوانب النافذة، ومن خلف
الأشجار لاح نور مصابيح السيارة. عندها قالت: «لقد وصلوا؛
وأخيرا جاء من سيحقق معكم عن سبب وجودكم في منتصف
الليل في باحة منزلي».

اقتربت الدوائر النارجية لمصابيح السيارة. نزل الرجل والمرأة
عن طريق السلالم، اجتازا الباحة وبقيتا ينتظران. توقفت سيارة
الجيب البيضاء مخلفة صوت المكابح، هرول الرجل والمرأة حتى
السيارة.

قال الرجل دون مقدمة: «مرت ساعة تقريبا، عندما عدنا من
الضيافة ووجدنا شخصا داخل المنزل، أغلق كل الأبواب ولا يريد
أن يخرج».

العجوز المتوقفة عند النافذة صاحت وهي تلوح بالسكين:

«أنا من اتصل بكم تلفونيا، لم أكن أريد إيقاظ الجيران، وأنا دائما ما أكون ساهرة في مثل هذه الأوقات، حيث أرتشف كأسا من الشاي، كنت أسخن الماء لأجل ذلك، عندما شاهدت هذين الشخصين خلف النافذة».

ترجل الشرطة بملابسهم الرسمية ذات اللون الكحلي من السيارة.

خاطبتهم المرأة قائلة: «أخرجوها من المنزل».

ردت العجوز: «أنا التي اشتكيت عليهما».

أحد الشرطة: «سيتضح كل شيء» بعد ذلك وجه سؤاله إلى العجوز: «متى دخلت هذا المنزل؟»

ردت العجوز مقهقهة: «منذ أربعين عاما، أو أكثر».

قال الرجل: «لم أكن أرغب بإزعاج الجيران، ولكني الآن أجد نفسي مضطرا إلى فعل ذلك».

عند المعبر كان العريف متسمرا، غير أن الشرطي لم يكن يمكث لحظة واحدة في مكان، كان كالظل تجده في كل مكان، يقترب من النافذة، يلقي بنظراته نحو الداخل، يتهامس مع العجوز تارة، ليجتاز الأشجار تارة أخرى. أشرف العريف على إحدى الدور المقابلة قائلا: «هل يوجد فيها أحد؟»

الشرطي الشاب يضغط على الجرس مرتين أو ثلاثا. ينبعث من خلف زجاج النافذة العلوية للباب نور نارنجي، ويسمع صوت سعال جاف، يخرج رجل يرتدي روب «شامبير» قديما بملامح منقبضة، نظراته بحذر منصبة حيث المأموران. وبصوت واحد قال الجميع: مساء الخير.

قال العريف: «لقد أزعجناكم، لكننا مضطرون، وكان من الواجب أن نفعل ذلك؛ لقد حصل أمر ما، غير أنه لا يتعلق بكم». قالت العجوز الواقفة تحت ظل نور النافذة النارنجي: «مساء الخير، كان هؤلاء يريدون أن يدخلوا منزلي بعنف، حتى أنهم كسروا زجاج النافذة».

تقدم الرجل العجوز، وهدق في الرجل والمرأة. - إنه لأمر عجيب، باب منزلنا لا يفتح بمفتاحنا، وهذه المرأة التي تمسك سكيننا تقف في المطبخ، إننا آسفون على هذا الإزعاج الذي سببناه لكم.

الشرطي الشاب كعادته في حركة بندولية وسط العتمة. قالت المرأة: «والأكثر إزعاجاً، أن الجو أصبح بارداً، ويمكن أن يصاب الأطفال بالبرد، وهذه العجوز لا تفتح الباب». وقال الرجل العجوز وهو متوجه إلى حيث نور النافذة، قال: «كانوا يريدون الدخول من النافذة؟ من حسن الحظ أنك كنت مستيقظة، وإلا كان من الممكن أن يحدث كل شيء»، ثم وجه كلامه إلى العريف: «يجب علينا أن نشكركم، لأنكم وصلتكم في الوقت المناسب».

قالت العجوز: «حتى عندما كان المرحوم حياً، كنت أنا أحافظ على المنزل، فالمرحوم كان لا يكاد يضع رأسه على الوسادة، حتى يفرق في سابع نوم، والآن يريد هؤلاء اقتحام بيتي بالقوة. أرجو ألا تسمحوا لهم بالفرار، لأنني سأقدم بشكوى ضدهم».

قال الرجل: «أمعن التفكير جيداً، ستتذكرني حتماً». ضحك العجوز موجهها كلامه إلى الشرطة: «أي وقاحة هذه،

وأي أشخاص يظهرون هذه الأيام، يجب عدم السماح لأمثالهم بالوجود بين خلق الله، فمن الممكن أن يقتلوا الناس، أو يسرقوا أموالهم»، بعد ذلك رفع من نبرة صوته موجهًا كلامه صوب النافذة المضاءة: «كان عليك أن تخبرينا مبكرا، لقد قصرت في هذا الأمر، انتبهي وعندما يحدث شيء ما، أيقظينا. تصبحون على خير».

قالت العجوز: «تصبح على خير».

ركض الرجل مضطربا نحو عدد من المنازل المجاورة، ضاغطا على أجراس عدد منها، وهو يضرب بقبضته أبوابها صارخا: «شخص واحد... شخص واحد... شخص واحد».

منازل عديدة لم تفتح أبوابها، سوى رجل واحد ذي شعر أحمر، خرج راكضا من أحد البيوت، إلى حيث يقف الشرطيان. قالت له المرأة: «انظر من هناك، من في البيت».

قالت العجوز: «مساء الخير، أسمع ما يقولان، إنهما يدعيان أنني دخلت منزلهما، ثم أغلقت الأبواب في وجههما».

ظهرت امرأة سمينة من خلف ظلال الأنوار بخطوات بطيئة، ما كادت تسمع صوت العجوز حتى ضحكت، وضحك أيضا الرجل ذو الشعر الأحمر، وفيما الرياح تواصل عبثها، وصلت المرأة السمينة إلى حيث النافذة المضاءة، وقالت: «ما الخبر ألا فأخبروني؟»

ردت العجوز: «حتى في تلك الأعوام، كنت من يحرس هذا البيت أرجو ألا يسمع صوتي وهو تحت الثرى، فالمرحوم حتى إذا كان يقظا، كان جبانًا، ويدعر من صوت القطة».

قال الرجل ذو الشعر الأحمر: «لماذا لم تتصلي بنا؟». قالت العجوز: «لعلهم يحملون مسدسات، فلا يقدر عليهم أحد سوى هؤلاء الشرطة، فإنهم تدريبوا على مثل هذه الأعمال». قال العريف: «تصبحون على خير»، ثم وجه كلامه إلى الرجل والمرأة: «عليكما أن تأتيا معنا» ثم قال للعجوز: «أحكمي إغلاق النافذة، وكوني مطمئنة، وغدا صباحا راجعي المخفر». أمسك الشرطي الشاب بيد الرجل قائلاً: «اصعد، تحرّك». كان وجه المرأة قد ابيض، وشفتاها الحمران ازدادتتا توهجا وسط بياض وجهها الحليبي. الدم يترشح من المنديل الملفوف على يد الرجل.

قال الشرطي الشاب: «شغل السيارة وانطلق». ألقى الرجل نظرة على الأطفال المتقرفصين في المقاعد الخلفية للسيارة. خلع معطفه وقال للمرأة: «ألقيه عليهما». ركب العريف سيارة الجيب: «سأكون في المخفر بانتظاركم». ألقت المرأة المعطف على الأطفال وجلست بقربهم. انطلقت السيارة.

قال الرجل: «زارنا أصدقاءنا في منزلنا هذا مرارا، وسيحدثونكم عن ذلك، عليكم أن تسألوهم، والآن هم مجتمعون، وكنا معهم في ضيافة، لكننا رجعنا قبلهم، وسيؤكدون لكم حقيقة ما نقول، وأنا واثق من أن الأمور ستتوضح لكم». كان الرجل ينظر إلى زوجته من خلال المرأة التي كانت تجفف وجهها بالمنديل.

قالت المرأة: «اسألوا أصدقاءنا، سيوضحون لكم الأمر».

الأسواق والمحلات كانت مغلقة، وأسفلت الشوارع تضيئه أنوار مصابيح السيارة. ووسط عتمة الليل كانت تتراكم التصاميم والكلمات لتضيء ملامحهم.

قال الرجل: «يقع ذلك المكان في مسيرنا هذا، لا يحتاج إلى أن تترجلوا، يكفي أن أدعوهم حتى يكونوا عندكم، ليعرفونا اليكم». قال الشرطي: «الوقت متأخر الآن، لنواصل مسيرنا».

قالت المرأة: «لقد رجعنا مبكرين من الاحتفال، فزوجي ينبغي أن يلتحق مبكرا بعمله. إنهم أصدقاءنا وعليكم الاستفسار منهم». قال العريف: «الوقت متأخر، وعلينا الوصول بسرعة.. فهم بانتظارنا».

كانت السيارة تقطع خلوة الشوارع بسرعة.

قال الرجل: «إن تمنحونا هذه الفرصة، فسنكون ممنونين لكم، فلقد وضعنا في موقف لا نحسد عليه؟ ولكن لا بد للأمور من أن تتضح، وللالتباس أن يزول، ليس سهلا استيعاب؛ أن يفلق أحد ما باب بيتك بوجهك و...».

قالت المرأة: «إن لم نرجع إلى البيت، فسيكون الأمر صعبا على الأطفال. لو سمحتم، أن نضع الأطفال عند أصدقائنا على الأقل».

قال الشرطي: «نعم... نعم، ضعوا الأطفال عند أصدقائكم».

قال الرجل والمرأة: «شكرا، لن ننسى هذا الجميل».

قال الرجل: «المكان ليس بعيدا من هنا، فهو قريب».

وبعد أن تجاوزت السيارة شارعاً مظلماً، توقفت أمام أحد المنازل. كان صوت الموسيقى يتسرب إلى الخارج من نوافذه

المغلقة. ترجلت المرأة من السيارة بسرعة، ارتقت السلالم وضغطت على الجرس. الرجل والشرطي ترجلا أيضا. وعند فتح الباب أطل رجل أصلع. ضحكت المرأة اندفعت بحيوية من جانب الرجل الأصلع إلى مدخل البيت، لتتوقف عند بهو المنزل. ألقى الرجل الأصلع نظره إليها متعجبا، وموجهها كلامه إلى الشرطي قائلا: «تفضلوا، أرجوكم» ثم تحرك صوب مكان المرأة، كرر ثانية «تفضلوا».

كان للبهو ضوء خافت للنظر، وضع الرجل «كمانه» على الأرض، أما تلك الهمهمات التي كانت تسمع عند مدخل المنزل فقد تضاءلت. وعند أطراف البهو كانت النساء بأزيائهن البراقة جالسات وخصلات شعرهن الملونة ومساحيق وجوههن تسطع بالأضواء اللامعة.

ضحكت المرأة بصوت عال، وقالت: «لن تصدقوا، منذ اللحظة التي رجعنا فيها إلى المنزل، ونحن في مأزق لا مثيل له؛ فقد تحصّن شخص في منزلنا، ولا يخرج منه، لا بل اشتكى علينا، بأننا نريد أن نخرجه من منزله، لذلك قلنا؛ مادمتم موجودين، لعلكم توضحون الأمر».

ضحك الرجل أيضا ثم أضاف: «في البدء اعتقدت أنني دائخ، أو من الممكن أن أخطأت، بل فكرت بأنني أرى في المنام رؤيا، ولكن بعد جرح زجاج النافذة يدي أدركت أن الأمر كما هو حاصل فعلا».

عند أطراف البهو، تبادل الرجال والنساء المندهشون النظرات بين بعضهم البعض، ومن دون أن يرف لهم جفن تبادلوا الهمسات.

قال الرجل ذو الربطة الحمراء: «كما ترون، يبدو أنكم جئتم إلى هذا المكان خطأ، كما أنكم وللأسف دخلتم علينا من دون استئذان».

ثم ألقى نظرة على بقية الضيوف وقال: «ولا أعتقد أن أيا من ضيوفنا قد تعرف عليكم سابقا، لذا أرجو ألا تضايقونا أكثر من ذلك»، وبعدها أشار إلى ممر الخروج.

كانت المرأة متسمة وسط البهو، وملامحها الغاضبة ازدادت اشتعالا بفعل نور المصابيح، وهي تضغط على شفاهها، ألقت نظراتها على الضيوف فردا فردا.

قال الشرطي: «آسفون على الإزعاج، في هذا الوقت غير المناسب. تصبحون على خير».

ثم سحب الرجل من يده، بشكل اجتته من مكانه. هرعت المرأة للحاق به. وبعد أن خرجوا من المنزل، سمع بكاء أحد الأطفال يشق صمت العتمة.

جلس الرجل خلف مقود السيارة، صعدت المرأة أيضا ثم أجلس الطفل على ركبتها وحركتها ثم انحنت تقبله وهي تجهش...

ثم قالت: «كم الوقت الآن؟»

قال الرجل: «الواحدة والنصف».

قال الشرطي: «لقد تأخرنا، انطلق».

محمد رضا كاتب M.R.Kateb

ولد محمد رضا كاتب في العام ١٩٦٦م في طهران، وتخرج في الجامعة في فرع الإخراج التلفزيوني. يعمل إلى جانب كتاباته القصصية والروائية في كتابة السيناريو، وقد أصدر إلى الآن سيناريو «قمر الليلة الرابعة عشرة»، و«حمرة التفاحة غير الناضجة».

وصدرت له ثلاث مجاميع من القصة القصيرة هي: «قطرات المطر»، و«نظرة خريفية صفراء»، و«اجتياز القميص». اختيرت روايته «هيس» كرواية العام لسنة ١٩٩٩م ونالت جائزة النقد والكتاب والصحافيين. من الروايات الأخرى لمحمد رضا كاتب يمكن الإشارة إلى «البريد»، و«وقت التقصير»، و«أيام الإثنين الزرقاء».

الأرض الزرقاء

الصقيع على أشده. الرياح الباردة تئن وترمي بالصقيع على وجه «لالي»^(*). كان لالي يتسلق سفح تل من ويبحث فيها بعصاه. وقف وشاهد أمامه سهلا فسيحا من الزباله، وخلفه ربضت المدينة متعبة حالكة يدثرها الدخان. وقعت عيناه الذابلتان على قطعة مطاطية زرقاء نطت من شق في كيس زباله.

تقدم وجلس. سحب المطاط الأزرق من الكيس. كان شاحنة محطمة بلا عجالات. دسها في «كيس من خيوط الكنف» ممتلئة بقطع الزجاج والأسلاك والنحاس. عاد وفتش كيس الأزبال عسى أن يعثر على شيء ينفعه. وقعت عيناه على قلم باستيل صغير. انطبعت على شفاهه بسمة باهتة حزينة. أمعن فيها قليلا. أخذ قطعة ورق ورسم خطأ عليها. ترك قلم الباستيل خلفه خطأ مرتعشا. نهض قليلا ونظر. السيد أصغر كان ينبش الأزبال بعيدا عنه.

سحب لالي قطعة مقوى بيضاء ومجموعة من الكيس ونظر إلى صفحتها. كانت جزءا من علبة ألعاب. وضعها أمامه وراح يتملاها وهو يفكر ما الذي يرسمه عليها.

كما كان يرسم دوما بالفحم على الأرض، أو الجدران، رسم سماء حالكة بقلم الباستيل الأسود، ووضع لها غيوما وحماثم وصقيا متساقطا وشمسا. شمسه كانت مبتسمة لكن ابتسامتها أيضا سوداء. لم يكن في المقدور تصديق أن ابتسامتها حقيقية.

(*) لالي: بمعنى الأبكم.

ضوء الشمس السوداء لم يكن لينير أي مكان. وكأن الليل يخيم على كل مكان.

رسم لالي غرفة صغيرة كالتي يعيش فيها مع السيد أصغر بشباكين كان يرسم على زجاجيهما المغشين بالبخار دوما. استحضر السيد أصغر بوجهه النحيف وشاربه الكث المسيل ليرسمه. رسم أولا عصا السيد أصغر. العصا التي كان يضرب بها دائما. ثم رسمه هو. فجأة تحرك السيد أصغر ونفض الثلوج عن كتفيه. ما إن وقعت عيناه على لالي حتى رفع عصاه وصرخ فيه كعادته:

- يا جرو، ها قد انكفأت على نفسك مرة أخرى. قمّ.. قلت لك قمّ!

رفع السيد أصغر عصاه إلى الأعلى وضرب لالي على جنبه بقوة كما فعل بالأمس. انتشر الوجع في جنبه. ترك قلم الباستيل وراح يتلوى على نفسه ويئن. صرخ السيد أصغر:

- قم قبل أن أصير لك جلدك أزرق كتلك المرة... إما يرسم أو يتخيل. هيا انهض وآتنا بالماء.

ثم رفع عصاه مرة أخرى. لم يمهله لالي ومضى بظفره الطويل عصاه من على المقوى. تعجب السيد أصغر وهتف:

- ماذا؟! أتسرق عصاي؟! يا ابن ال...

ضحك لالي. نسي الألم. كان السيد أصغر يصرخ ويشتم من دون انقطاع.. كما هي حاله دوما.

مسح لالي فم السيد أصغر أيضا. لم يعد في استطاعته أن يصرخ عليه.

فجأة هبت في داخله نسائم وتموج قلبه كتموج بركة. وضع يده تحت حنكه وفكر في أمه. أخذ الباستيل ورسم قبراً خلف الغرفة. قبر جميل وليس كومة تراب كما هو حال قبر أمه. مسح لالي بيده رخامة القبر فكانت باردة كقطعة سلك نحاسي. أراد أن ينظف الرخامة من الغبار والتراب فنظف القبر وقال متمتماً: «لا فائدة من هذا ما دامت غير موجودة. يجب أن أرسمها هي». لم يبق من قلم الباستيل الأسود سوى قطعة صغيرة. استطاع أن يرسم بها إحدى عيني أمه فقط. فتش كيس الزيل على عجل. تمنى لو تكون فيه قطعة باستيل أخرى. وجد أخيراً. وجد عدة قطع... قلم أخضر، وآخر أزرق، والثالث بنفسجي. راح يرسم وجه أمه. بعد قليل كفّ عن الرسم ونظر إلى وجه أمه وقال:

- أماه، أماه. هل تحبين أن يكون شعرك هكذا، أم أطول؟
لم تجب أمه. لم يكن لها فم. رسم لها فماً باللون الأخضر.
ضحكت أمه وقالت:

- ارسمه أطول. ألا تذكر كم كان شعري طويلاً؟ كنت أنشره على كتفي. فكنت تقول آنذاك: كم أصبحت جميلة يا أماه.
رسم لالي لأمه ضفائر طويلة باللون الأزرق كأغصان الصفصاف المرتعش. عيون أمه كانت بنية. لكنه أراد أن يرسمها بنفسجية لأنه لا يملك اللون البني. امتعضت أمه وقالت:

- لا ترسمها بنفسجية. تذكرني بالزرقة. ينقبض قلبي إذا كان كل شيء بنفسجياً. قلت لك هذا عدة مرات إنني أكره اللونين الأسود والأزرق.

- اضطر لالي إلى أن يرسم عيون أمه زرقاء وخدها أخضر.
- أماه، أماه، كم أصبحت جميلة! أصبحت جميلة والله.
ضحكت أمه بفمها الأخضر. رائحة اللون الأخضر تداعب
عيون لالي. قالت أمه:

- يا محتال، متى كنتُ هكذا؟ شعري وعيوني زرقاء، وفمي
ووجهي أخضرين؟
قال لالي:

- ليس هناك لون آخر، والله ليس هناك لون آخر.
ضحكت أمه مرة أخرى وقالت:
- ماذا عن بقية جسمي؟
قال لالي:
- أوه... نسيت!

وراح يرسم، رسم باللون الأخضر يدين ناعمتين. مدّت أمه
يدها من الرسم وطوقت عنقه وقبلته. تركت القبلة أثرا أخضر
على وجنتيه. رسم لها زوج أحذية. ومعضدا يشبه الذي رهنته،
وثوبا مطرزا بورود بنفسجية. تجادل معها طويلا حول لون الورود
إلى أن رضيت. ليس الأمر بيده فقد كان يحب اللون البنفسجي،
والبني الغامق، والأسود.

حينما لبست أمه أحذيتها بدأت تمشي على صفحة المقوى.
وإذا بها تبصر السيد أصغر. صرخت:

- الويل لي يا ولد، أين وضعت عباءتي؟
هَبْ لالي ورسم لأمه عباءة مرقعة من الداخل. أحكمت أمه
تغطية رأسها وجوانب وجهها. نظرت إلى السيد أصغر وقالت:

- ماذا يفعل السيد أصغر هنا؟

قال لالي:

- أنا عنده يا أماه. أتذكرين يوم خرّ سقف غرفتنا على رأسك؟
جئتُ ورأيتك تحت الأنقاض.

بكيتُ طويلا إلى أن جاء السيد أصغر وأخذ يدي وقال: مع
أنه من أقاربنا لكنه سيقبل حضانتني. ثم قال للجيران إنه سوف
يتبناني، فدعا له الجميع بالخير. أخذني السيد أصغر عنده.
يؤذيني كثيرا يا أماه. ذات مرة هربت وجئت إليك... إلى قبرك
يا أماه. جلست طويلا وانتظرت أن تأتي لكنك لم تأت. ناديتك
وبكيت طويلا... بكيت لكنك لم تأت. قلت: طالما لا تأتي إذن
لأقصّ لها كم يؤذيني جميعهم. عسى أن يرقّ قلبها لي وتأتي.
حدثتك طويلا لكنك لم تأت. جاء السيد أصغر فجأة. أمسكني
وضربني.. ضربني كثيرا. سال دم كثير من أنفي. وانكسرت
إحدى أسناني. لكنه لم يكفّ عن ضربي.

التفتت أمه للسيد أصغر وقالت:

- تبا لك، لمّ ضربت ولدي. سأريك الويلات. لا تظنّ أنني
مريضة ولا أستطيع الحراك.

هرب السيد أصغر إلى خلف الغرفة الصغيرة وأطل برأسه
من وراء الجدار يسترق النظر. من حسن الحظ أن ليس له فم
وإلا لما كفّ عن الشتم. رأى لالي أمه تطيل النظر إلى السماء.
قال:

- ماذا يا أماه؟ أماه، ماذا؟

قالت أمه:

- لَمْ رَسَمْتَ الدُّنْيَا حَالَكَةَ هَكَذَا؟ قَلْبِي يَنْقَبِضُ. لَوْنُهَا مَادَامَ عِنْدَكَ أَخْضَرَ وَأَزْرَقَ.

قَالَ لَالِي:

- لَدَيَّ أَخْضَرَ فَقَطْ. لَيْسَ لَدَيَّ مِنَ الْأَزْرَقِ إِلَّا الْقَلِيلُ، لَقَدْ رَسَمْتُ شَعْرَكَ الْأَزْرَقَ طَوِيلًا جَدًّا.

- لَا بَأْسَ، لَوْنُهَا بِالْأَخْضَرِ. أَتَذْكُرُ مَاذَا قُلْتُ لَكَ يَوْمَ ذَاكَ؟
أَدْرِي، نَعَمْ، أَدْرِي قَلْبُكَ مَمْتَعُضٌ جَدًّا.

أَجْهَشُ لَالِي بِالْبُكَاءِ وَقَالَ:

- نَعَمْ يَا أُمَامَ، نَعَمْ. السَّيِّدُ أَصْغَرَ يَضْرِبُنِي. أَعْمَلُ كَثِيرًا. أَخْذَرُ لَهُ الشَّيْءَ لَكِنَّهُ لَا يَكْفِ عَنْ ضَرْبِي.

يَكْتُبُ عَلَى الْوَرَقِ أَسْمَاءَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَرِيدُهَا ثُمَّ يَرْسُلُنِي فِي الصَّقِيعِ إِلَى رَأْسِ الشَّارِعِ مَشْيًا. كَلَابٌ كَثِيرَةٌ هُنَاكَ يَا أُمَامَ. أُرْكُضُ حَتَّى هُنَاكَ. رَأْسُ الشَّارِعِ فِيهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَطْفَالِ. مَا أَنْ يَرُونِي حَتَّى يَرْكُضُوا وَرَائِي وَيَسْخَرُوا مِنِّي وَيَرْمُونِي بِالْثُلُوجِ عَلَى رَأْسِي. يَضْحَكُونَ عَلَيَّ وَيَسْخَرُونَ مِنِّي وَيَحِيطُونَ بِي وَيَصْرَخُونَ: «اضْحَكُوا عَلَى الطِّفْلِ الْآخَرِ وَأَطْرِدُوهُ مِنَ الزَّقَاقِ».

أَخْرَجَتْ أُمَامَ يَدَهَا مِنَ الْمَقْوَى وَهِيَ تَبْكِي. ضَمَّتْ رَأْسَهُ لَصَدْرِهَا وَدَاعَبَتْهُ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ. بَكَتْ عَيْنَاهَا الزَّرْقَاوَانُ بِحَرَقَةٍ. سَالَتْ قَطْرَاتُ الدَّمْعِ الْفَيُورُوزِجِيَّةِ مِنْ عَيْنَيْهَا. قَبْلَ أَنْ تَغْسَلَ الدَّمْعَ لَوْنُ وَجْنَتَيْهَا الْأَخْضَرَ أَوْ تَسْقُطَ عَلَى الْأَرْضِ وَتَرْشَ رِذَاذَهَا هُنَا وَهُنَاكَ كَانَتْ تَغَيَّرُ فِي طَرِيقِهَا لَوْنُ ثَوْبِهَا بِوَرُودِ الْبَنْفَسَجِيَّةِ. وَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَتْ:

- أغمض عينيك. أريد أن أخرج غصصك من قلبك.

أغمض لالي عينيه بشكل ناقص، وظلّ ينظر من زاوية ضيقة بين جفنيه. دست أمه يدها الناعمة في صدره وانتزعت منه حيوانا يشبه سحلية كبيرة سوداء، ورمته في الأبال ثم قالت:
- ها قد أخرجت غصصك. كن فرحا إذن.

شعر لالي بخفة. راقه أن يلوّن السماء. لم يستطع بما تبقى من الباستيل الأزرق الصغير سوى أن يلوّن سحابة. لوّن بقية الغيوم خضراء. ولوّن الطيور وحتى الشمس بالأخضر. لوّن الدنيا كلها بالأخضر. أخذت الشمس الخضراء تسطع. فجأة أحسّ برائحة الضوء، والأحراش الطازجة وحقل البرسيم.. المكان الذي وضع فيه الريحان والجبنه في الخبز وأكله مع أمه. قالت أمه:
- هكذا أفضل.

الشمس كانت تسطع بحرارة وتزيد من حرارة جسمه. قالت أمه:

- يا أولاد الذين تحدثت عنهم؟

رسم لالي بسرعة خمسة، أو ستة أولاد يلعبون. ذهبت أمه إلى الأولاد وقالت:

يا أولاد.. تعالوا هنا.. لم تؤذون ولدي؟ ليس له أحد في الدنيا. ليس له من يحنّ عليه. إنه وحيد فريد. السيد أصغر يضربه، وأنتم تؤذونه بدل أن تحبوه! هذه خطيئة. تكاد روحه تزهق من الوحدة. لذلك فإنه يجلس ويرسم.

قال الطفل الذي جلس ذات مرة على صدره وضربه:

- لم نكن نعلم هذا يا أم لالي.

أعطى الأولاد عهدا بآلا يعاودوا ضربه . وإذا أراد أحد إيذاءه
فسينصروه لأنه وحيد . لم يصدق لالي كلامهم . كان يدري أن
الأطفال سيعاودون ضربه .. بالعصي والأحجار . لكن أمه لم تكن
تعلم ذلك . ضحكت وقالت :

- اذهب الآن والعب معهم . ألم أقل لك إن الأطفال طيبون ،
لكن يجب أن نعلمهم . الأطفال أكثر عطفًا من الجميع في العالم .
وقلوبهم أنقى الجميع .

لم يتحرك لالي من مكانه . قالت له أمه :

- لم أنت واقف . اذهب إليهم .

- أين تريدان الذهاب يا أمي ؟

- أريد الذهاب لشراء قرصين من الخبز والحلو .

- سأتي معك ... سأتي معك . إنني أخاف الأطفال . إذا ذهبت

فسيعاودون إيذائي . والله يضربونني يا أمي . وربما عاد الرجل
ذو السن الذهبية الذي أراد اختطافي في الصحراء ولاحقني
ثانية . سأتي معك يا أمي .

قالت الأم :

- طيب ، تعال نذهب .

ومشت قليلا لكنها ضربت على يديها فجأة وقالت :

- أووووه . ليس معي نقود . نسيْتُ أنني مريضة والسيدة

طردتني .. ثم إنني لا أقوى على العمل .

قال لالي :

- لا بأس يا أماه . اتركي ذلك لي .

ورسم بالأخضر تلا كبيرا من الزيل عليه كم كبير من المطاط

والزجاج والأسلاك النحاسية والأوراق. قال لالي:

- سنأخذ هذا الزيل ونبيعه ونشتري خبزا وحلوا. ونستطيع شراء الدواء أيضا لكي لا تسعلي وتقذفي الدم من فمك. ثم ملأ كيسا بالأزبال ليأخذه ويبيعه. فجأة سمع لالي نباحا. رفع رأسه من الرسم. كان قد أحاط به قطيع من الكلاب الجائعة وهي ترمقه بنظراتها الفاتكة. دبّ الفرع في كل أوصاله. هبّ من مكانه خائفا وراح يصرخ:

- السيد أصغر.. السيد أصغر.. تعال.. تعال.. بالله عليك تعال... تعال ساعدني. لا تدعهم يأكلونني. لن أخبر والدتي مهما فعلت بي من ويلات. لن أهرب أبدا. سأفعل لك كل ما تحب. لالي يبكي ويطلب النجدة من السيد أصغر ملتمسا. كان السيد أصغر يواصل عمله بعيدا عنه. حتى إنه لم يلتفت ليرى ماذا يفعل لالي. وقف لالي مبهوتا مسمّر القدمين. حدّق في الكلاب وقال:

- اذهبي بالله عليك. إنني أخاف منك. بالله عليك لا تتقدمي. إنني مسكين - الكل يؤذيني.. الكل يضربني.. ألا ترقّ قلوبكم عليّ؟

ثم سارع وعرض جرح رأسه على الكلاب وقال:

- انظروا هنا! هذه ضربة الرجل ذي السن الذهبية. سال دم كثير! ذات مرة.. ذات مرة أطعمتُ الخبز كلبا صغيرا وداعبته. لم أضربه أبدا. ولم أصب عليه الماء المثلج.

تقدمت الكلاب تعوي بغضب وضيقت الحصار عليه. صرخ لالي وطلب النجدة. لكن أمه والأطفال في الرسم فقط هم من

استطاعوا سماع صوته. كلهم كانوا يركضون نحوه وهم يهتفون:
- اهرب.. اهرب!

أمه كانت تخرط وجهها بأظفارها وتئن وتستغيث. وأحيانا تصرخ بأعلى صوتها:

- يا الله... يا الله... يا الله.. ساعده أنت.. وااااه.. يا الله.
نظر لالي. الأطفال كانوا يركضون بسرعة ويتقدمون من أسفل ورقة الرسم. فكر لالي في نفسه للحظة: «ربما أرادوا أن يضربوني ثانية». لكنه حينما نظر إلى عيونهم وعلم أنهم جاءوا لمساعدته ضحك وصاح:

- أماه.. أماه... إنهم يحبونني حقا... أماه.. انظري... إنهم يصرخون لأجلي حتى لا تأكلني الكلاب وتهرب. أماه، أماه، كم صديق لي... انظري، والله لي أصدقاء.. انظري يا أماه.

كان لالي فرحا. فجأة رأى السيد أصفر يبحث عن عصاه كي يخوف بها الكلاب. حينما وجد أن الكل يحبونه ويقلقون عليه طار من الفرع وانتابه الضحك.. ضحك إلى حد أنه عاد للبكاء. الأطفال يركضون نحوه معولين ليرمسوا الكلاب بالأحجار والعصي، وإذا بقدم أحدهم تعثر فيسقط أرضا.

قال لالي:

- أوووه يا رب. ما حدث لقدمك؟

تظاهر الطفل أنه بخير على رغم ما يتجرعه من ألم. التفت إلى باقي الأطفال وهتف:

- اذهبوا واضربوا الكلاب... اذهبوا وساعدوا لالي!
الكل يركض لنجدة لالي، والطفل المصاب يتبعهم برجل عرجاء

وأنين متواصل. عرفه لالي.. إنه الطفل الذي جثم على صدره ذات مرة وبصق في وجهه. شعر لالي بأنه ورقة معلقة في الجو. شعر بأنه خط أزرق نصف دائري. شعور خالص بالخفة والتمدد والانجذاب. وخلو عجيب من الحالة بعد تعب شديد غامض. حالة غياب وارتعاش يبعث اللذة.

حينما فتح عينيه وجد نفسه في الرسم إلى جانب أمه. الجميع ما عدا أمه غادروا لطرده الكلاب. ركض لالي وألقى نفسه في أحضان أمه. احتضنته وقالت:
- جئت؟ كنت أعلم، كنت أعلم.

ثم ضمته إلى صدرها بقوة ودست أصابعها في شعره بهدوء. شمّته وقبلت عينيه الكبيرتين. نظر لالي إلى وجه أمه المخرمش وقال:

- ما أسعدني بجنبك يا أماه. وأنت؟ هل أنت سعيدة أيضاً؟
بكت أمه رداً على سؤاله. انقضى بعض الوقت في البكاء. بعدها أمسك أحدهما بكف الآخر وسارا معا تحت السماء الخضراء وعلى الأرض الزرقاء... سارا إلى حيث تلتقي الأرض بالسماء.

هوشنگ كلشيري Hoshang Golshiri

ولد في العام ١٩٣٧ في مدينة أصفهان وتوفي في العام ٢٠٠٠ في العاصمة طهران. كتب كلشيري ست روايات وسبع مجاميع قصصية. وعمل في حقل الصحافة الثقافية وقرأس تحرير مجلة أدبية عنوانها كارنامه. يعتبر هذا الكاتب من أهم الأسماء المؤثرة في السرد القصصي بعد صادق هدايت ويعد من مؤسسي رابطة الكتاب الإيرانيين. من أعماله:

- الأمير احتجاج.
- المرايا ذات الأبواب.
- المعصوم الخامس.
- مصلاي الصغير.
- النصف المظلم للقمر.

شجرة الصنار

كادت الشمس تتوارى خلف المغيب، فإذا برجل يتسلل إلى شجرة صنار في أحد الشوارع.

عقد يديه حولها وثبت قدميه وتسلق جذعها الجاف. كان يرتدي بنطالا أتت عليه الرقع، وقد انخرق أحد حذائيه من تحت.

في الجانب الآخر من الشارع، كان الناس يتفرجون على واجهات المحال. فإذا بهم تتحول أنظارهم نحو الرجل وهو يحاول جاهدا تسلق الشجرة، كان بين الجمع الفقير امرأة شابة ترتدي قميصا قصير الكُم، يتلأأ عضداها بياضا تحت بريق الشمس، وهي تمسك بيد أبنها الصغير البدين وتتمعن في الرجل وهو يتسلق الشجرة. وكان بقربها شاب طويل القامة يعبث بربطة عنقه، يشدها تارة ويرخيها أخرى. كان الشاب ينظر إلى الرجل ثم يدحرج نظرتة نحو المرأة وعضديها المكشوفين.

كانت قطع السحب البيضاء والسوداء ترقع وجنة السماء الزرقاء ونور الشمس الباهت يضيء نصف جذع الشجرة. كان بالقرب رجل واضعا بُرنيطة على رأسه، فسأل متعجبا «لِمَ يتسلق هذا الرجل الشجرة؟» فتمتم رجل قصير كان واقفا بجانبه «لا أعرف، لعله مجنون» قال الشاب «ليس بمجنون، لعله يريد أن ينتحرا».

قال رجل أصلع طويل القامة وبدين، معترضا «كيف ينتحرا وتقول إنه ليس بمجنون، أم تظنه عاقلا؟» وفجأة رفع شرطي رأسه من بين الحشد وسأل بصوت فيه حُنة «ماذا يجري هنا»

فلم يسمع رداً، الكل كان ينظر إلى الأعلى. وفي هذه اللحظة، كان الرجل المتسلق قد اجتاز الفيء على جذع الشجرة فبدأ ضوء الشمس يتسلل في بذلته الرمادية. ولما رأى الشرطي الرجل مستمرا في تسلقه الشجرة ولا يبالي بوجوده، قبض على هراوته بشدة صارخا «يا حمار! لِمَ لا تنزل! ماذا تفعل هناك في الأعلى!» ضحك رجل دخل لتوّه بين الحشد بصوت مكبوت. التفت الشرطي نحوه وحملق في عينيه وحرك الهراوة بين يديه ثم أدار عينيه الناعمتين بين الناس وصرخ مرة أخرى قائلاً «ماذا بكم! أتقسّم الحلوى هنا! هيا ارحلوا» ثم دفع ببعضهم وطلب من آخرين أن يتفرقوا ثم رمى بنظرته إلى الرجل حيث كاد يصل إلى أعلى الصنار، فبدأ يفتل شاربته المتدلي فوق شفثيه ولزم الصمت. انضمت امرأة ذات ثياب رثة إلى الحشد. تحمل طفلاً شاحب اللون بين ذراعيها، فمدّت يدها أمام رجل سائلة «سيدي، فلسا» فلما رآته لا يبالي بها والكل ينظر إلى الأعلى، أخذت هي أيضاً بنظرتها إلى ذات المكان. كان مخاط ابنها سائلاً على شفثيه وكأنه دودتان بيضاوان قد شرعتا بالزحف إلى الأسفل.

هرولت امرأة نحو الحشد وهي تجرّ عباءتها خلفها، تسحب طفلين صغيرين معها، فلما رأت الرجل فوق الشجرة، قالت «ربنا يستر! ماذا يفعل هناك فوق الشجرة! حرام سيسقط من فوقها!». لم تسمع رداً لأحد.

مدّت المرأة المتسولة يدها أمام رجل ذي نظارة، وقالت «سيدي، فلسا». لم يعرّ الرجل اهتماماً لها وأصر في النظر إلى الرجل فوق الشجرة. وأما ابنها فكان يحملق في الناس بعينيه

الصغيرتين السوداوين ويلحس مخاطله بلسانه ويحرك يديه
النحيلتين الوسختين.

ومن تحت الطرحة البيضاء القذرة، تتأثرت خصلات من شعر
المرأة على جبينها ووجهها. فلملمت المرأة المتسولة جسمها تحت
العباءة وكانت تحاول أن تثبت الطرحة القذرة تلك، بدبوس تحت
حنكها.

قال الرجل ذو النظارة بصوت منخفض «فليذهب أحد وينزله
من فوق الشجرة قبل أن يرمي بنفسه».
ردَّ الشاب عليه قائلاً «مستحيل، تأكّد قبل أن يصل إليه أحد
سيرمي بنفسه». ثم التفت إلى المرأة المتسولة قائلاً: «ليس معي
فكّة».

بدأت السيارات تصطف واحدة تلو الأخرى في الشارع،
أخرجت فتاة رأسها من إحدى السيارات وشرعت تنظر إلى
الرجل حيث كان يتحرك فوق الشجرة، نزل رجل بطين ذو ربطة
عريضة متدلية فوق قميصه الأبيض من السيارة واقترب من
الحشد.

وصل عدد من رجال الشرطة وانتشروا بين الناس ثم حاولوا
أن يفرقوا حشدهم. أما الناس فكانوا يتراجعون مرة وأخرى
يتقدمون بعض الشيء وفي النهاية أصبحت الجماعة كما كانت
قبل مجيء الشرطة.

سأل الرجل البطين ذو الربطة الشرطي ذي الشارب، قائلاً
«لِمَ هذا التجمع، ماذا يفعل هذا الأحمق فوق الشجرة؟».
صَفَّ الشرطي رجله بشدة وألقى التحية، ثم ردَّ على الرجل

«سيدي العقيد! يريد أن ينتحرا» نظر الناس أولا إلى الشرطي ذي الشارب ثم حولوا نظراتهم إلى الرجل البطين الأنيق قليلا ثم استمروا في النظر إلى تسليتهم فوق الشجرة. وفي هذه اللحظة دوى صوت بائع الجرائد في المكان «ملحق الصحيفة! قتل عاهرتين على يد شاب. الملحق، فلس واحد». بعد قليل ضاع صوت بائع الجرائد. وفجأة، برقت فكرة في رأسي فصرخت قائلاً «يا عم، سنجمع لك مالا، تنازل عن فكرتك هذه».

عبر صوتي فوق رؤوس الناس حتى وصل إلى الرجل. وضعتُ يدي في جيبتي ولمست أصابعي درهمين، فأخرجتهما ورميت بهما أمامي. تدحرج أحد الدرهمين تحت أقدام الناس وضاع. بدأ الناس يتدافعون ويتزاحمون من أجل البحث عن الدرهم، ثم أدخل كل يده في جيبه ورمى بفكته. ارتفع صوت رنين الدراهم. بدأ الرجل البدين يبحث كثيرا في جيوبه من دون أن يحصل على شيء. فقال بهدوء حيث يسمعني «تبا، ليس معي فكة....».

حتى المرأة المتسولة أخرجت من تحت جوربها كيسا قدرا، وأخرجت منه فلسين أسودين ورمت بهما حيث الدراهم. فجأة ارتفع صوت الرجل الذي كان فوق الشجرة. وكأن صوته يسمع من قعر بئر، فرن في آذان الحاضرين: «أنا لا أحتاج إلى دراهمكم.. ارموا بهذه الدراهم في الجحيم!».

كان في صوته رنة ممزوجة ببعض الشيء من الرجفة. كف الناس عن رمي الدراهم. حملقت المرأة المتسولة في الدراهم، ثم غابت عن الناس.

وشوش الرجل الأنيق شيئا ما في أذن الشرطي ذي الشارب.

رجع الشرطي وخاطب الرجل قائلاً «ياعم انزل، حضرة العقيد يريد مساعدتك».

تدحرج صوت الرجل من فوق الشجرة «تعسا لكم ولمساعدتكم، من قال إنني أحتاج إلى مساعدتكم!».

وصل ضابط توا، فنظر إلى الأعلى ثم سأل من الشرطة الذين اصطفوا احتراماً له، قائلاً «ماذا يفعل هناك فوق الشجرة!».

ردّ عليه أحدهم «يريد أن ينتحر».

قال الضابط «حسنًا، فلينتحر، ولكن لِمَ هذا التجمع، يا الله فرقوا هذه الجماعة بسرعة!» ثم توجه إلى الناس صارخاً «يا سادة، ما الأمر؛ هيا تفرقوا!».

وفجأة وقعت عينه على العقيد، فلملم نفسه وألقى تحية عسكرية ثم سلّم عليه.

دخلت الشرطة بين الناس، كان لصوت صفارة المرور دوي في الأذن، الشرطة كانت تحاول تمرير السيارات الواقفة. تناثرت الدراهم تحت أقدام الناس. فانحنى البعض لالتقاطها، فلما وجدت المرأة الشابة المكان قد ضاق بها، أخذت بيد ابنها تجرّه وراءها لتخرج من الازدحام. وقد اختفى الشاب أثرها بعد قليل. سمع صوت في الخلف يقول مُخَنِّخُنَا «كيف تريد أن تمسك به؛ لعلك تظنه كرة صغيرة!» ثم أخرج منديلاً من جيبه ووضعته على أنفه ثم تمخّض مرات بصوت مرتفع في المنديل، فاشمأز الآخرون من عمله هذا، ولكنه فعّص المنديل ودحسّه في جيبه غير مبال بالآخرين ثم استمر في النظر إلى أعلى الشجرة.

من زاوية ما، قال شاب عريض الكتفين يدخن سيجارة «لورمى

بنفسه، سيقتل الآخرين معه! ولكنه فقط يحملق في الناس!»، ثم حملق هو في رجل كان يضغط عليه من الخلف وقال: «لِمَ تدفع يا عم! ألا تستطيع أن تثبت في مكانك؟!».

دخل بين الحشد رجل يحمل على كتفيه ولدا أشقر، فقال مخاطبا صغيره «بني، انظر إلى الأعلى، ها هو فوق شجرة الصنار».

وفي زاوية أخرى، كان رجل نحيف يحرك مجلة على صفحتها الأولى صورة امرأة مبتسمة ليخفف عنه شدة الحرارة.

كان الناس يطلون برؤوسهم من خلف الشجرة. كانت السيارات تواصل مرورها ببطء والركاب ينظرون من خلف نافذة الباص، إلى شجرة الصنار. كان شرطي المرور ينفخ في صفارته باستمرار. ولا يزال بعض رجال الشرطة يطوفون بين الناس. ارتفع صوت رجل شاب من الخلف يقول ساخرا «لعله يظن هذه الشجرة مقدسة فصعد إليها ليسمعها تضرعه».

وبعد هنيهة رفع صوته مرة أخرى قائلاً «يارجل، إياك أن تسقط... فيدخل إصبع رجلك في عينيك!» لم يرق للبعض هذه الاستهزاءات، فحملقوا في الشاب شزرا فلم ينبس بكلمة.

بدأ الناس يصابون بالملل والتعب. فترك البعض المكان متذمرين. بين حين وآخر كان يدخل عليهم شخص جديد ويطرح بعض الأسئلة «ماذا يجري هنا؟» ثم ينظر إلى فوق الشجرة.

أضاءت المصابيح فوق أعمدة الكهرباء بضوئها الخافت المكان. دخل المكان نفر من الشباب بدراجاتهم الهوائية من الرصيف المقابل. اتجه شرطي المرور نحوهم وأراد منهم أن يغادروا فوراً.

فجأة؛ سمع صوت تخلية هواء إطار دراجة تبعه صوت اعتراض راكبي الدراجات.

تحرك الرجل فوق الشجرة ثم انحنى وعقد يديه محكما حول الصنار ثم جلس في مكانه. حبست الأنفاس في صدور المتفرجين. كان الكل ينظر إلى الأعلى. وهنا اقترب الرجل البدين مني وهمس في أذني قائلاً «لَمْ يرم بنفسه الآن، ينتظر حتى يخلو المكان...».

رفعتُ رأسي فوق الحشد. أخلت السيارات المكان وكاد الشارع يفرغ. أما الرصيف فلم يزل مكتظاً بالناس وراكبي الدراجات حيث أصبح كبقعة سوداء، وضجيج المحتشدين كان مرتفعاً بحيث يسمع من على بعد.

تعبتُ، كنت متردداً بين البقاء والذهاب. خلصت نفسي بصعوبة من بين الجموع، وقف عدد من البنات خلف الحشد. إحداهن كانت جميلة جداً، وقد ارتسم خال أسود فوق شفرتها العليا. استدرت ونظرت إلى الأعلى، وجدت الرجل المتسلق أدار ظهره وبدأ يمعن النظر في المحال المتراصة على جانب الشارع. اجتزت الشارع تعباً دائماً. فلما عدت إلى مكاني الأول، وجدت أنّ عدد الناس قد قلّ ولكن الرجل لا يزال جالساً أعلى الشجرة. اشتريت تذكرة سينما لأدخل وأسلي نفسي، وبين آونة وأخرى كنت أتخيل الرجل قد سقط على صفحة الشارع السوداء وسيل من الدم ينزف من أنفه ثم تغيب الصورة عن ذهني. ثم تظهر صورة الرجل ثانية بثياب ممزقة ورأس مهشم وقد تلاشى دماغه على قارعة الطريق، ثم كانت تغيب الصورة وتظهر، فلم أفهم من

الفيلم شيئاً. فلما خرجت من السينما، وجدتُ الشارع خالياً،
وأما المحال فلا زالت مفتوحة. كان سائق الباص يصرخ بصوته
الفظ المزعج.

«مسجد الجمعة، ساحة بهلوي، سيدي هل تركب.. هيا أسرع
أسرع!».

ولما وصلت عند الصنار، لم أجد أحداً يحيط بها والرجل
أيضاً لم يكن فوق الشجرة، رأيت رجلين قد وقفا أمام الصنار
يتحادثان، اقتربت وسألت أحدهما وهو رجل أصلع مشعر «آسف
سيدي، هل انتحرت؟»، حملق الرجل الأصلع في وجهي ثم قال في
منتهى البرود «كم أنت ساذج يا رجل؛ لما وجد الشارع خالياً نزل
خلسة وأراد أن يذهب، ولكن...».

قاطعه الرجل الذي كان واقفاً بجانبه، فلم يستطع الصبر: «لَمْ
توضح لي، لِمَ صعد الرجل فوق الشجرة؟».

ردّ عليه صديقه «مَن أين لي أن أعرف، لعله كان يريد الانتحار،
ثم تراجع عن فكرته». أخرج عامل المحل رأسه من الكشك وقال
ضاحكاً «أظنه كان يريد رؤية الفيلم مجاناً».

قال الرجل الثاني المستعجل «لعنة الله على الشيطان الرجيم...
كان لا بد وأن يلقي القبض عليه ليُزج في السجن لفترة طويلة:
كي لا يفكر ثانية في أن يأتي لرؤية الفيلم متلصصاً من دون أن
يدفع شيئاً».

وفي صباح اليوم التالي: جاء عدد من عمال البلدية وقطعوا
شجرة الصنار القديمة في شارع «جهارباغ».

محمود دولت آبادي Mahmood D. Abadi

هو الكاتب المعروف، ولد في العام ١٩٤٠ في دولت آباد التابعة لمدينة سبزوار ضمن محافظة خراسان، من أسرة قروية. عمل في طفولته في استصلاح الأراضي الصحراوية لأجل توفير أجور دراسته. سافر إلى دولت آباد في مرحلة دراسته. مارس أشغالا عدة في صناعة الأحذية والحلاقة والعمل في المصانع وفي سن العشرين من عمره هاجر إلى طهران لأجل تحقيق آماله في الأدب والفن.

عمل في المسرح في ذات الوقت الذي كان يشتغل في إحدى المطابع، أول نتاجاته كان تحت عنوان «آخر الليل» في سنة ١٩٦٢، نشرت في مجلة آناهيتا في طهران.

وفي العام ١٩٦٩ أصدر أول مجموعة قصصية تحت عنوان «حافات الصحراء» كتب العديد من المسرحيات والروايات.

أبرز آثاره: روايته الضخمة «كليدر» والتي تتكون من عشرة مجلدات والمرشحة لنيل جائزة نوبل للآداب وقد ترجمها إلى العربية المرحوم الأستاذ إبراهيم الدسوقي شتا أستاذ الأدب الفارسي في الجامعات المصرية. وترجم إليه أخيرا رواية «سفر» من قبل الأستاذ سليم عبد الأمير حمدان في القاهرة الذي كان قد ترجم له سابقا رواية «مكان سلوج الخالي» علما بأن كتابات دولت آبادي قد ترجمت إلى العديد من اللغات العالمية الحية، وهو مرشح منذ عدة سنوات لنيل جائزة نوبل.

المرأة

ذلك الرجل الذي كان يسير في الزقاق، لم يكن واثقا من أنه فعلا قد مرّ عليه ٣٧ عاما ولم ينظر فيها إلى المرأة، ولا يرى أي سبب لأن يتذكر أنه ومنذ ما يقارب ذلك الوقت قد ضحك مرة، وبالتأكيد فإنه لن يتذكر كيف ضاعت هوية الأحوال الشخصية منه.. ولولا الإعلان الذي سمعه من الراديو الذي يدعو فيه المواطنين إلى تغيير هوياتهم القديمة واستبدالها بالنموذج الجديد وذلك عن طريق تقديم المعلومات والوثائق اللازمة عبر إدارة البريد، لتصلهم الهويات الجديدة بريديا بعد عدة أسابيع ولأن عليه الاهتمام بهذا الأمر أدرك حينها أن هويته مفقودة، أما لماذا أحسّ بأنه قد فقدها قبل ١٣ عاما، أو - ممكن أيضا - قبل ٣٣ عاما، لأن آخر ما احتاج إليها كان في ذلك التاريخ، آنذاك كان يوما تاريخيا عندما وضع الهوية في جيب معطفه المطري تلك المرة الوحيدة في عمره التي ذهب فيها إلى مركز الاقتراع حيث تم ختم إحدى صفحات الهوية كدليل على المشاركة في تلك الانتخابات. ومنذ تلك اللحظة لا يذكر أنه قد احتاجها ثانية!

ولم يعد ضروريا معرفة أين وضعها... أو أين فقدها؟ الآن جاءه حدث تاريخي آخر يحتاج فيه إليها. ولكنها اليوم مفقودة، للوهلة الأولى فكّر أنها قد تكون مازالت في جيب المعطف المطري... غير أن ذلك لم يتحقق، وتخيل أنها قد تكون في أحد الأدراج... وذلك أيضا لم يتحقق بعد أن تجاوز الزقاق استقل أحد الباصات العامة متوجها نحو إدارة الأحوال المدنية، غير

أنه لم يحظ بإجابة شافية عمّا جاء من أجله، وخلال رجوعه إلى البيت تذكّر أنه قد سمعهم يقولون له بأن عليه أن يجلب لهم تأييدا من محل سكناه، نعم هكذا كان الأمر، وهكذا قيل له. لكن كيف يجب أن يكتب هذا التأييد؟

جلس على كرسيه واضعا القلم والورقة أمامه فوق الطاولة. حسنا... ينبغي كتابة، إننا الموقعون أدناه: نؤيد بأن هوية السيد... قد فقدت، لكنه لم يلبث أن مسح كل ما دُوّن بواسطة قلم المسح الخاص تاركا المنزل مباشرة نحو البقال، ذلك الذي يتبضع منه أسبوعيا مرة واحدة.

لكن البقال والذي لا يحب مشاركة الآخرين همومهم، قال إنه لا يعرفه، وهو لا يقصده كشخص بل هو لا يعرف اسمه ولأن هو غير واثق من أنه يريد أن يعرف اسمه «خاصة وأنت كنت تُبقي مكان اسمك خاليا دائما».

- نعم، هذا صحيح.

كان ينبغي عليّ الذهاب أولا إلى صاحب المكوى، ففي ليلة العيد من كل عام، كنت أسلمه البذلة والقميص وتسلم منه وصلا عن ذلك.

لكن صاحب المكوى وعلى الرغم من ذاكرته الجيدة والتي من خلالها يعرف فيها زبائنه من أشكالهم وملامحهم إن لم يكن من أسمائهم، فهو على رغم كل ذلك لم يتعرف عليه قائلا: أرجو المَعذرة فالسيد قليل التردد علينا، رجاء ذكرني باسمك؟

- أرجو المَعذرة، بالحقيقة فإن....

- على الأقل الوصل، لا بد أنك تحتفظ بأحدها، أجلبه لي

وستحل المشكلة.

- نعم، الوصل.

على وصل التسلم يثبت اسم الزبون وتاريخ التسلم وعدد قطع الملابس واللون... إلخ.

ولكن لماذا على الزبون الاحتفاظ بالوصل بعد تسلم الملابس؟
كلا، إنه أمر غير منطقي.

والآن إلى أين وإلى من سأوجه؟

الخباز والمخبز قريب من هنا، وكل أسبوع أشتري منه مرة واحدة ما يكفي لأسبوع بأكمله، ولكن في أي وقت من اليوم كان عندما رأيت مساعد الخباز متمددا عند الحائط وأخبرني بأنهم لن يخبزوا ذلك اليوم وعدت أدراجي بمحاذاة الحائط إلى البيت. من وراء زجاج نافذة الغرفة وقف منجذبا إلى صوت الماء في الحوض. غير أنه لم يستطع تذكر شيء.

عند آواخر الغروب وبداية المساء يبدو أنه قد فكر من أنه سيكون مناسبا له أن يذهب إلى إدارة الأحوال المدنية مع شيء من النقود يقدمها كرشوة إلى موظف المحفوظات حتى يبذل وقتا إضافيا من أجله عسى أن يقتضي أثر تلك الهوية المفقودة، هل هذا ممكن... أم غير ممكن؟ لماذا؟

لماذا... لماذا غير ممكن؟

لقد توصل إلى ما يشبه الاتفاق مع ذلك العجوز الذي يدخل السجائر الرخيصة والتي تتدلى من طرف شفتيه.

كان ذلك بعد ساعة تقريبا من تناول الشاي بعد وجبة الغداء حيث نزلا معا إلى القبو لأجل البحث عن تلك الهوية.

الرجل الذي أضع هويته كان حذقا نوعا ما، حيث اشترى وهو في طريقه علبة سجائر مع كبريت، إذن لا مشكلة إن بقيا ساعة إضافية بعد الدوام في قسم المحفوظات، ومن خلال الجدية التي نضحت عنها حركات موظف المحفوظات بعد ارتدائه عدة العمل التي تصل إلى المرفق ووضعه العدسة المكبرة خلف النظارات للتدقيق في ملفات الأرشيف، كل ذلك جعله يطمئن من أنه لن يرجع خائبا هذه المرة من قسم المحفوظات، خاصة وقد انغمس هو شخصيا في عملية البحث والتي بدأ يجيدها.

بعد أن أتم تصفح ملف حرف الألف، رفع الموظف العجوز رأسه طالبا سيجارة أخرى ليذهب بعدها إلى الدرج المقابل حيث حرف «الباء».

- عندما سأل: عفوا، ماذا كان اسمك العائلي؟
- أجاب الرجل: أنا، لم أقل شيئا.
- الموظف: كيف ذلك، يبدو أنك قد حدثتني عن اسمك ولقبك عندما تناولنا الشاي.
- قال الرجل: كلا، كلا.. لم نتطرق إلى ذلك
- الموظف: كيف يمكن ذلك؟
- قال الرجل: كلا، كلا...
- خلع الموظف نظارته وقال:
- لا يزال الوقت مبكرا، وما زال أمامنا الكثير من الحروف، قل لي الآن؟
- قال الرجل: إنه لأمر عجيب حقا، عجيب؟
- لقد استنزفت وقتك من دون مبرر، أرجو المذرة، لقد نسيت

أن أخبرك عن أهم ما في الأمر..

أنا... كل الجهود التي بذلتها من أجل تذكر اسمي قد ذهبت
أدراج الرياح، لقد مرت فترة طويلة لم أسمع به، اعتقدت أن ذلك
ممكنا، أن يحصل مثل ذلك، أن تهرب الهوية؟

وضع الموظف نظارته على عينيه وقال:

طبعاً، طبعاً، لا بد من وجود طريق.. ولكن لم أنت مصر بأنه
لا بد..

قال الرجل: لا شيء، لا شيء، لا جدوى، يمكننا ترك الأمر...
حقاً ما أهمية ذلك؟

قال الموظف: الخيار لك، لكنني أدرك معنى النسيان، لقد
عانيت من ذلك أحياناً، ولكن إن كنت مصمماً في الحصول على
هوية، فهناك طرق عدة لذلك.

وبلا تردد سأل الرجل: أي طرق؟

قال الموظف: لكنها تحتاج إلى شيء من المصاريف، إذا لم
يكن لديك مشكلة بهذا الصدد، توجد حلول.. أعرف شخصاً
متمكناً من هذا الأمر، أستطيع أن آخذك إليه، المهم ما تقرر
أنت، وعليك أن تقرر بسرعة قبل أن يحل الظلام.

كان الوقت نهاية الدوام الرسمي عندما انحرف الاثنان عن
الرصيف نحو زقاق يؤدي إلى الشارع الأصلي ومن هناك استقلا
الباص إلى منطقة يعرف الموظف دهاليزها جيداً، كان هناك
دكان طويل ومتعرج يبدو بشكل غلاف خنجر قديم، عند مدخل
الغرفة كان هناك عجوز متدثر بعباءته يعرف الموظف بعد رد
التحية سمح للموظف وزبونه بالذهاب إلى قعر الدكان وعبر

آلاف الأشياء القديمة توجهها مباشرة نحو ممر مغلق بواسطة ستارة قذرة تتدلى فوقه، أزاح الموظف الستارة ليفتح هناك صندوقاً قديماً طافحاً بكم هائل من المستندات الشخصية موضوعة هناك بشكل مجاميع أشار إليها الموظف وقال:

ذلك يتعلق، يتعلق بنوع الهوية التي تريد اقتناءها في هذه الأيام كثيراً ما يحدث للناس أن يفقدوا أسمائهم أو هوياتهم أو الاثنين معاً، والآن ما الذي تحب أن تكون؟

ملك، أم شحاذ؟ لدينا هنا كل الأنواع، غير أن الأسعار تختلف وكن مطمئناً ستؤخذ حالتك بنظر الاعتبار، البعض يغمضون عيونهم ويلتقطون إحدى الهويات كما يحدث في سحب بطاقات اليانصيب.

وأنت إلى أي جهة تميل؟ في أي مكان تفضل أن تكون ولادتك؟ من أي مكان تتحدر؟ ما عملك؟ كيف تريد أن تكون عليه ملامحك وشكلك؟ كل شيء ممكن ومتوافر تستطيع أن تختار بنفسك أم تريد أن أجرب لك حظك؟

يمكن للحظ أن يمنح هوية أمير، أو تاجر حديد، صاحب معرض لبيع السيارات أو... أو صاحب أدوات مستعملة أو أجلب لك موافقات أصولية باسمك... لا تقلق أبداً فلا أسهل من ذلك، خذ مثلاً هذه المجموعة من الهويات المؤشرة بعلامة X فهي مخصصة للخدمات الخاصة غير أنها غير مناسبة لمثل عمرك وتلك الأخرى مخصصة لشؤون الدعاية والاعلام مثل صاحب امتياز مطبوعة أسبوعية، أو مسؤول لأحد أقسام البرامج التلفزيونية تتوافر لدينا كل الأنواع ولمختلف الأسماء؟ ماذا تحب

أن يكون عليه اسمك؟

حسن، حسين، بوذر جمهر أم... من أسماء ملحمة الشاهنامة؟
وأنت أي نوع من الأسماء تحب؟

الرجل الذي فقد هويته غرق في التفكير صامتا ثم قال:
لقد أخذت من وقتك الكثير، إن لم يكن صعبا عليك ابحث لي
عن هوية مات صاحبها، إن كان ذلك ممكنا.

موظف المحفوظات قال:

ليس هناك شيء غير ممكن بل هذا الطلب سيكون أرخص
من غيره.

- شكرا، شكرا

عند خروجهما، كان صاحب الدكان العجوز يسعل وهو واقف
يحاول أن يجد القلاب والذي من خلاله يغلق باب الدكان، ووسط
سعاله المتواصل كان يطلب من اثنين من الزبائن الواقفين أمام
دكانه العودة غدا لأن القسم الخلفي من الدكان مظلم لعدم وجود
الإضاءة فيه والرجل الذي كان يسير في الزقاق ولم يكن واثقا
أنه قد مر ١٣ عاما من دون أن يضحك... انفرجت أساريره الآن
عن ضحكة بشكل مفاجئ فقد انتبه إلى أن أسنانه قد تساقطت
واحدة أثر الأخرى... تساقطت ووقفت أمام قدميه وعلى مقدمة
حذائه وشعر بشكل تدريجي بتساقط قطعة من عظام أطرافه،
وأحد رموشه وأظفاره... و...

بدأت تتساقط جميعها؛ وأدرك أن الوقت قد حان، فيما إذا
قدر له الوصول إلى المنزل ووطأت أقدامه عتبة الغرفة أن يذهب
قرب المدفأة ويلقي نظرة - للمرة الأخيرة - على نفسه عبر المرآة.

بإقيس سليمانى
Balqis Solaimani

- ولدت عام ١٩٦٣ فى مدينه بافت التابعة لمحافظة كرمان (وسط إيران)، حاصلة على شهادة الماجستير فى الفلسفة. تكتب القصة والرواية والنقد الأدبى والدراسات. من نتاجها:
- الترنم مع طائر الفجر (حياة وشعر العلامة دهخدا).
 - الفن والجمال عند أفلاطون.
 - البندقية والميزان (مجموعة مقالات نقدية وتحليلية حول أدب المقاومة).
 - رواية «العبة الأخيرة للسيدة».
 - مجموعة قصص قصيرة جدا تحت عنوان «لعبة الزفاف».

لعبة الزفاف

الزهور

شاهد بائع الزهور الشاب رجلا يقود سيارة من نوع «برايد»
لا تفارق نظراته امرأة تقود سيارة من نوع بيجو.
فطرق زجاج نافذة سيارة الرجل وقال له:
«بإمكانك شراء باقة زهور لها وترفقها ببطاقتك الخاصة»
فاستحسن الرجل فكرة بائع الزهور الشاب، فأسرع إلى إعطاء
الشاب بطاقته مع قيمة باقة الورد.
وبدوره قام الشاب بتقديم باقة الزهور والبطاقة إلى تلك
المرأة التي أخذت باقة الورد ووضعتها بهدوء على الكرسي
المجاور، ووضعت البطاقة فوق بقية البطاقات المرمية أمامها.
وبعدها استدارت عند أول تقاطع وعادت حيث كان الشاب
بائع الزهور ينتظرها على الرصيف الآخر، عندها أرجعت باقة
الورد إلى الشاب الذي قدم لها نصف ثمن الباقة، فكانت هذه
ثالث باقة ورد تبيعها إلى الشاب منذ الصباح.

الأم

قال والدي إن والدتك قد رحلت إلى السماء، وعمتي قالت:
إن والدتك قد ذهبت في سفرة بعيدة وطويلة، وخالتي قالت:
إن أمك هي تلك النجمة المشعة قرب القمر.
ولكن البنت الصغيرة قالت: أمي ترقد تحت التراب.

العمة قالت: أحسنت، يالك من بنت واقعية، تمكنت من تقدير الأمور بسرعة ومنذ اليوم الأول لدفن الأم كانت الطفلة الصغيرة تدعو أباهما لأن يأخذها إلى القبر كل يوم، في البدء كانت تعمل على تسوية التراب فوق القبر، بعد ذلك بدأت برشه بالماء وبدأت بالكلام قليلا مع أمها.

في الأسبوع الثالث وعندما كانت ترش الماء كعادتها، التفتت إلى والدها وقالت: ولكن لماذا لا تزهر أُمي؟

في الثانية عشرة

تزوجت أختي الكبرى في السابعة عشرة من عمرها وتوفيت وهي في الثانية والثلاثين وكان لديها آنذاك توأمان بعمر ٨ سنوات يشبهانها تماما.

وأختي الثانية تزوجت في سن السابعة والعشرين وتوفيت في الأربعين من عمرها وكان لديها ولد وبنت، أختي كانت تقول بأن ابنتها تشبهني جدا، أنا توفيت في سن الثانية عشرة من العمر، عندما لم تكن أخواتي قد تزوجن بعد.

روح الغابة

في النهاية استطاع من خلال راتبه التقاعدي أن يبني بيتا في الغابة، كان يريد أن يحقق بعضا من أحلامه المتأثرة بقصة بطله المحبوب روبنسون كروزو، وأن يخوض غمار تلك الحياة البدائية عبر إمكانيات الطبيعة فقط، وكان يذهب أحيانا مع عائلته من أجل الحصول على شيء من الراحة النفسية، في أول أيام إقامته

تعرض ابنه الشاب للتسمم بعد أن تذوق شيئاً من الفطر السام، فاضطر إلى نقله في حالة يرثى لها إلى أحد المستشفيات، وهذا كان أول وآخر عهد الابن الشاب بكوخ الغابة.

في اليوم الثاني لإقامتهم وبسبب طبيعة هواء الغابة تهيج مرض ابنتهم القديم ثانية وذلك ما دفعها لأن يكون ذلك اليوم هو آخر عهدها بالغابة.

في اليوم الثالث من إقامتهم، شاهد هو وزوجته زوجين من الأفاعي داخل الكوخ استطاعا القضاء على إحداها في حين هربت الأخرى، تلك الليلة قضتها الزوجة جالسة القرفصاء على الكرسي الخشبي رعباً وخوفاً وهي تراقب حركة وهياج القطط الوحشية حول الكوخ. وكان ذلك آخر عهد الزوجة في الإقامة بالكوخ في الغابة.

في نهاية المطاف انقضى الشتاء وبعد إجراء عملية جراحية صعبة قرر الزوج أن يقضي قليلاً من الوقت في كوخ الغابة لأجل النقاها.

وبعد مرور اسبوع جاءت العائلة برفقة مفرزة المنطقة العسكرية للبحث عنه. عندما وصلوا كان الكوخ ضاجاً بالقطط الوحشية.

مذكرات الأب

قال الدكتور للرجل المسن: لم يتبق لديك من الوقت في هذه الحياة سوى ستة أشهر، ولكنه كان يدرك تماماً أن مدة الستة أشهر لن تكون كافية لإنجاز ما تبقى لديه من أعمال، غير أنه عاش سنة ونصف السنة ومات بعد أسبوع من إنجاز ما تبقى

من أعمال، وقبل سماعه مهلة الـ ٦ أشهر قام بتقسيم ثروته، وكل ما كان يشغله آنذاك هو موضوع كتابة مذكراته، ذلك الأمر الذي تطلب منه مدة السنة ونصف السنة لأجل إنجازه.

وقد أودع تلك المذكرات لدى ابنه البكر وقال له يا بني هذه المذكرات هي بضعة من التاريخ المعاصر للبلد، حافظ عليها وعندما يحين أوانها قمّ بنشرها على الملأ وحتى يحين ذلك الوقت كن حريصا عليها كحداقات العين.

حافظ الابن البكر على تلك المذكرات لمدة عامين، وكان خلال تلك المدة قد تدرج في الوظيفة حتى وصل إلى منصب المدير العام حيث رافق ذلك تغيرا في علاقاته ونوع اهتماماته، وكان على معرفة تامة بأنه كمدير أصبح تحت نظر واهتمام السلطات، فهاثفه وحركاته أصبحت مراقبين من قبل المعنيين.

وبعد شوط من الحذر والتردد وبعد سلسلة من عمليات إخفاء ونقل مذكرات الأب من مكان إلى آخر، قرر أن يضع حدا لهذا الأمر. وفي إحدى الأمسيات في فيلاته الشتوية قام بحرق تلك المذكرات من دون قراءة حتى صفحة واحدة منها.

ولو أنه قرأ الصفحة الأولى منها لوجد أن والده قد كتب فيها تحذيرا له بألا يفعل كما فعل هو بمذكرات والده من قبل.

الوطن

مدفوعا لأحضان تلك الرائحة المحببة ورؤية الوطن عاد بعد غربة دامت ٢٢ عاما، طيلة تلك المدة التي قضاها في أمريكا، كانت نهاراته مكرسة لها، أما الليالي فكانت تضج بأحلام

لا حدود لها بين حارات طهران وأزقتها.

لذا، فبعد أن عاد قرر أن يضع برنامجا مكثفا لنفسه؛ مقدمته كرسها لافتراس وجبات الطعام الإيراني التقليدي مثل: فتة الرأس والمقادم (الباجه)، خبز سنكك(*) مرقعة الخضار(قرمه الشبزي)، ومرقة الباذنجان، الرز مع الكباب، الحساء (الآش)(**). .. الخ.

هذا البرنامج الطموح لم يتواصل سوى ثلاثة أيام، حيث انتابته بعدها أنواع من النوبات؛ إسهال، قيء، وسلسلة من الاضطرابات المعدية والمعوية، مما اضطره إلى الاستعانة بمطاعم طهران الراقية ومطاعم الفاست فود.

القسم الثاني من البرنامج كان مخصصا لزيارة حارات طهران القديمة وأزقتها، وخاصة ذلك الحي الذي كان يقطنه. ذهب إلى هناك فتلبسته الحسرة على ما شاهد حيث توارت البيوت القديمة وأزيحت أغلبها واصطدمت نظراته ببقايا أحجار متناثرة ولكنه استرجع شيئا من الأمل عندما شاهد بقايا منزلين من تلك المنازل والتي سارع إلى الجلوس عند عتبة احداها من أجل أخذ قسط من الراحة وبعدها قام وأمسك بالقبضة الرجالية(***) للباب وطرق عدة طرقات ففتح له الباب رجل يرافقه كلب ذئبي، فقال للرجل: هل تسمح لي بإلقاء نظرة على هذا المنزل، قال ذلك وبدأ يحدثه عن أمور عدة، فقال الرجل: ماذا تريد أن

(*) خبز سنكك: نوع من الخبز يتم طبخه في تنور مليء بالحصص الساخن.

(**) (الآش): نوع من الحساء، محتوياته الحبوب والخضار.

(***) القبضة الرجالية: كانت أبواب بيوت طهران قديما مزودة بقبضتين واحدة للنساء وأخرى للرجال ولكل منهما صوت متميز يعرف من خلاله سكان المنزل جنس الطارق.

ترى؟ وبعدها فتح له الأبواب على مصراعيها. فلم ير الرجل القادم أثرا من حوض البيت أو مكان اغتسال القدمين(*) . وكانت باحة المنزل تضج بالعلب الكارتونية المختلفة الأحجام والمختومة بالماركات والعلامات العالمية المشهورة مثل: ال جي، سامسونج، تيفال... الخ.

قال الحارس موضحا: كما ترى هنا مخزن لإحدى الشركات التجارية الكبيرة، وهنا تلاشت آخر ملامح ذلك البرنامج الطموح الذي وضعه لنفسه، فقام بتقديم موعد عودته، وسارع إلى شراء خمسة كيلوات من أجود أنواع الفستق لزوجته الأمريكية وسجادة تركمانية لأحد زملائه في العمل، بعد أن تسريل قلبه بالحسرة والأسى على طهران أحلامه.

جسد الخال العزيز

نقلوا خالي من شيراز إلى طهران جوا وكان برفقته طبيبه وممرضته الخاصة، ولكن خالي العزيز لم يبق على قيد الحياة في طهران سوى ساعتين.

ومن أجل إعادة جسده من طهران إلى شيراز فإن ذلك الأمر يتطلب منا كحد أدنى يوما كاملا من المراجعات هنا وهناك، وقد وصل أبناء وأصهار الخال العزيز جميعهم إلى طهران، لا أحد يريد أن يصدق بأن الخال العزيز قد مات، نقل الجثمان من ثلاجة المشفى إلى مقبرة «الزهراء» في طهران وبعد إتمام مراسم غسله وتكفينه نقل إلى المطار بعدها نقل التابوت من

(*) مكان غسل القدمين: بيوت طهران القديمة كان فيها مكان لغسل القدمين قبل الدخول إلى غرفة الاستقبال.

سيارة الإسعاف إلى قسم النقل وكان الأبناء والأصهار جميعاً حاضرين منكسي الرؤوس وأيديهم على صدورهم يقفون أمام تابوت الخال العزيز، لا يريدون أن يصدقوا أن الخال العزيز قد توفي، كان جثمان الخال العزيز خلف جهاز لغسل الملابس نوع «ال جي» وبعد أن أنجز الشخص المكلف عملية نقل جهاز غسل الملابس تحول إلى تابوت الخال حيث غلفه بالنایلون والشريط اللاصق بشكل كامل ووضعه على الميزان الخاص بذلك، في تلك اللحظات حاول الأبناء والأصهار أن يحولوا أنظارهم بعيداً عما كان يجري أمامهم من أحداث، وبعد صدور وصل الاستلام، وضع عامل النقل تابوت الخال العزيز على شريط نقل البضائع المتحرك خلف جهاز غسل الملابس «ال جي»، وعندما تحرك الشريط وبدأ جسد الخال العزيز في الاختفاء، عندها فقط أدركت أن الخال العزيز قد مات.

علي أصغر شيرزادي Ali Asghar Shirzadi

كاتب روائي وصحافي. ولد في مدينة شيراز سنة ١٩٤٢. دخل عالم الصحافة بعد إنجازه المرحلة الثانوية وبعد سنوات من العمل المتواصل في جريدة «اطلاعات» الشهيرة تفرغ للكتابة القصصية. من أعماله المنشورة: الغريب والأقاييا (مجموعة قصصية) وطبل النار (رواية).

المغولي في المطر

كنت هناك، ولم أكن، من دون أن أقرر وأريد، رأيت، لم يسقط، كلاً. كأنَّ أصبح له جناح، أي لم يكن له الوزن والحجم الذي للقطعة النقدية أو لحصاة صغيرة أو مفتاح أو حتى لعبة كبريت خالية ومطوية عندما تسقط من يدٍ على شارع قذر ورطب، يصدر منها صوت خافت، لم يكن مهماً أبداً، ولكن هو أيضاً رأى.. من خلال أجفانه المغولية الهيئة رأى ذلك.. وتحرك بسرعة وتلقائية.

بمرفقه الصلب ضرب أضلاعي، نظر، سار موازياً ولكنه تردّد، ولم يتحرك أو يتقدّم حتى أنه لم يُحرك شفة وانتظر وأخذ يراقب بحذر..

لا أعلم ما أصابني، كنت هناك ولم أكن، إن لم تكن هذه الألحان الحزينة والمؤلمة وهذه المهمة البطيئة والمملة للغروب، إذا لم ينزل المطر على وتيرة واحدة وباستمرار، والجو كان غائماً فقط، إذا كانت الحافلة قد وصلت في وقتها ولم يكن طابور المنتظرين قد امتدّ إلى هذا الحدّ، وبقوا تحت المظلات السوداء بلا مأوى، لم تقع عليه عين ولم يلاحظه أحد، وإذا لم يقضم أطراف شاربه التتريّ ولم يلوّح بنظرته البراقة من خلال أجفانه المتورمة في هذا الصوب أو ذاك ولم ينظر خفية وبحقد ويحدّق في كل شيء كان من المحتمل ألا يساورني شكّ في أمره كلاً... كان ممكناً وبسرعة وبساطة التدخّل وإخبار الرجل العجوز ولكنّ الشيطان وسوس لي وقلت لنفسي: لأنتظر وأرى وبعدها أتدخل..

المغولي في المطر

كنت هناك، ولم أكن، من دون أن أقرر وأريد، رأيت، لم يسقط، كلاً. كأن أصبح له جناح، أي لم يكن له الوزن والحجم الذي للقطعة النقدية أو لحصاة صغيرة أو مفتاح أو حتى لعبة كبريت خالية ومطوية عندما تسقط من يد على شارع قذر ورطب، يصدر منها صوت خافت، لم يكن مهماً أبداً، ولكن هو أيضاً رأى.. من خلال أجفانه المغولية الهيئة رأى ذلك.. وتحرك بسرعة وتلقائية.

بمرفقه الصلب ضرب أضلاعي، نظر، سار موازياً ولكنه تردد، ولم يتحرك أو يتقدم حتى أنه لم يحرك شفة وانتظر وأخذ يراقب بحذر..

لا أعلم ما أصابني، كنت هناك ولم أكن، إن لم تكن هذه الألحان الحزينة والمؤلة وهذه الهمهمة البطيئة والمملة للغروب، إذا لم ينزل المطر على وتيرة واحدة وباستمرار، والجو كان غائماً فقط، إذا كانت الحافلة قد وصلت في وقتها ولم يكن طابور المنتظرين قد امتد إلى هذا الحد، وبقوا تحت المظلات السوداء بلا مأوى، لم تقع عليه عين ولم يلاحظه أحد، وإذا لم يقضم أطراف شاربه التتري ولم يلوح بنظرته البراقة من خلال أجفانه المتورمة في هذا الصوب أو ذاك ولم ينظر خفية وبحقد ويحدق في كل شيء كان من المحتمل ألا يساورني شك في أمره كلاً... كان ممكناً وبسرعة وبساطة التدّخل وإخبار الرجل العجوز ولكن الشيطان وسوس لي وقلت لنفسني: لأنتظر وأرى وبعدها أتدخل..

كان قد رأى ذلك لذا تصوّر أنه هو الوحيد الذي رأى ذلك
ولا أحد غيره..

تنفس بعمق وأخرج بقوة بخار فمه، رفع قبعته الجلدية السوداء
القديمة من على رأسه المحلوق ومسح جبينه الضيق الباهت اللون
كلون الإدمان وتفحص ما حوله وأصبح مطمئناً.. كأن الآخرين
لم يروه، ربما يكون المطر الهادئ المتساقط على وتيرة متناسقة،
أو اثر الانتظار المملّ وانشغال الفكر والقلب والتعب والارهاق،
والأسوأ من كل ذلك قد يكون نور السماء الممطرة وقت الغروب
هو المانع..

لا.. لم يرَ أحد شيئاً.. نحن فقط.. أنا وهو الذي أغرق
«حنكه» الأملس في الياقة المقلوبة لجاكيتته القطنيّ القديم.. كان
مثلي بلا مظلة واقفا تحت المطر رأيته، اهتزّ وتحرّر من بين
أصابع العجوز المرتعشة، طار وبكل خفة وهدوء، استقر في الظل
الغامق لحافة معطف العجوز العريض الرماديّ اللون، وسقط
على أرضية الخطوط الغامقة الفاقدة للونها الأصلي واستقر
على حافة حفرة صغيرة مليئة بماء آسن قرب قدم وحذاء جندي
في القوة الجوية..

كان واقفا في الطابور الطويل قرب العجوز، واضعا منديلا
قطنيا كبيرا على أنفه وفمه ويضغط عليهما بالمنديل، استقرت
على الأرض، كانت من فئة عشرين تومانا أو خمسين، ففي تلك
الحالة وذلك الجو وذاك النور الملوّث وتحت المطر الذي يهطل
بهدهوء واستمرار ومن المسافة التي تفصلني وإياه عن العجوز،
لم يكن سهلا معرفة نوع ومقدار القطعة النقدية، معدنية كانت

أم ورقية، ولم تعد في يد العجوز، هذا كل ما في الأمر، العجوز الذي أخرج إحدى يديه من قفازه الصوفي الأسود اللون، ربما كان يريد أن يجد بطاقة ركوب الحافلة، بقايا سند، بطاقة الحصة التموينية من السكر أو الصابون، أو أنه كان يحاول أن يجد عنوان أحد أقربائه أو أي شخص من بين قطع الأوراق المطوية في محفظته الجيبية، كان جسمه النحيل ضائعا داخل معطفه العريض الرمادي اللون، كان ممسكا بمظلة كبيرة على رأسه وتحت إبطه كيس نايلون مليء بالفت، أعقاب سيجارة مطفأة بين شفتيه المتدليتين ومع ارتعاش خفيف في حنكه البارز إلى الأمام، لا، لم يكن حائرا أو مضطربا ولكنه في تلك الحالة لم ير طيران قطعه النقدية..

كنت هناك ولم أكن، كنت أرى ولم أغفل حتى عن رؤية شعيرات لحيته، والآن لايتفحص المكان بتلك النظرة الحاقدة الباردة، الرائحة المنتشرة والشهية مع انتشار الدخان الكثيف والثقيل لشواء اللحم الذي يأتي من المأوى الصفيحي لبائع اللحم المشوي على حافة طريق المارة، ولم يحرك مرة أخرى الشعيرات الموجودة على أنفه العريض الكبير، إذ عندما رأيت الارتعاش المقرز لتلك الشعيرات الصفراء على أنفه قبل أن تسقط تلك القطعة النقدية من الرجل العجوز جنب حضرة الماء الأسن أصابني دوار ولم أتمالك نفسي فأخذت بالتقيؤ..

هو الآن مُنحن واضعا يديه في جيب جاكيتته الكتاني الطويل وهو يراقب العجوز بكل حواسه، لو أني لم أكلمه قبل ١٠ أو ١٥ دقيقة قبل أن تسقط القطعة النقدية للعجوز على الأرض،

كنت أسرع ولأضع حداً للمسألة، ولكن تذكرت حديثه القصير الذي قُذِف كبصاق وذلك الصوت المبحوح الخشن المحقّر وذلك اللعنان البارد لنظرته الحاقدة التي تتبثق من خلال أجفانه المتورمة المغولية كأنها جعلتنا ننتظر، ونراقب ونرتقب خلسة... ولأجل أن أقول شيئاً بلا هدف ولا قصد معين سألته: «أجئت من ديارك لأجل العمل؟».

كان طرف جفن عينه اليسرى المتورم قد تجمع، وقد قضم بعض شعيرات شاربه الخفيف وبنظرته التي كان يتفحصني بها جيداً.. نظر إليّ وقال: «آه.. آه.. عجباً من الإنسان الفضولي، شيء لا يخصك..» خجلت ولم أنبس بكلمة أخرى، والآن، يترقب.

كنت متأكداً من أنني سأنتقم منه دون أن أجعله يشعر بشيء، كنت أترقب نظراته، لم يرفع عينيه عن الرجل العجوز كأنما علقتا بالكيس الذي تحت إبط العجوز «يو.. و.. و..».

يذهب الآن إلى بيته ويتمدد على فراشه جنب المدفأة ويطلب أن يُطبخ له اللفت ويتناوله ساخناً وهو ينظر إلى لهيب المدفأة بهدوء يتشهى ويخرج روائح كريهة ويشعر بالراحة.. أف عجباً من إنسان شره.. عجباً..»

امرأة سمينية متوسطة العمر قصيرة القامة واقفة جنبه، نفضت عباءتها السوداء المبللة في الهواء وبعدها جمعت بهدوء وتأن ماء فمها ولسانها وبصقته بقوة «إذن متى يصل هولاء.. ليفنيهم الله.. تعبنا والله..» أمّا هو فلم يسمع أبداً ومن أعلى رأس المرأة التي تلبس عباءة كان ينظر إلى العجوز.. كان ينظر

إلى العجوز وإلى حذاء الجندي الواقف جنب العجوز.. صكت أسناني «أنت في قبضتي أيها الحقير»..

تحرك الطابور إلى الأمام تحت المظلات السوداء ببطء وبصعوبة.. وإلى الطابور الطويل وصلت إحدى الحافلات اللينة ذات الطابقين وهي تُخرج أصواتا مزعجة.. وقطرات المطر التي تتساقط على وتيرة واحدة وبهدوء، تتخلل أعمدة الضوء الدائرية الصفراء المتذبذبة الصادرة من ضوء السيارة.. تقدم الطابور إلى الأمام، وأنا كنت خلفه، أتقدم خطوة خطوة، كنت متهيئاً، وعضلات أقدامي قد أصابها التشنج وأسناني تصك على بعضها، انحنى وأغرق راحة يده العريضة بنشاط وسرعة في الماء الأسن وفي الظلام جمع يده واعتدل بسرعة، أمسكت بيده وضربته بقوة، حاول التخلص.. «هي.. ها.. ما.. ماذا؟» قلت: «أعدّ مال العجوز المسكين.. هيا.. أعدّه أيها الحقير اللقيط».

فجأة أحسست بالألم في وجهي، بقبضته اليمنى المكورة ضربني وصرخ «ابن الكلبة». رميتها، ابتعدت عنه قليلاً وركلته في بطنه، انحنى، لويت رأسه ورقبته، ارتفع عن سطح الأرض، كان هُشاً وضعيفاً وعندما سقط على الأرض خرجت منه صرخات متقطعة.. وللحظة استغلها وأخذ يشتم ويده اليسرى مازالت مسدودة. أغلقت المظلات وظلّ العجوز حائراً: «سيدي نقودك سُرقت..» العجوز مندهش وحيران ينظر إلينا، أعقاب السيجارة المطفأة بين شفتيه المتدليتين المرتعشتين.. قلت: «نقودك سُرقت.. النقد الذي سقط من محفظتك».

اضطرب طابور المنتظرين وبعضهم هجم باتجاه الحافلة ودون أن يغلقوا مظلاتهم لأجل الإسراع في الركوب.. كانوا يتدافعون فيما بينهم.. مرة أخرى ناديت الرجل العجوز «سيدي نقودك سرقت، أخذها هذا السارق القذر»، وكنت أشير إلى المغولي الهيئة الذي سقط على ظهره على الشارع القذر الرطب.

ومع أنني كنت قابضا على عنقه إلا أنه كان يشتم بصورة متقطعة.. سرى الألم في أنفي حتى ملأت الدموع عيني وضغطت بقوة بركبتي على بطنه وبصعوبة فتحت قبضة يده اليسرى.. قطعة من فئة العشرين تومان متسخة ومطوية بقوة كانت في يده. قلت للعجوز: «أبي العزيز، هذه القطعة النقدية سقطت من محفظتك»، انحنى الرجل العجوز، كان ينظر إلينا بدهشة وحيرة، عقب السيجارة المطفأة بين شفثيه المتدليتين يرتعش.. قلت: «نقودك سرقت، النقد الذي سقط من محفظتك». حدّق في راحة يده ورفع رأسه مبتسما ابتسامة باهته وغمز لي وقال: «حدث خطأ ما.. أعتقد أنك مخطئ يا عزيزي.. أنا لا أملك أي نقود.. أنا مطمئن من هذا.. دعه وشأنه يا عزيزي...».

تركته ونهضت، الجندي في القوة الجوية الذي كان مبهورا حائرا حتى تلك اللحظة وأفرغ ما في أنفه من مخاط في منديله القطني الكبير، أحدث جلبة وقال: «ما المقصود.. حقا ما المقصود؟».

الحافلة اللينة ذات الطابقين امتلأت بالركاب وبقينا حيارى تحت المطر الذي كان مازال يتساقط على وتيرة واحدة وبهمهمة متناغمة..

زويا بيرزاد Zoya Pirzad

كاتبة ومترجمة. ولدت في العام ١٩٥٢ في مدينة عبادان جنوب إيران. تكتب القصة القصيرة والرواية وتترجم أحيانا. حصلت على عدة جوائز قيمة. من أعمالها: ككل المساءات، أنا أطفئ المصباح وغيرهما.

فردة وفردة

في بعض الصباحات عندما أستيقظ من النوم أودُّ أن أبقى في ثياب نومي القديمة مع شعر غير مصفف وجوربيَّ المختلفين، أحبُّ أن أجلس أمام التلفاز وأشاهد أفلام الصور المتحركة كوالث ديزني التي أحبُّها كثيرا، أحبُّ أن أضع أمامي صحنا من العنب من دون نواة واغرق في قصة الأميرة النائمة أو قطر الندى والأقزام السبعة... كنت أتمنى أن أكون بطلة الأميرة النائمة والإنسان الثلجي، وأنا أنتظر فارس أحلامي وهو يستبدل قرعي القديم بعربة ملكية جميلة ومزينة، ويثير في كل مشاعر الحب ويهيا لي قصرا فخما جميلا لا ذكر للطبخ والتنظيف فيه. قصر يكون كبيرا لدرجة لا أسمع فيه صوت بكاء طفلي ليلا ولا أرى عملية تبديل حفاظته التي تعكر عليَّ أحلامي..

أتمنى أن يعود أمير أحلامي ظهرا من عمله بسيارته البيضاء النظيفة، وأسمع صوت مفتاحه في باب شقتنا الصغيرة وأنهض بلهفة لاستقباله.. أغمض عيني وأفتحها لأرى مائدة الطعام جاهزة بمرقة الخضار التي تفوح رائحتها وهي تمتزج بعطر الزعفران على الأرز الفاخر مع سلّة الخضراوات الطازجة المزينة بحبات الفجل الحمراء وقطع الخبز الحار، أتقدم بوجه مبتسم لاستقباله وأنا أسأله عن أخبار يومه وأقول: عزيزي ما الأخبار؟ وفارس أحلامي بيده باقة من ورد القرنفل يقول لي آه، عزيزتي أحبك. نذهب نحو طفلنا الجميل النظيف وهو بملابسه الزرقاء اللون كزرق السماء الصافية وهو جالس على كرسيه الصغير

ويقول: آ..آ..آ... أشعة الشمس تدخل خلصة لتشرف على
أزهاري الجميلة، صوت الموسيقى الهادئة يملأ فضاء غرفتنا
وأنا أنظر إلى قصري الجميل النظيف وأقول «آه.. ما أسعدني!»
كلما أسرح شعري أعثر على بعض الشعرات البيضاء، تقول
أمي «اصبغي شعرك لأن زوجك شاب وكثيرات هنّ الفتيات غير
المتزوجات» كنت أنظر إلى زوجي ويتغلب عليّ الضحك وأنا أفكر
«أي فتاة شابة تطمع أو تفكر بأميري المرهق السيئ الأخلاق
المتحطم منذ سنين، أنا سرقت من أميري رائحته العطرة الزكية
وبريق عينيه وبسماته الحنونة العاطفية، أنا ساحرة مدينة
الزمرد، الخبيثة، السيئة، الأنانية، أيّ امرأة تعشق أميري الذابل
الباهت اللون...»

بين صبح وآخر، وأنا بثوب نومي القديم، وشعري غير
المصفف أتجول في المنزل، لأجمع الملابس القذرة من على
الأرض والكراسي ومن على سرير النوم ومن داخل الحمام،
كنت أجمعها لأضعها في الغسالة، كنت أضغط على زر أخضر
أو أحمر لتشغيلها، يداي تشكران زوجي دائماً لأنه ابتاع هذه
الغسالة التي لولاها لكنا دائماً تعانيان من فرك ملابس طفلي
والشراشف والمناشف وملابستا، الآن أستطيع أن أمسك بيدي
سيجارة خفيفة. أنظر إلى الملابس وهي تدور في الغسالة:
أصفر، أخضر، أبيض، سمائي، ملابس داخلية، بنطال، خرق
التنظيف، أغطية الوسائد والمنضدة، قطعات حياتي المعاشة..
أمي كانت تقول «يجب أن تفصلي الملابس عند غسلها،
الشراشف مع بعض، الملابس الداخلية مع بعضها وملابس

الأطفال...» ولكني كنت أخلطها غير آبهة. أمي كانت تقول: «إن طريقتك ليست صحيحة» كنت أضحك باستهزاء..

أمي تقول «اشكري الله أنك لست مضطرة لاستخدام العصا الصغيرة والماء البارد لتنظيف الملابس كما كنا في زماننا...» وفكرت «ليتني أملك دائما شيئاً أغرس فيه أصابعي، الملابس أو شباكاً ذهبياً لأحد الأضرحة، عملاً في إدارة، أملاً في ترقية وهدية عيد وزيادة راتب، دفتر توفير في بنك، أملاً في منزل أكبر وطقم استقبال من النوع الفاخر، سيارة، خاتم برليان، ساعة رولكس، حفل زفاف في الفندق الفلاني، أطفال يشعون نظارة ونتائج امتحانات زاخرة بأعلى العلامات، أصدقاء يمكنني أن أتبادل معهم أحاديث حول طبخ أكلة «الفسنجون» بصورة جيدة، أو الذهاب إلى صالون التجميل أو.. أو..

أشعر بالدوار منذ مدة، سواء كنت واقفة أو جالسة أو نائمة، كنت أحسُّ بأنني أفقد توازني وأن الأرض تدور تحت أقدامي، أمد يدي كي أستند على شيء ما لئلا أقع، لا أجد شيئاً.

أمي تقول: «لقد أصبت بالبرد» وكل يوم كانت تهين لي شراباً ساخناً كي أحتسيه، أمي وزوجي نظرا إلى بعضهما دون أن ينطقا بشيء.. بعد أيام زارتنا أمي واحتضنت طفلي، زوجي قال: نذهب. فذهبنا.

غرفة الانتظار في عيادة الطبيب النفسي قبيحة وكئيبة، بساط قهوائي منتفخ الجوانب يغطي الأرض، تعثرت به وكدت أن أقع على امرأة شابة كانت جالسة على أريكة بنية اللون من الجلد الاصطناعي وتحقق في مزهرية تحوي ثلاث ورود قرنفل

صناعية.. زوجي شدَّ على يدي وأنا بدوري اعتذرت من تلك المرأة، كان ظهر أحد أيام الصيف.. كنت أدري أن الجو مشمس في الخارج. ولكن غرفة الانتظار كانت شديدة الظلام بحيث اضطروا إلى الاستفادة من الإضاءة السقفية..

قلت لزوجي: «إن المكان شبيه بمكان غسل الموتى»
ابتسم زوجي، ضغط على ساعدي وقال: «اهدئي يا عزيزتي».
وأدركت أنه يعني أن ألتزم الصمت..

جلست على أحد المقاعد قبال تلك المرأة التي كدت أن أقع عليها.. بعد دقائق أحسستُ بأن ظهري وقدمي قد تعرقتا..
جوربي النايلون الطويل التصق بقدمي.. بدأت أتحرك كالودودة،
الجلد الاصطناعي بدأ يُخرج أصوات الاصطكاك به.. نظر إليّ زوجي.. قلت «إنني أكره الجورب النايلون».. قال زوجي: اهدئي يا عزيزتي.

جلست صامتة وفكرت لماذا ألبس جوارب النايلون وأنا أكرهها
ولم أعلن بأنني أكرهه.. جاء دورنا ودخلنا غرفة الطبيب.
كان زوجي يمسك بساعدي ويضغط عليه.. أحسست بالألم..
الطبيب النفسي يجلس وراء منضدة كبيرة، كان نحيلًا وذا
لحية بروفيسورية ونظارات مقعرة..

قال: كيف حالك؟

قلت: أنا بخير ولكن ساعدي يؤلمني.

قال: ساعدك يؤلمك؟ متى بدأت الآلام؟

قلت: منذ ثلاثين ثانية.

سَعَلَ وحرَّكَ نظاراته وقال: ماذا ترين السبب؟

قلت: أنا أظن أن سببه زوجي إذ ضغط على ساعدي.

نظر زوجي إليّ باضطراب وتراجع إلى الوراء..

قلت: لم يعد ساعدي يؤلمني..

كان الطبيب يدوّن شيئاً على قطعة ورق.. أحسست بأنه

يضحك، لم ألحظ ذلك على وجهه ولكني أحسست بأنه يضحك.

أردت أن أقول: أعلم أنك تضحك.. ولكني قلت في داخلي «اهدئي

يا عزيزتي» أردت أن أنظر لأرى ماذا يكتب، سحب الورقة بسرعة

ولكني لاحظت أنه قد رسم أشكالا مضحكة.

أردت القول: لا تتزعج، لا ضير في ذلك، أنا كذلك في أغلب

الأحيان أرسم أشكالا مضحكة على القصاصات التي تحت

يدي..

قال الطبيب النفساني: ماذا تحبين؟

قلت: أفلام كارتون والت ديزني والغيب الخالي من النواة..

وفي بعض الأحيان أود أن أرسم الأشكال المضحكة..

فتح فاه برهة من الزمن.. وأخذ يسعل عدة مرات وقال: ماذا

تكرهين؟

قلت: الجورب النايلون والذي يضغط دائماً على ساعدي..

كتب الطبيب شيئاً على ورقة أخرى.. أحسست أنه دفع

بالورقة إلى جهتي كي ألاحظ أنه لم يرسم صوراً مضحكة وقال:

استفيدي من هذه الأقراص ثلاث مرات يومياً وسيتحسن حالك..

قلت: أعني ذلك ألا أحب الكارتون.. كارتون والت ديزني بعد

الآن..

نظر إليّ، وحدثني بإمعان، وقال: كلا إنه يمنعك من رسم

الصور المضحكة. ضحكت، وضحك الطبيب، زوجي كان ينظر إلينا باضطراب وهيجان.

لا أدري كم مضى من الوقت وأنا أجلس مع الطبيب النفسي ونشاهد كارتون والت ديزني في قصر جميل وكبير ومرتب وبلا غبار.. طبيبي النفسي يعتاش على العنب الخالي من النواة وأنا لا أصف شعري أبدا.. لحيته طويلة جدا، لقد رميت كل جواربي النايلون بعيدا، وهو لا يطلب مني أن تكون جواربه متناسقة، إنه دائما يلبس جوارب متنافرة الألوان وعلى أي شيء يقع تحت يده يرسم الصور المضحكة.. ويسرد لي أحاديث عن تلك التي تجلس في غرفة الانتظار وتحقق في مزهرية تحوي ثلاث ورود من القرنفل الصناعي.

أحمد غلامي
Ahmad Gholami

ولد عام ١٩٦٣، كاتب وناقد أدبي ويعمل في الصحافة الثقافية. له كتابات قصصية متعددة للأحداث والكبار، وقد نال عدة جوائز أدبية. من مجاميعه القصصية المنشورة: العشيرة، نواح في الريح، بلا عنوان... حالياً.

بلا عنوان... حاليا

جلس على مصطبة المنتزه.. أول ما يلتفت النظر فيه وجهه النحيف وعيناه الناعستان. الكاتب، وهو أنا، كان جالسا أمامه تماما. رجل آخر كان يفصل ثيابه في طست قرب كشك الحراسة. كان حارس المنتزه. يستطيع الجلوس في ظلام الليل تحت الشجرة يصارع أدرا ن ثيابه وليس عليه سوى قميص قديم.. يتمتم أشياء مع نفسه أو ربما يتململ. تملله هذا هو الذي جعلني أركز السمع. لكنني لم أفهم شيئا مما يقول.. يتكلم بالتركية.. حتى حين يتحدث مع نفسه لا تبدر منه أي كلمة فارسية، إلا الكلمات القليلة المشتركة. وكذلك الرجل الجالس أمامي.. واضح أن سمرته من صنع أنامل الشمس.. ينظر إلى الأمام دون أن يزيغ بصره هنا وهناك. هو الآخر لم أفهم شيئا مما قاله مع نفسه، لكن موسيقى كلامه التركي تشي بالتبرم والشكوى من الزمن. لو كنت كاتباً يجيد التركية لاستطعت إبداع قصة إنسانية. صحيح أنني أستطيع قراءة ذبذبات القلوب وسماع اصواتها الدبببة، لكنني لا أفهمها حين تتكلم بالتركية. لابد لي من مترجم حتى أعر على خيوط الصلة بين تملل حارس المنتزه وشكاوى الرجل الأسمر، فأستطيع صياغة قصتي. ليس من الصعب أن أجد المترجم. كثيرون ينتابهم الأرق ليلا فيقصدون المنتزه لقضاء الوقت. ها هو قد جاء أسرع مما كنت أتوقع. طويل القامة بشاربين كثيفين طويلين من تلك التي يعشقها صديقي روزبه. روزبه هذا شخصية واقعية هربت من القصة.

لولا خشيتي أن يغضب لكتبت لكم عنوانه ورقم هاتفه. إذا كان هذا القادم الطويل ذو الشارب الكثيف يجيد التركية فسينتهي كل شيء بسلام.

- معذرة سيدي، هل تجيد التركية؟

- نعم، لمّ تسأل؟

- أريد أن تترجم لي ما يقوله هذان الرجلان مع نفسيهما.

- وكيف تستطيع سماع ما يقوله الناس مع أنفسهم؟

- أستطيع لأنني كاتب.

- آها...

- هل تترجم لي؟

- اهه.

هنا تقع قصتنا في مشكلة بسيطة، هي أنني أنا فقط، باعتباري كاتباً، أستطيع سماع أصوات السرائر والقلوب ومع أنني لا أفهم ما تقول لكنني أكررها لصاحبي الطويل وهو يترجمها لكم! لا بأس ببعض التسامح مع كاتب مبتدئ.

- تسامح؟! أنتم الكتاب أنانيون حقاً. تريدون من الآخرين أن يتفهموكم ليل نهار. ويتسامحون معكم، ويفضون الطرف عن هفواتكم. ولا يردون عليكم إلا باللطف واللين مهما هذرتم.

- سيدي، بالله عليك دع هذا الشجار الآن. كن كريماً معنا لدقائق... مشكلتنا الآن هي الترجمة.

- لا يكف عن طلب العطف والتسامح! لا بأس، لنرى هل ستحل الترجمة مشكلتك؟

ستطول القضية لو ألقمته حجراً، وسأبتعد طبعاً عن قصتي.

مازال الحارس يدعك ثيابه في الطست... لكنه انتهى الآن.. نهض بصمت وسكب ماء الطست في جزرة المنتزه. غسل يديه بماء الماسورة وبدأ يسقي منها الزهور والعشب. ذبذبات.. صوت.. تململ.. سأبدأ الآن رواية أقواله للرجل الطويل وهو يترجم، ولكم أن تقرأوا:

«السخيف يظن أننا هنا في دار عجزة. سأبلل كل مكان لكي لا يستطيع النوم ويذهب إلى حيث يريد.

تركي مثلي؟ وإن يكن. ما أكثر الأتراك في هذه البلدة التعيسة. هل ساعدنا أحدهم؟ هل أخذ بيدنا أحدهم؟ بل لم يتورعوا حتى عن أن يرحمونا مع الراجمين دون أن نقترف ذنبا.. يا لسوء الحظ، أصبحتُ جلاد المشردين والمتسولين... يا لها من مهنة! أصبح في النهار على الأطفال ألا يقطفوا الزهور، وأهش ليلا على الشحاذين والمساكين ليتشردوا أكثر. يظنون أنني لا أسمع أصواتهم حين يشتمونني: تركي... هم وآباؤهم وأجدادهم وعشيرتهم. لدي مسؤوليتي هنا. من يعول ستة أطفال؟ لكن هذا... وما شأنني أنا؟.. هل نزعرت الرحمة من قلبك؟ ألسنتُ إنسانا مثله؟ أليس لي زوجة وأطفال؟ لم لا أنام على العشب؟ إذا تسامحتُ معه امتلأ العشب والثيل بالشحاذين.. هذا مستحيل.. لا عليك أبدا... سيجد له مكانا آخر ينام فيه.

قطرات الماء تنزلق على الثيل وتثير أريجاً طبيعياً يسكر الخيال. خيالي أنا والمترجم طبعاً. الرجل الأسمر لا يزال على أزمته... يئن ويستغيث. لكن شيئاً لاح من قعر صوته ينم عن استئناسه بمحنته. أنا أروي والمترجم يترجم وأنتم تقرأون:

«لا بأس عليك يا صاحبي. امنع عنا هذين الشبرين من أرض الله.. أدري أنك تود مساعدتي ولا تستطيع.. تخشى أن تفقد عملك... أنا ضيفك ليلة أخرى. تركتني أنام على الثيل ليلتين. بل جئت وألقيت عليّ بطانية. تصوّرت أنني لم أشعر؟ بلى، شعرتُ وشكرتك بصمت. سأبقى الليلة جالسا على المصطبة حتى الصباح. أنام جالسا. لكنني سعيد.. لأن الإنسانية لم تمت بعد.. تركتني أنام هنا ليلتين.. ليلتين كاملتين.. أنا راض ومسرور.. أنا راض حتى لو نمت الليلة على المصطبة. زهراء مكانها جيد في المستشفى... بجوار ابنتي.. أنا في راحة تامة إذا كانت هي في راحة. أستطيع النوم حتى على الصخر. أنا راض حتى عنك.. جزاك الله خيرا.

ترش الماء الليلة لكيلا أنام.. لا بأس.. ستتقضي هذه الليلة كما انقضت سابقتها لا بأس عليك».

رَشَّ الحارس كل الثيل بالماء.. وصل إلى شجرة الصفصاف. حاول أن يرش البقعة المحيطة بجذعها فلم تطاوعه نفسه. ارتعشت الماسورة في يده. الرجل الأسمر كان قد ولّاه ظهره. أنا أروي والمترجم يترجم، وأنتم تقرأون:

«دعه ينام الليلة أيضا. الله كريم. إذا جاء المفتش فلن يحكم عليك بالإعدام للجواب أمامه. لا بد أنه إنسان مثلك. وهذا الأسمر يبدو عليه أنه شخص محترم، لا أظنه شحاذا أو متسوّلًا.. لينم الليلة أيضا. لكنني سأطرده شر طردٍ إن جاء غدا أيضا.. الليلة فقط يا رجل.. الليلة فقط».

ألقى الماسورة على الأرض وأغلق حنفية الماء وعاد إلى كشكه.

جلس وهو يحملق في الرجل الأسمر.. الرجل لا يتحرك.. أسند ظهره إلى المسند الحجري للمصطبة وحاول أن ينام.
نهضتُ، أنا الكاتب، لأقول له إنّ تلك البقعة من الثيل ليست مبللة ويستطيع النوم فيها، لكن المترجم الطويل القائمة ذا الشاربين الكثيفين قبض على ساعدي:
- لا تتدخل..

- دعني أخبره أن الحارس عطف عليه...
- هو أدري منك.. أنت الذي لا تدري.
- أنا لا أدري؟! لكنني أنا أخبرتك بكل شيء وأنت ترجمت فقط!

لا، لا تدري. أنت كاتب صغير لا تعرف الناس. تصورت أنني لم أفطن إلى أنك اختلقت من نفسك كل ما قلته بالتركية لتكون قصتك أكثر إنسانية؟ أنت كاتب مبتدئ بائس. أنا أتجول كل ليلة في هذا المنتزه، وهذا الرجل ينام كل ليلة هنا، والحارس لا يسقي شجرة الصفصاف كل ليلة، بل يلقي عليه البطانية كل ليلة، ولا يخاف من المفتش. يأتي بالبطانية ويغطيه بها. هذا هو الصواب الوحيد الذي قلته... ثم إنك تجيد التركية، وتكلمت بالتركية على أحسن ما يمكن.

قبضتُ بكلتا يدي على ياقته: لولا روزبه.. أنتم طبعاً تعرفون روزبه؟ صديقي الذي يحترم أصحاب الشوارب العظيمة، للطمته على فمه. لكن صاحب الشوارب الكثيفة قال شيئاً تهادى كالندى البارد على أعصابي الحامية:

روزبه؟ منذ متى أصبح روزبه صديقك؟ روزبه صديقي...

إنه يقرأ ما في نفسي. يسمع صوتي. يجب أن أسكت تماما.
قد يسرق قصتي..

أنا أسرق قصتك؟! وهل أنت قاص أصلا؟! أنت شخصية في
قصة كاتب تركي. أورهان أوزول... أنا الذي ترجمتك. هل نسيت
أنني كنت آتي كل ليلة إلى المتنزّه بعد الترجمة لأدخن سيجارة؟
منذ متى أصبحت كاتباً ورحت تلفق الأكاذيب عن أهل بلدي؟
لم ناديتُ عليه يارب؟ يريد سرقة قصتي. هذه كلها حيلة.
يريد نشر قصتي باسمه.

نشر؟! ومن سينشر هذه الترهات؟!
طفح بي الكيل، أنا الكاتب. ليتني لم أنادِ على هذا الطويل
اللجوج. رأييت؟ رأييت؟ أين تذهب؟ شغلي معك لم ينتهِ بعد...
سار الرجل الطويل.. ركض الكاتب وراءه، أقصد أنا. أريد أن
أركض وراءه. أنا كتبت هذه السطور، يجب أن أحمي هويتي قبل
أن أخسر كل شيء وسط هذه المعركة. أنا كتبتُ الرجلَ الأسمر.
أنا ابتدعتُ حارس المتنزّه.

جيسـتا يـثـريـي chista yathrebi

ولدت في طهران ١٩٦٨، تكتب الشعر والقصة القصيرة والمسرحية والنقد، وتعمل في الإخراج المسرحي، ومحاضرة في الجامعة. تحضر للدكتوراه في علم النفس. نشرت أكثر من ثلاثين كتابا وقد فازت بجوائز تقديرية في مجال نشاطاتها المتعددة. من كتبها: سبع نجوم، سبعة شعراء، السلام على المستحيل... إلخ.

صور فورية

في معهد تعليم الرسم، طلبوا من الطفلة صورا . سوّت الأم شعر ابنتها وصنعت لها ضفائر رفيعة كذيل الفأر وشدّتها بشريط كانت نهايته على شكل رأس أرنب. أمسكت بيدها وخرجت إلى الشارع القريب حيث كان محل للتصوير الفوتوغرافي.

أجلس المصور الطفلة على مقعد مرتفع وطلب منها أن تنظر إلى صورة الطير التي أمامها . وأوصاها بالألا ترمش وخرج من الغرفة. اتكأت الأم على الباب وبعد لحظات شعّ بريق أضواء الغرفة وخفت بسرعة. عاد المصور وقال إن عمله قد انته؟. سألت الأم: كم يستغرق تحضير الصور، قال لها: عشر دقائق فقط.

بعد عشر دقائق تسلمت الأم الظرف وفتحته. لكنها لم تر شيئا فقد كانت الصور بيضاء تماما، أدخلت الطفلة إلى الغرفة ثانية. تكرر ضوء الفلاش. انتظروا عشر دقائق أخرى. لكن الصورة الثانية كذلك لم تكن تعكس شيئا إلا مساحة من البياض. قالت الأم: لعل الكاميرا فيها عطل؟ قال المصور اجلسي أنت لنرى. جلست الأم شعّ الفلاش وأضاء وجهها. بعد عشر دقائق كانت صورة الأم جاهزة لا نقص فيها. قال المصور: لا أدري لم لا تطبع صورة ابنتك. لم يحدث هذا معي من قبل. هل التقطت لها صورا قبل هذه المرة؟ لم تجب الأم، أحكمت ذيل الفأر وأدخلت ابنتها إلى غرفة

التصوير. شعّ الفلاش، انتظروا عشر دقائق ولكن الصورة الثالثة كانت بيضاء أيضا والرابعة كذلك... ارتعبت الأم وقالت للمصور: يكفي، حتما في جهازك خلل!

قال المصور:

لكن الجهاز سليم.

أمسكت الأم بيد ابنتها بعصبية وخرجت من محل التصوير. واتجهت إلى معهد الرسم، قالت المريية مبتسمة:

هل أتيتم بالصور؟

أجابت الأم:

لا. لم تنهياً.

قالت المريية:

لا يهم. حاليا صورة عن البطاقة الشخصية تكفي!

أخرجت الأم بطاقة ابنتها من الحقيبة وقالت:

لكنني لم أهيئ صورة عنها.

قالت المريية:

حسنا. لدينا جهاز استنساخ هنا.

أخذت البطاقة منها واتجهت نحو الجهاز سائلة:

هل هذه المرة الأولى التي تأتين بها إلى المعهد؟

قالت الأم:

نعم. فقد بلغت الثالثة من عمرها فورا.

قالت المريية تخاطب الطفلة والابتسامة على شفثيها: أهلا

بك يا عزيزتي. ولكن لم تقولي لي ما اسمك؟

كانت الطفلة صامتة وعيناها تشبه عين الأرنب المرسوم على

شريط ضفيرتها . عينان سوداوان لا حركة فيهما .

قالت الأم: إنها خجولة قليلا اسمها سحر...

نظرت المريية إلى بطاقة سحر. تأملتها للحظات ثم تصفحتها

وأمعنت النظر فيها ثانية، كانت كمن أصابه الدوار قالت منزعة:

هل هذه البطاقة لابنتك؟

أجابت الأم واثقة:

نعم...

رمقت المريية التي اعتلاها الشحوب الأم بنظرة والابنة

بأخرى. وقالت:

ولكن يا سيدتي هنا قد كُتب... أعني لعله ناتج عن خطأ...

فقد كتب أنها قد توفاه الله منذ ثلاث سنوات... وهي في

الشهر السابع من عمرها...

مسدت الأم شعر ابنتها الفاحم ولاطفت شريط ضفيرتها

الشبيه برأس الأرنب. حدثت المريية بنظرة واثقة وقالت:

نعم ولكنها ترسم ببراعة.

أخذت الأم ورقة بيضاء ووضعتها أمام ابنتها وأعطتها قلما

وقالت:

ارسمي يا سحر.

كانت المريية تنظر بحيرة واندهاش. أخذت البنت الصغيرة

القلم من أمها بصمت وبدأت ترسم على الورقة البيضاء. بعد

لحظات وضعت القلم جانبا. أمسكت الأم بالورقة أمام عيون

المريية وكانت على شفيتها ابتسامة تفشي بالفرور، كانت سحر

قد رسمت صورة طفلة. وضعت لها بدل العينين نقطتين سوداوين

وأنفا وشفّتين صغيرتين. كان شعرها مقصوصا من على الجبين
وعلى رأسها شريط ينتهي بشكل أرنب.
كانت البنت الصغيرة المرسومة على الورقة تعلوها ابتسامةٌ
ممزوجة بالغرور تشبه تماما تلك الابتسامة المرسومة على شفاه
الأم...

كيومرث صابري Keumarth Saberi

كيومرث صابري الملقَّب بـ «كُلُّ آقا أي سيد الورد» من أشهر كتّاب النقد السياسي الساخر المعاصرين في إيران. ولد عام ١٩٤٢ في إحدى قرى «صومعه سرا» شمال البلاد. بدأ منذ الثامنة عشرة عمله كمعلم والتحق بالجامعة ودرس في فرع العلوم السياسية سنة ١٩٦١ م.

في عام ١٩٦٦ بدأ بنشر قصائد ساخرة يوقعها بلقب «مكسور الرقبة الفومني» نسبة إلى فومن المنطقة التي ينحدر منها. حقق له عموده الساخر «دو كلمة حرف حساب، أي كلمتان لوجه الحق، في صحيفة «اطلاعات» شهرة واسعة وقد جُمع بعد ذلك ليكون أربعة مجلدات.

كان يؤكّد أنه لا ينحاز إلى أي تيار سياسي ويحاول التعامل مع الجماهير والثورة بصدق. أسس مؤسسة «كُلُّ آقا» الثقافية الذائعة الصيت والتي أصدرت أسبوعية «كُلُّ آقا» و«كُلُّ آقا للأطفال».

توفي في الأول من مايو ٢٠٠٤ م.

شروط الزواج

حينما خرجت من مكتبي، بدأ الثلج ينهمر حبة حبة. وصلت إلى الرصيف، كانت الأرض قد اكتست ثوب البياض على مد البصر. رفعت ياقة معطفي، وسلكت الطريق أمامي. لا يزال أمامنا من الشتاء الكثير. قلت لنفسي إذا استمر البرد هكذا فسوف نرى الويل حتى آخر الفصل.

حينما دخلت البيت شاهدت والدتي في الباحة تجمع الغسيل عن الحبل. منذ عدة أعوام، وأنا أمازحها عند هطول الثلج:

- أماه، جاءنا برد يقتل العجائز!

واليوم حينما هممت بأن ألهج بهذه العبارة، بادرت هي للقول: يبدو أنه برد يقتل العزّاب، أليس كذلك؟...

لم يكن في بيتنا عازب غيري. أطلقت الوالدة مزحتها بعد عدة سنوات، ذهبت مباشرة إلى غرفتي. أوقدت المدفأة ورحت أتملى بالصقيع من خلف النافذة. سئمت النظر للصقيع. في عالم الأخيلة المجنحة، سافرت نحو فتيات الأقارب:

- زري؟ سيمين؟ عذراء؟ مهوش؟ بروين؟...
على فكرة، ربما جالت فتاة في خاطر أمي، دفعتها لمزحتها هذه...

نيران فتيات الأقارب لم تسخن لنا قرح الماء. في عالم الأخيلة المجنحة أيضا هشتت بعصاي على غريبان فتيات المحلة:

- سوسن؟ مهري؟ مرضية؟ ابنة تقي؟ ابنة...؟

لو لم تدخل والدتي الغرفة، لما علم إلا الله كم كنت سأسافر مع هذه الأوهام. قالت وهي تدفئ يديها:

- قل لي، ما رأيك في زينب، ها؟ ابنة آقا بالاخان؟...! يقولون إن القلوب سواق تلتقي. ولكن ثبت لي يومذاك أن الأدمغة أيضا سواق تلتقي...

يبدو أن والدتي شعرت بأني أفكر بهن... قلت لها: اسمعي يا أماء، لحد الآن لم أقل أي شيء. ومن الآن فصاعدا لك أن تفعلي ما تشائين... ولكن بالله عليك لا تلقي بنا في البئر.

قالت: أي بئريا ولد... أنا التي ابيضت جدائي في هذه المحلة، لا أعرف بناتها؟ ابنة آقا بالا خان أنسبهن لك. كلما رأيتهما في الزقاق تخيلت يداها في يدك. لقد خلقتما لبعضكما! - لا اعتراض لدي. ولكن ماذا عن والدها؟ هل يزوج آقا بالاخان ابنته لموظف مسكين مثلي؟

- ولم لا؟... إنها ابنة آقا بالا خان على كل حال ليست ابنة السلطان - ولكن آقا بالا خان ليس بالقليل. أولا هو «آقا»(*) وثانيا «بالا»(**) وثالثا «خان»(***)... أليس ثريا.. ماذا يعوزه إذن؟ لا داعي للتفكير في هذه الأمور. دعني أتصرف أنا... هل أذهب؟

- نعم، اذهبي وأعدي لنا الغداء... أنا جائع جدا!

- أذهب لأعد الغداء؟

(*) بمعنى السيد.

(**) بمعنى الأعلى أو الرفيع.

(***) بمعنى الإقطاعي.

- نعم ماذا إذن؟
- أردتُ أن أذهب لبيت آقا بالا خان لأتحدث في الأمر مع زوجته زرين(*) خانم!
- بهذه السرعة؟
- ليس بهذه السرعة طبعاً... انتظر حتى العصر وأذهب.
- تريث قليلاً ثم قلت: حسناً، لا بأس!
- انصرفت أُمي فرحة نحو إعداد الغداء. تمددت أنا على السرير لأفكر في زوجتي القادمة...
- البرد يشتد لحظة بعد أخرى.. برودة السرير تستفزني أكثر... حقاً كأن البرد قاتل العزاب الذي تحدثت عنه أُمي!
- حينما عادت أُمي من بيت آقا بالا خان كان الليل قد أرخى كل سدوله. ولكن حتى في هذا الظلام، يمكن رؤية فكها الأسفل ساقط لحاله وفمها فاغر من الوجوم.
- ها ما الخبر؟ وقفت في الغرفة كأنها ملك الموت أو من شاهد ملك الموت.
- ألم أقل لك إن آقا بالا خان ليس من طبقتنا؟... ماذا قال؟
- قالت بصوت مرتجف:
- لم يكن في البيت، تحدثتُ مع زوجته... وابنتها كانت أيضاً.
- لم يوافقوا؟
- لا يمكن القول إنهم لم يوافقوا... ولكن قالوا يجب على العريس أن يغير أصدقاءه.

(*) بمعنى: المرأة الذهبية.

يرعى نفسه ومظهره أكثر، ويعود في المساء باكرا إلى البيت،
ليتعود على ذلك من الآن.

- ماذا قالوا أيضا؟

سألوا هل عنده بيت وسيارة؟ قلت لهم: لديه ماكينة حلاقة،
وسيشترى السيارة لاحقا إن شاء الله! والبيت أيضا يمكن التفكير
فيه. أودع مائتي ألف تومان في المصرف ليضيف إليها قريبا.
والبيت أيضا سيشتره فيما بعد إن شاء الله!

- ثم ماذا؟

قالوا إن شهادته الدراسية جيدة لكن راتبه قليل! وعليه أن
يقدم قطعة أرض وعقارا ضمن مهر العروس حتى لا يتحدث عنا
الأقرباء بسوء.

- ثم ماذا؟

- ثم إن ابنتي لا تجيد أعمال البيت، لذلك عليه أن يستأجر
لها خادمة وخادما!

- ثم ماذا؟

- قالوا: فضلا عن هذا اسمحوا لنا بأن نفكر في الأمر،
ونتحدث مع والدها، ونعلمكم الجواب بعد ثلاثة أشهر...!
- ودعتهم ورجعت...

وأنا أيضا ودعت أمي وذهبت لأقضي ليلتي مع الأصدقاء
في لهُو الشباب حتى لا يبقى اللهُو حسارة في النفس إذا
تزوجت.

لم يخبرونا بشيء خلال الأشهر الثلاثة... كانت الأيام الأخيرة
من مهلة قانونية سبقت حكما وزاريا بنقلي إلى الجنوب. حينما

كانت والدتي تحزم الأمتعة، أوصت أقدس خانم زوجة جيراننا مرتضى خان بأن تتصل في رأس نهاية الأشهر الثلاثة بزرين خانم وتكتب لنا النتيجة.

وصلتنا رسالة أقدس خانم ونحن في الجنوب. علمتُ أن زوجة آقا بالا خان بعثت في اليوم الأخير من الشهر الثالث خبراً «إذا لم يغيّر العريس أصدقاءه فلا ضير، ولكن عليه أن ينفذ باقي الشروط».

بعد أشهر وصلت رسالة أخرى تقول:

«قالت زوجة آقا بالا خان: لا ضير إن لم يرع نفسه ومظهره، لكن عليه أن ينفذ سائر الشروط».

وبعد أشهر أخرى وصلت رسالة أخرى «لا مانع أن يعود متأخراً في الليل، ولكن لا يتأخر كثيراً فتبقى ابنتي لوحدها... وعليه طبعاً تنفيذ الشروط الأخرى!».

الوقت ينقضي بسرعة، بعد كل خمسة أو ستة أشهر تصل رسالة من أقدس خانم تعلن عن إلغاء أحد الشروط السابقة: زوجة آقا بالا خان جاءت إلى بيتنا بنفسها وقالت:

- لا داعي للسيارة أيضاً، لأن زحام الشوارع لا يشجع على اقتناء سيارة خاصة!... ولكن يجب أن ينفذ العريس باقي الشروط!

قالت لي زرين خانم في الحمام: قال آقا بالا خان البارحة: لدينا بيت ولا ضرورة لأن يفكر فيه، لكنه يجب أن ينفذ سائر الشروط.

آقا بالا خان وزوجته أخبروني البارحة:

يمكن التنازل عن قطعة العقار في مهر العروس، لكن الأمور
الأخرى مهمة!

اليوم رأيت زينب نفسها في الزقاق، المسكينة تملكها الهزال
بشدة... قالت: أعيش حتى براتبه القليل، ولكن لابد أن يستأجر
لي خادما وخادمة!

لا أدري بالضبط كم من السنين انقضت، لكنني أعلم أن ابنة
آقا بالا خان بلغت السن الذي تسمى من تبلغه «عانسا».

العوانس إذا كن واقعيات يجب ألا يفكرن في الزوج لكيلا
تتقبض قلوبهن كلما رنّ جرس البيت!

شيئا فشيئا، كدت أنسى الموضوع... خصوصا أن أقدم خانم
قطعت رسائلها...

حياتي كانت تجري في سياقها الطبيعي إلى أن وصلت ذات
يوم رسالة لم يكن لي عهد بالخط الذي طرز بياضها. فتحت
المظروف على عجل. كتب فيها:

السيد برهان بور

بعد التحية، وددت أن أخبركم، لأجل استئناف قضية زواجنا،
لا حاجة حتى للخادم والخادمة، لأنني طوال هذه الفترة أتقنت
في مدرسة بيتنا كل الأعمال المنزلية من طبخ وخياطة وتجميل
وحلاقة وتطريز، وحزت فيها شهادة دبلوم.

«أنا بانتظار جوابكم، الجواب، الجواب الجواب... زينب».

في اليوم التالي، حينما أفرغ ساعي البريد صندوق حارتنا
كانت رسالتي ذات الأسطر المكدودة من جملة ما فيه من رسائل.
كتبت لها:

السيدة الفاضلة زينب خانم!

قرأت الرسالة التي بعثت بها، لكنني لم أفهم بالضبط من الذي تقصدينه من «السيد برهان بور»، إن كان قصدك أحمد برهان فهو يدرس حالياً في الصف الأول الابتدائي ولا شأن له بهذه الأمور، وأنا والده... ولا أعزب غيره في البيت!

أبلغني سلامي للوالد والوالدة... (قربان علي برهان بور)

على فكرة نسيت القول إنني بعد شهرين من نقلي إلى الجنوب تعرفت على فتاة شيرازية سوداء الشعر والعينين، لم يكن لديها أي تحفظ على أصدقائي أو مظهري أو تأخر عودتي إلى المنزل، ولم تطالب بمنزل وسيارة وراتب ضخمة أو قطعة عقار لمهرها... فضلاً عن هذا كانت بارعة في الطبخ وأعمال المنزل... والأهم من كل هذا أن والديها لم يكونا لا «آقا بالا خان» ولا «زرين خانم».

جمال ميرصادقي Jamal Mirsadeghi

قاص وروائي وباحث أدبي، ولد في طهران سنة ١٩٣٣، درس الأدب الفارسي في طهران وعمل لسنوات طويلة معلما وأميناً لمكتبة الجامعة. أصدر العديد من الكتب، أربعة منها روايات والبقية مجاميع قصصية.

يلاحظ في ملفه أيضاً إنجازاته بحوثاً حول عناصر الأدب القصصي وترجمات وكتب للأطفال. ترجمت بعض قصصه إلى اللغات الإنجليزية والألمانية والروسية والهندية والهنغارية والعربية.

من أعماله: مسافرو الليل، عيناى أنا المتعب، لا أنس ولا صوت، الفزع، وغيرها.

المحرقة

دخلت المخبز، امرأة كانت تخرج منه مع طفلتها:
أسرعي يا بنيتي لا تحترقي. الشمس كأنها تتور خباز.
الدكان مزدحم. امرأة عجوز تصرخ. قال لها رجل ملتج:
ما وراءك؟ وأنا مثلك أريد قرصين فقط، مالك تضجين هكذا؟
أمسك قميصه من جيبه وراح يهفzf على نفسه.
ياله من حر عجيب، يكاد المرء يشتعل من الحر.
قال العامل على الميزان: وما نقول نحن إذن... نقف أمام
الفرن من الصباح إلى المساء.
مسح الأسطى عرق جبهته بظاهر ساعده العاري وقال: خذي
هذا وذهبي.
لا تضجي هكذا.
قال الرجل الملتحي: أنتم اعتدتم على هذا.
قال عامل الميزان: اعتدنا على ماذا؟ جلودنا تتساقط يا رجل.
أيمكن أن يعتاد الإنسان على النار؟
قلت: الحر شديد هذه السنة. قال الملتحي: نعم ياله من زمان.
ذلك من شتائها. وهذا من صيفها. وكأن الإنسان يجب ألا يذوق
طعم الراحة. إما أن يرتدي عدة ثياب على بعضها لكي لا يرتعد
وإما أن ينزعها كلها لكي لا يحترق. ما إن تبدأ الفرحة من عدم
الارتعاد، حتى تجد نفسك تحترق. إما أن يرتعد أو يحترق. ياله
من زمن.

رجل نحيل القوام يقف بجانب عامل الميزان وتلوح عليه

سيماء الحكمة، أقحم نفسه في النقاش دون أن يحول أحداقه إلينا: الإنسان يحترق دوماً.

قال الملتحي: في الشتاء يرتعد الإنسان، وفي الصيف يحترق. مسح الرجل النحيل حبات العرق عن وجهه وقال: حتى في الشتاء يحترق. دائماً يحترق.

قلتُ: كلام أخينا لهوجه من الصحة. ليس اعتباطاً قول الناس نارُ البرد.

قال الملتحي: نار البرد تختلف عن نار الحر. يا أخي تلك... قطع الرجل النحيل كلامه: لا فرق بينهما أبداً. الإنسان يحترق. يحترق دائماً...

صاح الأسطى: سيد عبد الله كم قرصاً تريد؟

قال الرجل النحيل: نار... نا... سته...

قال الرجل الملتحي: الفرق بينهما كبير يا سيدي. في الصقيع حينما يرتجف الإنسان لا يمكن القول إن...

قصَّ الرجل كلامه مرة أخرى: يحترق دائماً، في الصقيع، في الحر، صيفاً، شتاءً، ربيعاً، خريفاً. دائماً يحترق. دائماً...

رفع الرجل الملتحي كتفيه: لا بأس، لك أن تفترض كما شئت لكنهم إن سألوني أنا فسأقول...

أخذ الرجل النحيل أقراص الخبز من الأسطة وألقاها على اللوح الخشبي. انتزع عنها الحصى الساخن ورماه على أرض المخبز بعنف وهو يزار: (*)

(*) هذا النوع من الخبز يُسمى «سنككي»، وهو خبز الحصى في إيران. تفرش أرض التتور بالحصى وتمدد أقراص الخبز فوقه لذلك تبقى بعض الحصى عالقة بكل قرص حينما يستلمه الشراة، فينتزعونها في المخبز عادة ويرمونها أرضاً ليجمع الحصى تارة أخرى ويفسل ويعاد إلى التتور.

(دائماً دائماً يحترق)

طوى أقراص الخبز قبل أن تبرد ودسها تحت إبطه وقال:
سيد عباس، سجّلها في الحساب.

قال عامل الميزان:

«حسنًا يا سيد عبد الله. صحبتك السلامة»

امتدت نظرتة وراء الرجل النحيل وهو يخرج من الدكان
ليفوص في أنوار الشمس المحرقة.

قال الرجل الملتحي: أما أنا فأقول إن هناك فرقاً كبيراً...

قال عامل الميزان: المسكين توفيت زوجته عند المخاض وتركت
له أربعة أطفال صغار.

بيجن نجدي Bijan Najdi

ولد عام ١٩٤١ في مدينة لاهيجان (شمال إيران)، عمل لسنوات طويلة معلما في مسقط رأسه، وبعد ثلاثين عاما من الكتابة قرر أخيرا إصدار قصصه وقصائده. ولكن الأجل لم يمهله فقضى نحبه سنة ١٩٩٧ بعد إصابته بمرض عضال. صدرت له مجموعتان قصصيتان، وأخرى شعرية: النمرور التي راكضتني، وفازت بجائزة العام كأفضل مجموعة قصصية.

أخوات هذا الصيف
من هذه الشوارع مرة أخرى.
اعتبر النقاد أسلوبه فريدا من نوعه، وقد حقق سمعة مميزة في أروقة الأدب القصصي الإيراني بعد وفاته.

ضيف التراب

أنهى طاهر أغنيته في الحمام، وطفق يصفي لخير الماء.
نظر للماء وهو ينزل بقطرات مسرعة على ذراعيه النحيفتين.
رائحة الصابون تفوح من شعره. هواء مضرب يحوم حول رأس
الرجل العجوز. الماء كان يعانق طاهرا. حينما ألقى المنشفة
على عاتقيه شعر بأن شيئا من شيخوخته ألتصق بتلك المنشفة
الطويلة الحمراء، وأن روماتيزم أقدامه لم يعد يؤلمه. دس
وجهه في المنشفة ووقف عند باب الحمام إلى أن جزع من
البرد. وقف أمام مرآة الغرفة. رأى فيها أنه قد شاخ فعلا. في
المرآة، كان هناك جانب من مائدة الفطور ومنظر جانبي لوجه
مليحة. والسماور(*) كان يغلي بغرغرة في الغرفة، وبلا غرغرة
في المرآة، وبهذه كلها، كان طاهر ووجهه الملصق على المرآة
يشعران معا بالدفع.

قالت مليحة: إن كان الشباك مفتوحا فسوف تصاب بالبرد.
الجمعة كان خلف النافذة... بشبهه المذهل لكل جمع الشتاء.
أحد أسلاك الكهرباء انتفخ تحت سواد الطيور. ستائر الغرفة
منتصبة، ومدفأة الحطب تتأجج بصوت العصافير.
قعد طاهر قرب المائدة وشغل المذياع «... بإحدى عشرة درجة
أشد مناطق البلاد بردا».

رفع فتجان الشاي. أشاحت مليحة بوجهها نحو النافذة:
«اسمع، يبدو أن شيئا حدث في الخارج!»

(*) أداة لصنع الشاي متداولة في إيران.

للغرفة شرفة تطل على الشارع المعبّد الوحيد في القرية.
شرفة تروي لهم مرتين في الأسبوع أهازيج قطار مسرع. أغنية
تمر عبر النافذة وتموت عند كسر الجص في سقف الغرفة.
حينما لا يكون لطاهر رغبة في قراءة الصحف القديمة،
وروائح الأوراق البالية تصيبه بالغثيان، ومليحة لا يستفزها
شيء لأن تسرح من بين أسنانها الصناعية ترنيمة منسية للمغنية
«قمر» كانا يقصدان الشرفة ليسمعا صوت قطار لا يرى أبداً.

- ألسْتُ معك؟ انظر ما الذي حدث في الخارج.
أعاد الفنجان إلى المائدة وقام إلى الشرفة بضم ملؤه الخبز
والجبين. جماعة من الناس يتراكمون إلى نهاية الشارع.
قالت مليحة: ماذا هناك؟

في الستين من عمرها. نحيفة. على شفيتها انحناءة من اختنق
بعبيرته. ما عادت تستطيع استذكار آخر مرة حفّت زغب وجهها.
قال طاهر: لا أدري.

قالت مليحة: لعله جسد آخر!... لا بد أنهم عثروا على جسد
آخر.

حتى لو لم تقل مليحة «جسد آخر...» كانا سيتناولان
فطورهما باستضافة ذكرى يوم صيفي لزج، ويتجادلان على
اختيار هذا الاسم أو ذاك. يوم تخطت الشمس تخوم خراسان،
وتوقفت هنيئة عند مدينة «كنبد قابوس»، وانطلقت من هناك
إلى القرية لتتشر صباحاً حليبي اللون على حبل غسيل مليحة...
استيقظ طاهر في فراش مترع بشمس الأحد على موسيقى
يومية تعزفها مشية مليحة. كاد الباب الخشبي يفتح بأيدي

مليحة، وقد فُتِح. قالت مليحة قبل أن تضع الخبز على المائدة:
انهض يا طاهر، انهض.

قال طاهر: ماذا هناك؟

قالت مليحة: قالوا في المخبز إن هناك جثة تحت الجسر.

قال طاهر: ماذا تحت الجسر؟

قالت مليحة: ميت... الكل يذهبون للتفرج عليه، هيا انهض.
سارا نحو الجسر بلهفة، لم تستطع تسريع خطاهما العجوزة.
البعض وقفوا فوق الجسر يتفرجون إلى الأسفل. همهمة الناس
أدنى من حشدهم. نسائم تلقيح التوت تنهادر نحو أشجار
التوت. عدد من الشباب اليافعين جلسوا على حافة الجسر
وعلقوا أرجلهم المتذبذبة فوق الماء المتدفق. شرطة الجندرمة
تحلّقوا حول سيارة الجيب. قبل أن يصل العجوزان إلى الجسر
كان الجندرمة قد وضعوا الجثة في السيارة وانطلقوا.

سألت مليحة فتاة شابة: من كان يا ابنتي؟

قالت الفتاة: لم أعرف.

مليحة: هل كان شاباً؟

الفتاة: لم أعرف.

مليحة: ألم تري شيئاً؟

ابتعدت الشابة عن العجوزة.. أجاب رجل توكأ على سياج
الجسر: أنا رأيته. كان منتفخاً. كان مسودّ الجلد، كان طفلاً يا
أمّاه، كان صغيراً.

أمسك طاهر بعضد مليحة. استدار الجسر والرجل والنهر
وغابوا معا عن أحداق مليحة. ولم يبق من سيارة الجيب في

البعيد سوى شبح غامض.

ذلك الرجل قال لي يا أماء، هل سمعت يا طاهر؟ قال لي...
انحدرت الشمس، رسم العرق مثلثا صغيرا على قفا قميص
طاهر. قالت مليحة: أين سيذهبون بذلك الطفل الآن؟ هل قتلوه؟
وربما ذهب للعب بالماء وإذا به...

عادت نسائم تلقيح التوت دون أن تجد لها شجرة توت، وها
هي الآن تذبذب الملاءة على صدر مليحة.

قالت مليحة: لم أعرف كم عمره! امسك يدي يا طاهر.

قال طاهر: هل تريدان أن نقعد للحظة؟

ليت إحدى الأشجار كانت ابنا لطاهر (تخطرت مليحة)

قالت: اسأل أحدا أين ذهبوا به؟

قال طاهر: إلى المخفر طبعاً، أو المستوصف...

- ليتني أستطيع أن أراه (قالت مليحة).

قال طاهر: ماذا ترين؟ إنه طفل فقط.

قالت مليحة: نعم، وأنا أقصد الطفل.

قال طاهر: هل نذهب عند ياوري؟

باب المستوصف كان مفتوحاً. عدة شتلات صنوبر اصطفت

حتى ممر البناية. كانت يابسة لا يُرى الصيف حولها. صافح

الدكتور ياوري طاهراً وسأل مليحة: هل تتناولين أقراصك

بانتظام؟

قالت مليحة: نعم.

سأل الدكتور طاهراً: هل تنامُ ليايلها جيداً؟

قالت مليحة: دكتور، عثروا على طفل، هل سمعت به؟

قال الدكتور: نعم.

قالت مليحة: أين هو الآن؟

قال الدكتور: وضعوه في المخزن.

قالت مليحة: في المخزن؟ الطفل؟ وضعوه في المخزن؟

قال الدكتور: إننا لا نمتلك برادا للجثث هنا.

قالت مليحة: ثم ماذا يفعلون به؟

قال الدكتور: ينتظرون حتى الغد. إن لم يأت أحد ليسأل عنه

فسيدفنتوه.

قالت مليحة: إن لم يأتوا، إن لم يأت أحد وراءه هل تعطونه

لنا؟

قال الدكتور: ماذا؟

قال طاهر: يعطوننا الطفل؟ ولماذا يعطوننا الطفل؟

قالت مليحة: لندفنه، ندفنه بأنفسنا. ثم قد نستطيع أن

نحبه. بل الآن أيضا، يبدو، يبدو أنني أحبه.

دست نفسها في ملاعنها، وتحررت الدموع التي حبستها

من الجسر إلى المركز الطبي. اهتزت الملاة على أكتافها وتبلل

الجزء الذي يغطي وجهها.

ملأ طاهر قدحا من الماء. مدد الدكتور مليحة على سرير

خشبي. إبرة دقيقة غُرزت تحت جلد يدها. سقطت قطعة قطن

عليها بعض الدم في سلة صغيرة تحت السرير، ولم تفتح مليحة

عينها حتى غروب ذلك اليوم، إلى ما بعد عدم مجيء القطار،

ولم تتفوه حتى بكلمة واحدة.

إنه الجمعة. ستائر الغرفة، والمدفأة تتوهج بصوت العصافير.

شتاء أبيض خلف النافذة يزجي بردهُ المشاغب.
قالت مليحة: كل هذه الأسماء، ولا من نتيجة.
قال طاهر: سنجد له اسما في النهاية.
قالت مليحة: إن لم نستطع في اليوم نفسه فلن نستطيع أبدا،
أي يوم كان
يا طاهر؟

قال طاهر: يوم ذهبنا إلى الجسر؟
قالت مليحة: كلا، اليوم الذي بعده ذهبنا إلى المستوصف.
في اليوم التالي، لم يأت أحد ليسأل عن الجسد، يوم الاثنين
لفوه في قماش خام وأخذوه بزنبيل من المستوصف إلى المقبرة.
خارج فناء المستوصف وقف طاهر ومليحة من دون أن يرتديا
السواد. تحت سماء لا تطلق سراح الشمس من وراء الغيوم،
ولا تبعث رسل الأمطار إلى البشر. الزنبيل يستبدله من يد إلى
يد أحيانا، ويضعه على الأرض أحيانا، ويركزه على جذع شجرة
مقطوعة أحيانا أخرى. استداروا حول ساحة القرية الصغيرة
ودخلوا الشارع الوحيد فيها. أمام المقهى وضع الرجل الزنبيل
لصق عمود كهربائي وقف بطول شجرة فارعة من دون أن يكون
له أدنى شبه بالشجرة. سكب صاحب المقهى الماء من الدلو. غسل
الرجل يديه ثم وقف وشرب قدحا من الحليب الساخن. أشاحت
مليحة بوجهها ومرت بالقرب من الزنبيل... شعرت بأن شيئا
يرشح من صدرها إلى ثوبها. خفف طاهر وقع خطواته. وقفا
أمام منزلهما حتى يصل الرجل ويتقدمهما فيصونا بذلك حرمة
التشييع الصامت. بل إنهما وقفا ورمقا شرفة البيت. ما زالت

نافذتها مشرعة بانتظار صوت القطار، وفيها مليحة شابة انحنت لتسقي المزهريّة. حينما رفعت رأسها كانت مليحة عجوزا تتضد مزهريات خاوية على بعضها. أزاحت الستار فبانّت بقوام بضّ وشعر كث تراخت خصلاته السوداء على كتفيها. مشّت مليحة خلف المطر بوجه ممتقع صغير وشعر مخضب هطل المطر بزخات عدة ودخل الرجل المقبرة يحمل الزنبيل. طاهر وزوجته يمشيان فوق العشب بين الأحجار من مغسل الأموات. مراسم الدفن بدت رمادية متربة، وقد طالت حتى تهالك العجوزان على العشب البليل. حينما غادر حفار القبور، كان صوت المسحاة لايزال يوافي الآذان. قال طاهر: انهضي لنذهب، هيا... قالت مليحة: ساعدني لأنهض.

التصقّا ببعضهما. لا يدري من يراها أيهما ساعد الآخر. ما إن نهضا حتى قالت مليحة: إنه لنا منذ هذه اللحظة، أليس كذلك؟ الآن لدينا طفل مي... حفت بهما شواهد احتضنت أسماء وتواريخ ولادة و..

قالت مليحة: علينا أن نصنع له شاهدا.

قال طاهر: لا بأس

قالت مليحة: علينا أن نختار له اسما.

قال طاهر:

قالت مليحة: كان يوم الجمعة. مدفأة الحطب تشتعل بصوت العصافير، ومن الشرفة يوافي صوت همهمة الناس وهم يعودون من آخر الشارع. ضجيجهم حرم طاهر ومليحة من سماع أهازيج القطار تقترب وتأي.

مصطفى مستور Mostafa Mastoor

ولد سنة ١٩٦٤ في مدينة الأهواز (غرب إيران) وهو مهندس مدني يعمل باختصاصه الهندسي، لكنه حائز في الوقت ذاته شهادة الماجستير في اللغة والأدب الفارسي. خاض في عالم الكتابة سنة ١٩٩٠م وظهرت له أعمال عديدة في التأليف والترجمة، وقد نال عدة جوائز أدبية. أبرز نتاجاته رواية «قَبْلُ وجه الله المقمر» التي أعيد طبعها سبع مرات خلال أربعة أعوام، تم اختيارها قبل سنتين كأفضل رواية لنيل جائزة القلم الذهبي.

من أعماله الأخرى:

الحب على الأرصفة، مجموعة قصصية، ١٩٩٧

مرتكزات القصة القصيرة، بحث أدبي، ٢٠٠٠

الفاصلة وقصص أخرى، ترجمة قصص كارفر، ٢٠٠١

الظروف وقصص أخرى، ترجمة قصص كارفر، ٢٠٠٣

عدة روايات معتبرة، قصص قصيرة، ٢٠٠٤

وتطبع له حالياً رواية أخرى عنوانها «عظام الخنزير والأيدي

المجنومة».

المجزرة

إنني لا أجيد السحر. لم أفعل إلا أن مددت روعي الكبيرة
الثقيلة. إنني لا أجيد السحر. قلت إنك أصبحت شتاء، ورق
قلبي لك، فسحبت روعي التي غدت كبيرة وثقيلة عليك
كالعباءة، ولهجت بأذكار الحب إلى أن دب إليك الدفء. إنني
لا أجيد السحر. أنفاسك كانت قد تقطعت وروحي كانت تخفق
بأنفاسك. قلت إنني أحبك فلم تعودي تتنفسين، وتوقفت روعي
عن الخفقان. قلت لنفسي لعلني قتلتك أو قد أكون أنا المديت،
لذا حسرتُ روعي عنك، لكنك لم تكن تحتها. كنت قد اختفيت.
قلت لكأنني لا أجيد السحر.

حضرة المحترم السيد يوسف سرمدي، الكاتب والفنان
الإيراني القدير...

بعد التحية والاحترام...

لا أزال أعيش الهياج والبهجة لأنني استطعت قبل أسبوعين
أن أرى عن قرب كاتباً وأتعرف عليه. قلت لكل زميلاتي في
الصف إنني حينما عدت بصحبة عائلتي من مدينة مشهد إلى
طهران كنت معك في مقصورة واحدة بالقطار. أيا كان، أرجو
أن توفق دوماً في حياتك، وأن تستطيع إتمام الرواية التي
ذكرت في القطار أنك بدأت كتابتها، بأسرع ما يمكن.

الحقيقة أن سبب كتابة هذه الرسالة هو أن أطلب منك كتاباً أرجو أن يكون متوافراً في مكتبتك الشخصية. قال أستاذنا إننا حتى نهاية الفصل الدراسي يجب أن نعد قراءة نقدية تحليلية حول قصص قصيرة منشورة في كتاب عنوانه «حسرات رسام الشارع رقم ٤٨» تأليف جروم ديفيد ساليانجر. بحثت عنه في كل المكتبات هنا فلم أجده. اتصلت الأسبوع الفائت بأخي يونس، يدرس في جامعة طهران، ليبحث لي عن هذا الكتاب في طهران، لكنه هاتفني بعد أيام ليقول لي إنه سأل كل المكتبات المواجهة لجامعة طهران من دون أن يعثر للكتاب على أثر. يقول أخي إن أحد أصحاب المكتبات قال له لا تبحث عن هذا الكتاب لأنه طبع قبل عشرة أعوام وقد نفذ.

فجأة خطرت أنت ببالي، أردت أن اكتب لك هذه الرسالة الأسبوع الماضي، لكنني لم أكن أعلم أين وضع أبي عنوانك بعد أن سجله على علبة سجائره. وقد عثرت عليه أمس في طيات مفكرته الصغيرة. على كل حال أتمنى أن تمتلك الكتاب.

أكرر احتراماتي

مونس فردوس

شيراز، ١٩٩٥/١٠/٤

حضرة السيد يوسف سرمدي، الكاتب والفنان العزيز
أشكرك جزيل الشكر على ارسالك كتاب «حسرات رسام
الشارع رقم ٤٨»، ساعي البريد جاءني صباح اليوم بالكتاب.
سأحاول قراءته بسرعة وإعادته إليك. ماذا عن الرواية التي قلت
إنك أنهيت ثلثها؟ هل يسعني أن أعرف اسمها؟

مونس فردوس

شيراز، ١١/١٠/١٩٩٥

حضرة السيد يوسف سرمدي، الكاتب والفنان العزيز
اعتذر لأنني سأخذ شيئاً من وقتك الثمين مرة أخرى،
الحقيقة أن استيعاب قصص ساليانجر بدا صعباً بالنسبة إلي
ولباقي الطلبة، وأستاذ الأدب لا يجيب عن أسئلتنا بل يقول إن
هذا عمل بحثي، عليكم أن تذللوا صعابه بأنفسكم. معظم الذين
أعرفهم في شيراز لم يسمعوا حتى باسم ساليانجر، فضلاً عن
قدرتهم على فهم المُشكِـل من قصصه. في كل الأحوال أبعث إليك
جملة من الأسئلة مع هذه الرسالة، وأتمنى أن أحظى كالسابق
بمساعدتك وعونك.

م. فردوس

شيراز، ٢٥/١٠/١٩٩٥

الآنسة مونس فردوس المحترمة

بعد التحية

تسلمت أسئلتك حول قصص ساليانجر. وقد بعثت الإجابات
طلي هذه الرسالة، لم أكن قد قرأت قصص ساليانجر منذ أمد
بعيد، لكن أسئلتك شجعتني على اقتناء نسخة من الكتاب من
المكتبة الوطنية، وقراءة قصصه مرة أخرى. على كل حال، أنا
دوما على استعداد لمساعدة آنسة محبة للأدب مثلك.

اسم الرواية التي أعمل على إتمامها «أسبح في عينيك، أموت
في يديك»، مضمونها ملابسات استحالة الحب إلى كراهية.
شخصيتها الأولى شاعر يفقد توازنه النفسي بسبب تعرضه
لعنف مريع فجائي. ينقلب من شاعر تطفح أشعاره بالحب
والعاطفة إلى مجرم محترف. أتمنى أن أستطيع إتمام الرواية
في خريف العام المقبل طبقا للبرنامج المرسوم وحسب العقد
الذي وقعته مع الناشر.

مع تمنياتي لك بالتوفيق

يوسف سرمدى

طهران، ١٩٩٥/١٠/٣٠

حضرة السيد سرمدي

بعد التحية، برؤية خطك تجددت لدي ذكريات الصيف الطيبة، ولاسيما الطريق الذي قطعناه في جناح القطار من مشهد إلى طهران. استمتعت بإجاباتك القصيرة والدقيقة في الوقت ذاته. أيا كان، سررت جدا لما جاء في الرسالة من سماحك لي بمواصلة المراسلة. هل من الممكن أن أبعث لك رسالة بين الحين والآخر، وأعرض معها كتاباتي عليك؟ أريد أن أستثمر هذه الفرصة التي سنحت لي إلى أقصى حد ممكن.

المحبة لقصصك

مونس

١٩٩٥/١١/٥

حضرة السيد سرمدي

تحية وسلام

انتظرت إجابتك فترة من الزمن ولكن لم يصلني شيء. للأسف، كنت قد اعتذرت في غرفة القطار عن إعطاء رقم هاتفك، لهذا أراني مضطرة لمتابعة اتصالي بك عن طريق الرسائل. سلمت رسالتي السابقة قبل ١٤ يوما أي بتاريخ ١١/٥ / ١٩٩٥. كنت قد سألتك فيها هل من الممكن أن أبعث لك بعض كتاباتي لتبدي رأيك فيها؟

على كل حال، حيث إن جوابا منك لم يصل، أبعث لك هذه

الرسالة مع نموذج من كتاباتي بعنوان «خاطرة صيفية» تتعلق بلقائنا في القطار، أرجو أن تبعث إلي تقييمك لها إن أمكن ذلك.

خاطرة صيفية

في المدرسة التي كنتُ فيها، كان أول موضوع للإنشاء يطلبونه منا أول الخريف هو: كيف قضيت فصل الصيف؟ معظم الطلبة كانوا يكتبون صدقا أو كذبا أنهم سافروا، ويبدأون بشرح تفاصيل سفراتهم وأحداثها. كتابات أغلب الطلبة كانت تشبه بعضها. والواقع أن كتابات كل سنة كانت تشبه بعضها. ومع أن سنوات طوالا مضت على ذلك العهد، غير أنني أشعر لأول مرة بأنني تواقّة من أعماق قلبي لأن أكتب ذكرياتي عن عطلة الصيف. الواقع أن ما حدث لي الصيف الماضي لم يختلف عن السنوات الماضية إلا في شيء واحد، شيء بسيط جدا، إنه لقائي بأحد الكتاب المغمورين في بلادنا خلال عودتنا بالقطار من مدينة مشهد إلى طهران، حينما دخلت مقصورة القطار ووقعت عيني على شاب دون الثلاثين يقرأ صحيفة، هبط له قلبي بشكل عفوي. شعرت بأنني أعرفه منذ سنوات طوال. لم أكن قد سمعت باسمه من قبل إطلاقا، لأنه لم يكن كاتباً مشهوراً، طبع له كتاب واحد فقط، ويعكف الآن على وضع اللمسات الأخيرة لكتابه الثاني. تحدثنا ساعات عن الحياة، والدين، والفن، والمفاهيم الإنسانية الرئيسية كالحب، والحزن، والتوحد. كلماته كانت تخترق قلبي بقوة عجيبة. شعرت بأنه يعبر عن أفكاره، وأحاسيسي، وطموحاتي بأفضل ما يمكن.

شفني الوجد لمشتركاتنا الروحية، كلماته كأنها مطر تساقط
على صحراء روعي الجرداء. شعرت بأنني أذوق لأول مرة
في حياتي لغة روحية جد مركزة. لذة توقفت مع توقف القطار
في آخر محطة.

مونس

١٩٩٥/١١/١٩

السيد سرمدي
تحية طيبة

بعثت لك منذ أسبوعين بإحدى كتاباتي، ولم أتسلم منك أي
جواب. فؤادي يغلي كالأتون، ربما ساءت كتابتك تلك الخاطرة،
هل ترانسي أخطأت؟ إنك أنت تلك الرسالة، إذا أغضبتك فانا
أسفة جدا واستميتك العذر. أرجوك أن تجيبني عن رسالتي
هذه وإن ببضعة سطور عسى أن أتحلل من القلق. أنتظر جوابك
بفارغ الصبر.

مونس

١٩٩٥/١٢/٣

السيد سرمدي
سلام عليكم

منذ ٤٢ يوما بالضبط لم أتسلم منك أي رسالة. لعل هذه
الرسالة الأخيرة التي أكتبها إليك. إن لم ترغب في مراسلتي
فلا أستطيع إجبارك على ذلك. لكنني أستطيع أن أبوح لك بسر،

ربما كان سماعه ثقيلا عليك بعض الشيء، لكنه سيخفف عني
أعباء كالجبال. هل حدث لك أن أحببت شخصا من أول نظرة
ألقيتها عليه؟ تماما في اللحظة التي رأيته بها في القطار،
ضجّ فؤادي بصخب مروع، كأني أضعت عزيزا منذ أمد طويل
وعثرت عليه الآن. قد لا تصدق، لكنني منذ أن رأيته ولحد
الآن لم أستطع نسيانك حتى لحظة واحدة. للأسف، أكاد أنسى
ملامح وجهك شيئا فشيئا، بيد أن صوتك لا يزال مدويا في
مسامعي. ربما كنت قد فطنت بدورك إلى أن كتاب ساليانجر
وتلك الاسئلة لم تكن إلا ذريعة للاتصال بك. التعرف عليك كان
فرصة وهدية من الله بها علي. أتمنى عليك ألا تبخل عليّ بهذه
الهدية.

مُحبتك مونس

١٩٩٥/١٢/١٥

تحية طيبة يا مونس

ليست كل خاطرة خاطرة، ولا كل ألم ألما ما لم يكْمَش
الروح كالورقة. على الخاطرة أن تكون لها روح لكي تبقى حية.
عليها أن تكون لها روح لتبقى خالدة إلى الأبد. على الخاطرة
أن تحرق وتحيل إلى رماد كما فعلت بي رسالتك.
بعد لقاءك والتحدث إليك في ذلك القطار اللعين - وليت
ذلك لم يحدث أبدا - اعتراني أنا أيضا شعور غريب. في

البداية ظننته ضرباً من الضيق النفسي الطبيعي الذي يزول مع الوقت. تصورته من تلك المشاعر العابرة التي ينسفها مرور الوقت. حاولتُ أن أنساك، حاولت أن أدس رأسي في الكتب والصحف عسى أن أنسى تلك الساعات التي يبدو أنها تجمدت في دماغي، ولكن دون جدوى. ماذا كان في وجهك البريء حتى اختطف معه قلبي هكذا؟ ماذا كان في عينيك الغريبتين حتى سحرتاني في تلك الغرفة اللعينة وفصلتا روحي عن جسدي وأخذتاها معهما إلى شيراز؟ تلاحظين أن حالي ليس أفضل من حالك. الشعلة التي اندلعت في مقصورة القطار شب لهيبها في صدري أيضاً. لا أرغب في أن تستمر هذه الحال. فقدت خطيبتني في حادث سير قبل عامين، ولا أريد، أي أنني لا أستطيع أن أخوض بعدها تجربة حب ثانية. كأن هاتفا يقول لي إن خاتمة هذا الحب مهما كانت فلن تكون وصالاً. شعور غامض يهيب بي أن أقلع عن هذا الحب. علي الآن تحديداً أن أترك هذا الحب الغريب اللامفهوم. ربما استطعت في وقت لاحق أن أكتب عن هذه التجربة ولكن ليس الآن. يلوح لي أن احتمال أعباء هذا الحب فوق طاقتي.

يوسف

١٩٩٥/١٢/٢٢

تحية طيبة يا يوسف

أود أن أجهش بالبكاء. تستبد بي الرغبة في أن أخرج إلى
صحن الدار، أقف تحت شجرة النارنج وأصرخ بأعلى صوتي.
كأن شيئاً تحول في حلقومي حجراً، ولا يخرج إلا بالصراخ. أريد
أن أخبر الجميع أنني أعشق إنساناً لا أعرف شكله بوضوح.
حينما أطلع دروسي، أخط اسمك دون شعور في أطراف
صفحات كتبي ودفاتري. الله كم أحبك يا يوسف. لو علم
أبي أنني أكتب هذه السطور إليك، لو علم أنني عشقتُ...
ويلاه.. كلا.

يوسف، لا تطلب مني أن أنساك، لا تطلب مني أن أكون
مونس التي كانت قبل رؤيتك. أعلم جيداً أن هذا ليس حبا
بسيطاً. أشعر بكل خلايا جسمي أنني عشقتُ روحك، روحك
القريبة الكبيرة. أتوسل إليك ألا تتركني وحدي. لن أتركك
وحدك أبداً.

أحبك، مونس

١٩٩٥/١٢/٢٩

تحية طيبة يا مونس

مونس، مونس، مونس، مونس... أود أن أملأ الرسالة كلها بهذا الاسم العزيز الزاخر بالعاطفة، فكلما كررته أكثر همت به أكثر، كأن هذا الاسم يطرق مسامعي لأول مرة. يا له من اسم طافح بالمعاني! أحب أن ألهج بحروفه على عدد اللحظات. أحب أن أكتب حروفه واحدا واحدا وأسمّر العين عليها: مونس. كتبت قصة اسم بطلتها مونس. انفجرت القصة في أعماقي فجأة، ولم أفعل سوى أن دونتها. والآن أشعر بأنك ستظلين خالدة في ثايا كلماتها. ألا يكفي هذا؟ أبعث لك القصة مع هذه الرسالة. أتمنى أن تروق لك.

نسيت ملامح وجهك تقريبا. مونس الآن بالنسبة إلي هي كل الوجوه، وليس أيّا منها. أحيل كل وجه جميل إليها من دون أن أعلم من أنت وما أنت. هذا الجهل هو الذي يجعل هذا الحب مفرعا بالنسبة إلي. الشيء الوحيد الذي أشعره من أعماق الروح هو أن عليّ إنهاءه بأسرع ما يمكن. أود أن أنهيه وهو في هذه الذروة والجمال والظهر. أعلم أننا إذا تقدمنا خطوة واحدة إلى الأمام فسنخسر كل طهارة هذا الحب وصدقته. أدري أنها مهمة عسيرة. عسيرة على كلينا ولكن يجب أن ننهينا.

أحبك، يوسف

١٩٩٦/١/٤

تحية طيبة يا يوسف

ربما كان هذا قدرني أن أعشق من لا يريد أن يعشقني،
إن كنت أنت الذي تريد هذا، إن كان هذا ما ترغبه حقاً، فلا
مانع لدي. سأحاول، لأنك أنت الذي تريد إنهاء كل شيء.
ربما كان بوسع وداع بسيط أن يختم كل شيء. التحدث بهذا
يسيراً طبعاً. إن كان المقرر أن ينتهي الأمر إلى هذه الخاتمة
فلماذا بدأ أصلاً؟ ليتنا لم نر بعضنا منذ البداية. ليت ذلك
الأربعاء ما كان. أي حدث هذا الذي وقع لنا؟ حينما لا أفكر
فيك كأنما أضعت شيئاً، وحينما أفكر فيك كأن غصة تعلق
في حنجرتي. البارحة خرجت إلى صحن الدار تحت المطر،
كنت ألهج باسمك مع نفسي. أبتل شادري حتى كأنه نُقِعَ في
حوض الماء. عنَّ لي أنني سأموت ولن تسمع أنت بالخبر. ماذا
لو تزوجتُ رجلاً آخر؟ ليتني أستطيع ألا أحبك. ليت طوفانا
يهب ويأخذ معه كل شيء.

مونستك

١٩٩٦/١/١٠

سلاما يا مونستي..

هذا أفضل، وأجمل، وأعظم، وأرق، وأشف، وأعشق، وأحزن شيء قرأته في حياتي. حتى لو لم تكوني قد كتبت لي أي شيء من قبل، فحسبي هذه إلى الأبد، أمتلئ بقراءتها من محبتك. أمتلئ بمعاني الوداد الطاهرة. هذه أقرب كتاباتك مني. كأني أنا الذي انتقيت كلماتها بمنتهى الدقة، صقلتها، جلوتها وكتبتها. حتى لو كانت هذه نقطة النهاية لكل ما كان بيننا، فهذه أبهى وأجل نهاية يمكن أن تكتب لأي حب طاهر. كلماتها مقدسة بالنسبة إلي لدرجة أنني لا ألمسها من دون وضوء.

مونستي، هذه آخر رسائلي. سأتركك، بيد أن منزلي يحمل أريجك. أكذب لو قلت أنني أطيق فراقك. أريد أن أرويكَ في قصة. أريد أن أرويكَ كلَّك بأي أسلوب تحبين، متكلم، حكيم علام بكل شيء، أو أي نمط آخر. قصصي الآن مفعمة بعطر روحك. أنك أنفَس فكرة كلما أمعنتُ في كتابتها ازدادت جوانبها غير المطروقة. لقد حرتُ في روايتك. كأنك أنتِ التي تكتبين القصة لا أنا. تأخذينها حيث تشائين، وتفرقين نهايتها بالأحزان. تظهرين دائماً وسط سجال الشخصيات في القصة، ثم تعقدين نظرتك في عيني مباشرة، وفي غمرة ذلك الضجيج حيث لا يسمع أحد صوت الآخر، تقولين وأنتِ تبترسمين: أحبك، أحبك. وفجأة تنتهي القصة.

أحبك إلى الأبد، يوسف

١٩٩٦/١/١٧

تحية طيبة يا يوسف

صباح اليوم أحرقتُ رسائلِك. خوفاً من والدي. حفظتها من كثرة ما قرأتها. لن أنساك أبداً. أمس أخبرت أُمي بالموضوع، فقالت لي إن الحق معك، الأفضل أن ينتهي هذا الحب المتزلزل الأركان. قالت إن الحب في عائلتنا عار على الفتاة. ماذا لو علم أبوك بالأمر؟ عاهدت والدتي أن أختم المسألة، لكنني لا أدري إن كنت أستطيع أم لا. أتلفُ إن شئت الرسائل التي بعثتها إليك. سأبقى أحبك إلى الأبد، مونس

١٩٩٦/١/٢٤

حضرة السيد يوسف سرمدي، الكاتب والفنان العزيز

بعد التحية وتمنياتي لك بالتوفيق

أرجو أن تكون دوماً بصحة وسلامة، حصلت على عنوانك من ناشر كتبك السيد كامياب. قال إن أخبارك مقطوعة عنه منذ فترة طويلة ويرجو ألا يكون عنوانك قد تغير. أوصى والدي بأن أكتب إليك هذه السطور مع بطاقة الدعوة للعرس وأدعو حضرتك للمشاركة في مراسم عرسِي. تقام المراسم في نادي (مهر) بشيراز على العنوان المدرج أسفل الرسالة. بعثت إليك مع الرسالة بطاقة ذهاب وإياب. لا ريب أن حضورك سيكون مدعاة فخر واعتزاز لي ولعائلة فردوس.

مع الشكر الجزيل - مونس فردوس

شيراز، ١٩٩٩/٤/٢٢

السيدة المحترمة مونس فردوس

تحية طيبة

أعطاني الدكتور كيمرام أمس رسالتك. كنا واقفين في
طابور الحمام حينما وضع كيمرام الرسالة في جيب قميصي.
يقول كيمرام إذا لم نأخذ دُشًا فإن شياطين رؤوسنا تبدأ
بالعريضة. يقول إن سبب معاناتنا هي عريضة الشياطين. في
الليل نسمع صوت القطار.. تي كوب تي كوب.. تي كوب تي
كوب...

لا أزال أتذكرك كلما سحبت فتاة خمار رأسها إلى الأمام.
كلما ضحك إنسان انفتح في خديه انبعاجان صغيران. تذكرت
خديك. حينما تستعمل السيدة الممرضة من نفس العطر
الذي كنت تستعملينه، أتذكرك. قال كيمرام: «تحرك... واحد
اثنان... واحد اثنان... واحد اثنان...» دخلنا إلى الحمام.
أشكر وأشكر والدك الجليل على دعوتي. للأسف
لا أستطيع الحضور في مراسم عرسك. الدكتور السيد كيمرام
لا يسمح لأحد بالخروج من هنا. الدكتور كيمرام إنسان طيب
جدا. يعطينا كل يوم الشوكولاته والملبس. البارحة بكيْتُ لأن
القطار لم يأت...

يقول كيمرام إننا محمومون ورؤوسنا تؤلنا. يقول إن
الحمام والماء الساخن فقط يقتل الشياطين. يقول لأبد أن
نعمل مجزرة للشياطين حتى نستطيع النجاة. يقول يجب
ذبح كل شياطين رؤوسنا كما تذبح أغنام المسالخ. يقول فقط
حينما تذبح كلها، سوف نكون بحال جيدة ونستطيع الذهاب

حيث نشاء. يقول كيـمـرام: ربـما عادت حالنا جيدة بعد مائتي عام. على كل حال اطمئن أن تكوني دائماً سعيدة وموفقة في حياتك.

وقت الغروب - يوسف سرمدي

برويز دوائي Parviz Davaee

ولد برويز دوائي وترعرع في طهران. شرع بالكتابة منذ أوائل شبابه، فالتحق بلفيف كتاب الصحف الأسبوعية الصادرة في العاصمة الإيرانية، وأبدى ميولا واضحة نحو الكتابة السينمائية. صدرت معظم كتاباته وترجماته خلال تلك الفترة في صحف «نجوم السينما» و«الأبيض والأسود» وكان لها قراؤها المتابعون.

«الحديقة» عنوان قصة ومجموعة قصصية لبرويز دوائي صدرت عام ١٩٨١ في طهران وتضمنت أعماله التي أنجزها بين ١٩٧٥ و١٩٨١، ورغم أن النقاد لم يولوا هذا الإصدار أهمية تذكر، إلا أنه حظي بإقبال واسع من القراء وهواة السينما. من أعماله الأخرى بعد انتصار الثورة:

- قاموس المصطلحات السينمائية، تأليف، ١٩٨٥.
- السينما برواية هيتشكوك، فرانسوا تروفو، ترجمة، ١٩٨٦.
- فن السيناريو، يوجين اونيل، ترجمة، ١٩٨٦.
- عودة فارس، مجموعة قصصية، ٢٠٠١.
- الحورية الخضراء، مجموعة قصصية، ٢٠٠٤.

الحديقة

في البدء، كان شارع ترابي له على جانبيه ساقيتان عريضتان تجري فيهما الماء دوماً. نبتت الطحالب في مياههما. وعلى الجانبين أيضاً طابوران من الأشجار المترامية: أشجار الصنار، أشجار المرّان، والاقاقيا. تمددت أغصان الأشجار وظللت الشارع. ينظر المرء من بعيد، فيبدو الشارع دهليزا طويلا محاطا بالخضرة من كل جوانبه. عصر كل يوم يفسلون الشارع ببراميل ماء كبيرة. ترتفع المياه دلة دلة وتهبط على الأرض كالشلال. يثور التراب. تثار رائحة التراب. يتفرع عن الشارع زقاق يمتد إلى زقاق آخر اسمه شهاب أو سروش، مهما كان اسمه فأحد طرفيه مسدود، وطرفه الآخر يمتد إلى الزقاق الواقع خلف المسجد. أحد جانبي هذا الزقاق وهو طويل جدا لم يكن سوى الجدار المحيط بالحديقة. كان زقاقا معزولا مفروشا بالأحجار. ليس فيه دكاكين وأسواق. نادرا ما يمر فيه الناس. أوقات العصر، حينما تغلق المدارس أبوابها كنا نلعب هنا لعبة العجلات والأسلاك. جدار الحديقة كان مرتفعا. من طين وتبن. يرتفع عموديا شامخا إلى الأعلى. في الصيف حينما نمر بجواره كان الجو يبدو ألطف وأطيب.

تطل من فوق الجدار أغصان القوطة، والجوز، والصفصاف الباكلي، وأحيانا ورود بيضاء كبيرة. يحدث أن يصعد الأطفال على أكتاف بعضهم ليصلوا إلى أعلى الجدار. ذات مرة سقط حسين (حسين زقاق شيراز) من الأعلى وانكسر رأسه.

بيت زيبا (*) وعائلتها كان داخل الحديقة. ليس داخل الحديقة نفسها. كان للحديقة بوابة حديدية كبيرة ذات مصراعين، خلفها ممر عريض وقصير، ثم تأتي الحديقة بعده. بجوار هذا الممر، وفوق البوابة هنالك عدة غرف تسكنها عائلة زيبا. أحاطوا الغرف من داخل الحديقة بسور قصير يفصلها عن الحديقة، إلا أن الحديقة كانت بادية من شبابيك الطابق الثاني. كأنها القمح حين يخضر في موائد النيروز. كانت الحديقة شدة خضراء ارتفعت إلى السماء من دون أن يظهر أصلها على الأرض. فيها ألف نوع من الأشجار: التبريزية، وأشجار الصنار، والأرز وأشجار الفاكهة، التفاح، الكمثرى، الخوخ، الرمان، التين، العنب الكبير، التوت، الكرز، القوطة، التفاح. وسط الحديقة هناك حوض دائري كبير في وسطه نافورة تقذف مياهها إلى اخدود محيط بالحوض. نمت على الحوض أوراق عريضة لها أوراد بيضاء. الضفادع كانت تقف عليها وتتقنق، لكنها تقفز إلى الماء مع أي حركة حولها. عطر الزهور في صحن الدار يلعب برأس الإنسان أوقات العصر: ورود المحمدي، ورود الراسقي، ورود الآس. ثمة متسلقات صعدت الجدار إلى الصحن. ورودها صفراء تشبه الأجراس الصغيرة.

زيبا كانت زميلتي في المدرسة. أخوها صديق أخي. في البداية كنت أذهب إلى المدرسة التي كانت تذهب إليها شقيقتي. كانت مدرسة مختلطة. في آخر زقاق «درختي» بعد مسجد «سادات». أختي كانت في الصف الرابع. كنا نذهب ونعود سوياً.

(*) اسم فتاة فارسي بمعنى: جميلة.

لم أكن مجدا في الدراسة. لم أستطع التعلم مهما حاولت. خلطوا بين الطلاب الكسالى والطلاب المجدين لتحسن حال الكسالى ويتعلموا من زملائهم شيئا. كنت أجلس آخر الصف. طلبوا مني أن أذهب وأجلس بجوار زيبا في أول الصف.

لم أفعل ذلك أولا، قلت إنني مرتاح هنا. لكنني انتقلت بعد ذلك. فتحت كتابي. درسنا «المنجل - السلة». أملت عليّ زيبا. كتبتُ: ذلك الرجل لديه منجل. ذلك الرجل لديه سلة. لم أكن أجيد كتابة «ل». كنت أكتبه كمنقار طائر. كتبت له لي زيبا بخط فاتح جدا عدة مرات، وكتبت على كتابتها. بعد ذلك أمسكت بيدي وتحركت بها على مهل من الأعلى إلى الأسفل. كتبتُ «ل» كتبت منجل. كتبتُ ذلك الرجل لديه رمان في السلة. ثم قالت: اكتب بنفسك الآن. كتبتُ رمان. قالت اكتب منجل. قلت لها لأتعلم كتابة «رمان» أولا. ضحكت زيبا. حينما تضحك تصفر عيناها بشكل محبب. عيناها كانتا بُنيتين الصقت على كتابها صورا طباعية لارنب، وفراشة، وقطة صغيرة حمراء في عنقها جرس صغير. أريتها ريشة بيضاء في طيات كتابي. ريشتي كانت نائمة وسط الكتاب. لمستها زيبا برفق. ثم قالت يجب ألا نمسها لكي لا تستيقظ. أغلقنا الكتاب. كتبتُ سلة. كتبتُ ذلك الرجل. كتبت زيبا منجل. كانت ظفرت شعرها وشدت ظفائرها بشريط أحمر. سلة. رمان.

شقيق زيبا كان زميل شقيقي في الصف. عيناها مثل عيني زيبا. أوقات العصر كان يأتي مقابل بيتنا ينادي على أخي بالصغير. أنا وأخي نذهب عصر بعض الأيام إلى بيت زيبا. بابهم مستقل

عن باب الحديقة. كان بجوار باب الحديقة. كان هناك ممر ينعطف لينتهي إلى صحن الدار. ومن الجهة الأخرى يفضي إلى درجات تصعد إلى فوق حيث توجد غرفتان أو ثلاث.

إلى جانب الجدار في الصحن وضعوا سريرا يلقون فوقه تورا يقي من الحشرات في الأمسيات. مدوا سلكا ينتهي بمصباح فوق الحوض. أرضية الحوض مرصوفة بالكاشي الأزرق. مياهه صافية كدموع العذارى. في وسطه نافورة. في رأس النافورة كرة منضدة. وضعوا داخل الحوض شدات من الخس وتفاحا. نذهب أنا وزيبا عند الحوض. كنت أنقر في الماء لأثير صوته. قُلُّبُ قُلُّبُ. تتقدم السمكات على أثر الصوت. رصفوا في الأخدود المحيط بالحوض طابورا من الليموناد. ليموناد الكرز، ليموناد أبيض، ليموناد أصفر. في رأس بعض الليمونادات دوائر بلورية (تيله) من تلك التي نلعب بها. كانوا قد ألقوا تفاحا داخل الحوض. أمها كانت تقشر لنا الخيار. تقطع من الخيار قشورا سميكة. تشق كل خيارة أربعة أشطر وتضعها أمامنا.

زرعوا في حديقتهم الخضراوات. هنالك نوع من الورد اسمه «ورد الزعل» ينكمش حينما نرش عليه الماء. هنالك شجرة رمان تشققت رماناتها. حباتها تتلألأ تحت ضوء المصباح. جدة زيبا كانت لها شوارب. تتوضأ في الحوض. وتصلي على السرير. يغلبها النوم على سجادتها، فيمددون عباءة الصلاة عليها. شدت زيبا أرجوحة لدميتها في حديقتهم الصغيرة. اسم دميته السيدة فرخنده (*). عيناها زرقاوان. كنا نحمّر خديها بورد الشقائق.

(*) اسم نسوي فارسي بمعنى مباركة.

كان لي قلم خشبي نصفه أحمر ونصفه الثاني أزرق. نرسم به بيتا بمدخنة وشجرة.

في بيت زيبا قطعة بيضاء في عنقها شريط أحمر. ولدت لتوها. صفارها كانوا في زاوية المطبخ. أحيانا تأتي إلى حضن زيبا. نضع أيدينا على عينيها ونأتي لها بالحساء. تنام ويرتفع صوت شخيرها. لمتفتح عيون صفارها بعد. كانوا في المطبخ. كان لزيبا سماور وأكواب وصحون صغيرة. زرقاء اللون. بلون جفان شرب الماء. كانت تخدر الشاي. شايها كان باردا. تكسر لنا السكر الجامد حبات صغيرة نأكلها مع الشاي. ونأكلها أحيانا بلا شاي.

قد نصعد في بعض الأحيان إلى الطابق الثاني. الحديقة بادية من الشبابيك. الأشجار من الكثافة حتى إننا لا نرى لها نهاية. تمتد مع امتداد البصر. أشجار عالية، أشجار الحور، أشجار الصنار، كل أنواع الشجر. ما بين الأشجار كانت هناك حدائق وزهور، مئات الأنواع من الزهور بما لا يحصى من الألوان. ورد الجوري، ورد المحمدي، ورد الآس. بجانب الجدار من أقصاه إلى أقصاه شيدوا مشبكة خشبية للعنب. عناقيد العنب متدلّة منها كالمصابيح. صاحبها ينصب السلم أحيانا ويصعد ليقطف العناقيد بالمقص ويجمعها في سلّة. صاحبها كبير السن ناعم القوام نحيف الجسم. شعره كله أبيض. يلقي على كتفيه عباءة، وعلى عينيّه نظارات. ويتجول في الحديقة باستمرار. ينحني دائما في الحدائق الصغيرة ليقوم بشيء ما. يقتلع الأدغال. يقلم الأغصان. يمسك الورود أحيانا بين أصابعه ويشمها. يبدأ تجواله

في الحديقة من الصباح الباكر. كان له عدة دجاجات وديكة يتبعونه بأصواتهم أينما ذهب. في آخر الحديقة عدة غرف: له ولفلاح الحديقة ولعائلة الفلاح. يقولون إنه من الأعيان القدماء. أبناءه لا يعيشون معه. لهم بيوتهم في مكان آخر. لم يرغب في أن يعيش معهم. لم يستجب للإقامة عندهم رغم إلحاحهم. أبناءه يأتون لزيارته أحيانا. أحدهم ضابط له سيارة شخصية.

يطلقون الماء في الحدائق الصغيرة عصر كل يوم. أنا وزيبا نتفرج من الشباك. الرجل الكبير يأتي أحيانا ليجلس على حافة الحوض. يرش الماء على الأوراق والزهور. أحيانا يمد يده في الماء وينقر سطحه، تتقدم إلى الأمام. نضحك أنا وزيبا. يلتفت فنختبئ لكي لا يرانا. يبعث الزهور لبيت زيبا أوقات العصر: ورد الجوري، ورد الآس. نخيط أنا وزيبا ورود الآس ونصنع منها قلادة، تلبسها زيبا في عنقها. والدتها تضع الورد الجوري في مزهرية على المدفأة. في غرفتهم صورة مؤطرة لملاك جالس على أرجوحة. ذلك الرجل عنده منجل. كنت أكتب واجباتي في بيتهم أحيانا. بعدها نرسم مناظر للأشجار، والشمس، والقطعة. رسم القطعة كان صعبا. تبدو أحيانا كأنها خروف. بعد ذلك نجلس إلى الشباك ونقذف رسومنا في الهواء. حينما نترك الأوراق في الهواء تتحدر إلى الأسفل قليلا. ثم تهب النسائم أسفلها فترتفع وتطير إلى الأعلى وإلى الأعلى. تعلو حتى الأشجار. ترتفع وتبتعد إلى أن تغدو نقطة صغيرة كالخال. كان عندي قطعة بلور أنظر من خلالها لشيء فأراه فيها مائة شيء. نديرها فتتغير ألوانها. أعطيتها لزيبا. كانت لزيبا صفارة خشبية أعطتها لي.

حينما تهب الرياح نسمع حفيف الأشجار. كقصّة الغول الصحراوي التي ترويها جواهر. تدور الأوراق في الهواء وتتساقط إلى الأرض تتلوى عند أقدام الأشجار. أوراق صفراء، أوراق حمراء. يجمعها الفلاح في بعض الأيام بالمدراة. يصنع منها تلا ويحرقه. يتصاعد الدخان بين أغصان الأشجار. رائحته طيبة جدا. يستمر تساقط الأوراق. تتعري الأغصان. كانوا قد قطفوا الثمار. لم يبق منها إلا بعض التفاحات في الأعالي. كأشجار الحكايا القديمة تمتد كل يوم يد لتقطف ما تيسر منها.

أصبح الجو باردا أوقات العصر. تعذر الجلوس في الصحن. نقلوا الأسرة من هناك. كانوا ينامون في الغرف. تتشح أعالي الأشجار بالسواد وقت الغروب من كثرة ما يحط عليها من الغريبان. نعيبها يملأ الفضاء. صفار القطة بدأت تدب على الأرض وتكبر. في الأمسيات حينما نكتب واجباتنا يقفز بعضها ويخمش رأسا لقلم فتجري خطوط عبثية على دفاترنا. زيبا كانت تحب قطة خالصة البياض من هذه الصغار. قالت والددة زيبا حينما تكبر سأعطيك إحداها. لكنها ما زالت ترضع اللبن. قالت والدتها إذا فصلنا الصغار عن أمها الآن فستزعل وتغادر وتموت الصغار.

بعد ذلك اشتدت برودة الجو جدا. حينما أخذ الصقيع بالهطول مرضتُ وشعرتُ بألم في حنجرتي. قالوا يجب ألا أذهب إلى المدرسة لأن المرض معد وسائر الأطفال سيصابون مثلي. مكثت في البيت مدة من الوقت وإذا بزلزال يضرب مدينة جرجان. شقيقتي وزوجها كانا في جرجان. أخذتني أمي إلى

جرجان وبقينا هناك فترة من الزمن. حينما عدنا لم يسمحوا لي بالرجوع إلى المدرسة. قالوا إنك تأخرت كثيرا. نقلوني إلى مدرسة أخرى. طريقها بعيد. في الجهة الأخرى من العالم. قلت إنني أريد العودة إلى مدرستي السابقة. قالوا لا بأس في هذه المدرسة أيضا. تذهب وتأتي مع أخيك. كانت في أماكن بعيدة ومحلات غريبة. ألحقونا بهذه المدرسة وحلقوا رؤوسنا. في اليوم الأول كان عندهم اختبار. أخذوني إلى السبورة. لم أكن أجيد الدرس. وضعوا قلما بين أصابعي ثم بعثوني إلى المعاون. قال المعاون: لماذا لم تحفظ الدرس يا ولدي؟ قلت له أريد العودة إلى مدرستي. صفعني بقوة على وجهي.

لم نبق في هذه المدرسة. طريقها بعيد. ساحتها ضيقة. لا أشجار فيها. يضربون الطالب على أبسط شيء. إن لم تحفظ الدرس ضربوك. إذا طيّرت غريانا ضربوك. إذا رفعت صوتك ضربوك. لا يسمحون لنا بأن نلعب لعبة الحيوانات. ولا يسمحون بأن نلعب فرق إنقاذ. خلال فترة الاستراحة بين الدرسين يقولون اجلسوا طابورا إلى الجدار. ومن كانت لديه حاجة، إن أراد شرب ماء أو الذهاب للمرافق، فعليه أن يستأذن أولا. إذا ذهبنا بلا استئذان ضربونا. ذات مرة لا أدري من صفر في فترة الاستراحة. أوقفونا جميعا في طوابير، وفتشوا جيوبنا. أخرجوا من الطوابير كل من عثروا على صفارة في جيبه. جاء المعاون وضرب الجميع بعصاه. كان نصيبي ست ضربات. يشتعل باطن الكف نارا. المعاون يمسك بعصاه في يده دائما. يسب الطلاب سبابا مقذعا.

حينما انتهت الامتحانات في تلك السنة. خربوا الشارع في الصيف. خربوه من أوله إلى آخره. قطعوا كل الأشجار. أشجار الصنار، أشجار التوت التي كنا نلقي أوراقها أمام دود القز. قطعوها كلها. قالوا نريد تبليط الشارع. والحديقة باعوها. أصيب صاحبها بالجنون في أواخر أيامه. تقول أمي دسوا له شيئاً في طعامه. ذهب أولاده وأخذوا شهادة جنونه. انتزعوا الحديقة منه وباعوها. ثم خربوها قطعة قطعة. قطعوا أشجارها كلها وشيدوا مكانها بيوتا بجوار بعضها. تغير شكل الزقاق إلى غير ما كان عليه. جاء أناس آخرون فيه.

الرجل المسن صاحب الحديقة يظهر في المحلة إلى الآن بين حين وآخر. أصبح الآن كبيراً جداً. يمشي ببطء شديد وظهر محدودب. يهيم على وجهه على غير هدى في الشوارع والأزقة. أحياناً يقف ويحدج في الجدران والأبواب بنظرات غريبة. الأطفال يضحكون عليه. الكسبة يعاكسونه. يحدث أن يُوقف العابرين أمام باقي الناس ويقول لهم بحيرة: كانت هنا حديقة. أين هي؟ ألم تصادفوا حديقة في هذه الحوالي؟

منصورة شريفزاده Mansoreh Sharifzadeh

ولدت عام ١٩٥٣ في العاصمة طهران. حصلت على إجازة في اللغة الإنجليزية وماجستير في الأدب المقارن. تعمل حالياً في مركز دراسات العلوم الإنسانية. تدور كتاباتها في عالم القصة والرواية وتكتب في مجال أدب الأطفال كذلك وتترجم أحياناً من الأدب الإنجليزي.

من أعمالها المنشورة:

المولود السادس (مجموعة قصصية - ١٩٨٤)، مكحلة البلور (مجموعة قصصية - ١٩٩٥) عشرون قصة لعشرين كاتبة إيرانية، قصص الأشباح لكتاب عالمين (ترجمة)، عطر النسكافيه (مجموعة قصصية - ٢٠٠١)، شجرة الصنار (رواية - ٢٠٠٢، فائزة بجائزة بروين اعتصامي للإبداع الأدبي)، قاموس المصطلحات الأدبية في اللغة الإنجليزية، قصص للأطفال والناشئة في عدة كتب.

شئلة ورد الحرير

وقفت مهرآسا عند باب الغرفة: «لو كانت فيك ذرة من الحمية، لما تركت ذلك الصعلوك يتجراً على الظهور ها هنا... يا رجل، إنها ابنتك الوحيدة التي تكاد تموت بغصتها».

مسح مشكور زاده المنديل على أخمص البندقية. تابعت مهرآسا: «لا تبالي أبداً، لا تزال كما كنت في شبابك لا تفكر بغير الصيد...». رفع مشكور زاده رأسه، وحج مهرآسا بنظرة ثاقبة من عينيه الصغيرتين. لكنه لم يقل شيئاً. قالت مهرآسا: «طبيعي ألا تبالي، لست أمّا على كل حال...».

أوقف مشكور زاده المنديل على البندقية: «ألا يمكنك إغلاق فمك لحظة؟»

«كلما تكلمتُ بالحق، لم تجد غير هذا تقوله».

«الحق... الحق... لقد كررت هذا الحق حتى صرت طائر

الحق (أم اويق، الخبل، طائر يشبه البوم).

لوت مهرآسا عنقها لترى وجهه أفضل. لم تصدق. كأن عيني مشكور زاده دامعتان. قالت: «طيب، أعلم أنك كافحت أكثر من أي شخص آخر. ولكن لو ذهبت أنت إلى المحكمة بدل ذلك المحامي، ربما أجداك ذلك نفعا... لا أدري، ربما أشتري ذلك المحامي الصعلوك... هل من العدالة أن يأخذوا طفلة عمرها سبع سنوات من أمها ويعطوها لزوج الأب؟».

ضربت الرياح مصراعي الشباك بقوة. ركضت مهرآسا وسحبت الستائر إلى الداخل وأغلقت الشباك. في الحديقة،

كانت شتلة ورد الحرير ترتجف بشدة. التفتت مهرآسا إلى مشكور زاده: «كم مرة يجب أن أقول. ضع خشبة طويلة بجانب وردة الحرير هذه... ألا تحبها؟».

كأن مشكور زاده لم يسمع قولها. كان منحنيا على بندقيته ينظف أنبوبها بسيخ حديدي. يبدو أنحف من أي وقت مضى. لكن وجهه كان هادئا.

سُمع صوت باب العمارة يُفتح ويُغلق. بعد هنيئة دخلت نادرة. سلّمت وسارت إلى غرفتها. قبضت مهرآسا على طرف ثوبها المورّد بعصبية: «طفلتي ذاب نصفها خلال هذه المدة».

سمعت صوت بكاء نادرة، رفع مشكور زاده رأسه: «بدل أن تقفي هناك وتولولي، اذهبي وقولي لهذه الطفلة لا تولول هكذا قبل أن يموت أبوها».

أمسكت مهرآسا بمقبض الباب «اووه، لِمَ تتكلم هكذا، تقذف الفرع في القلب».

سمر مشكور زاده عينيه البنيّتين عليها للحظات دون أن ينبس ببنت شفة. كانت مهرآسا تسمع صوت أنفاسه. قالت بهدوء: «أنت كل أمني... عليك أن تصبر وتقاوم... عليك أن تمنح الشجاعة والجرأة لهذه الطفلة أيضا... هل تفهم؟».

لم يعد صوتها حادا ولا معنفا. كان هادئا. نكست رأسها إلى الأسفل. وسارت بخطوات بطيئة إلى غرفة نادرة.

كانت نادرة قد خلعت حجابها، وارتدت ثوبها المقلّم بالنيلي والرمادي الذي خاطته توا. قالت مهرآسا: «لا تلوثي دمك، شيء قد حصل».

رفعت نادرة رأسها: «هل تريدني أن أعطي طفلي؟ بهذه السهولة؟»

سمع صوت باب الكراج يُفتح. نظرت نادرة من الشباك إلى الخارج: «أبوها يهم بالذهاب».

رفعت مهرآسا كتفها إلى الأعلى: «لا يفكر في غير الصيد. وبعد كل هذه السنوات التي لم يلمس فيها بندقيته».

سمعتا صوت محرك السيارة ثم صوت باب الكراج يُغلق. جلست نادرة على طرف السرير، تقدمت إليها مهرآسا ووضعت يدها برفق على كتفها: «لا بد أنك تتذكرين معارضتي لهذا الزواج منذ البداية».

«لكنك لم تذكرني ذلك صراحة يوما ما».

«من أول مرة رأيته أدركت أنه مغرور أكثر من الحد الطبيعي. حينما لم ينهض لوالدك، كنت قد تيقنت من ذلك».

«أماه... أماه... لقد عملنا معا في شركة واحدة أربع سنوات... وما يدريني أنه سيتغير هكذا بعد الزواج».

«اسمعي، الرجال يحبون المرأة المغناج المتدلة. تتظاهر بأنها تحتاج إليهم... انظري إلى زوجة عمك، تختلف عني اختلاف الأرض عن السماء... طيب، هي محظوظة جدا. ما الذي يجعل عمك يحبها هكذا، لأنها لا ترد عليه كلمته».

«البنات المدلات لم يكن قليات في المكان الذي عملنا فيه. كان بوسعه أن يختار واحدة منهن. لماذا جاء نحوي مباشرة؟... لأنني على حد تعبيره لم أكن أقل من الرجال».

قالت الأم وهي تفرقع أصابعها: «أراد أن يتزوج فتاة طاهرة

ويضعها في علبة المرأة. هذا ليس إلا». «كلا أبدا... حينما عيّني المدير العام مشرفة على القسم، بدأ معارضاته».

نظرت مهرآسا إلى عينيها السوداوين تتحركان بسرعة. قالت: «بالله عليك لا تدمري نفسك هكذا، ليتك نظرت لنفسك في المرأة. ها قد عاودك مزاجك العصبي... كوني صبورة، سنجد حلا بالتالي».

اتجهت إلى الشباك: «ستأتي ياسمين الآن... قومي واغسلي وجهك...».

«أماه، إنني لم اتجرأ بعد على إخبار ياسمين... قللي أنت بريك ما عساني أقول لها؟».

سحبت حقيبة سوداء كبيرة من تحت السرير. مسحت وجهها بيدها، وفتحت صوان ياسمين ووضعت ثيابها الحمراء والزرقاء في الحقيبة واحدا واحدا. قالت مهرآسا: «كل من كان مكان هذا الرجل لحطم له أضلاعه».

قالت نادرة: «لو أظهر أبي نفسه مرة واحدة فقط، لما تجرأ ذلك الصعلوك أن يتقدم».

جلست مهرآسا على حافة السرير ووضعت يديها في حضنها. رصفت نادرة كل ملابس ياسمين في الحقيبة. ولفت صورة مؤطرة لياسمين في طفولتها داخل كيس بلاستيكي وأرادت دسها في الحقيبة، وإذ بمهرآسا تقول: «ولماذا تضعين هذه أيضا؟».

قالت نادرة: «لا أريد أن أراها، سيتجدد مأثمي كل يوم... كأنها تقول لي كل يوم... لماذا تركتموني يا جبناء...».

وانفجرت عبرتها، أخذت مهرآسا الصورة وأخرجتها
من الكيس: «لو لم يكن شعرها أحمر لكانت كطفولتك
بالضبط».

قبلت الصورة ووضعتها على الرف: «أعطيك أقراطي الياقوت
هذه، ضعها في أذني ياسمين، ليكن لطفلي ذكرى من جدتها
على الأقل».

وقفت أمام المرأة: «انظري كيف امتلأ حاجبائي. أصبحت
كالأرامل... ذلك الصعلوك لا يدعنا نعتي بحالنا».

مسحت نادرة دموعها بظاهريدها. قالت مهرآسا: «سوف
تهلكين نفسك... الطفلة تتكيف مع الآخرين بسرعة. قومي
واغسلي وجهك. عيناك أصبحتا جفنتي دماء... ستأتي ياسمين
الآن... إذا رأتك هكذا ستفزع».

مسحت نادرة أصابعها الطويلة الظرفية على ثوب الدانتيل
الأبيض الذي خاطته لابنتها لحفل عيد ميلادها، والتفتت إلى
والدتها: «ليس لها من العمر غير سبع سنين».

لون وجهها كان مخطوفا أكثر مما كانت عليه في الصباح.
قبضت مهرآسا بغضب على طرف ثوبها وزمّت شفيتها.
فجأة سُمع صوت باب الكراج يُفتح. قالت مهرآسا: «ما أسرع
ما عاد أبوك».

اتجهت نادرة إلى الشباك: «عاد أبي، ولكن يبدو أنه لم يصد
شيئاً... لا، أغلق باب السيارة، لكن يديه خاليتان».

«كنت أعلم... عيناه ما عادتا تسعفانه... سيكون نار الجحيم
علينا... وخرجت من الغرفة».

أسند مشكور زاده بندقيته إلى الجدار وخلع جزمته البنية من قدمه. كان يصفر كما في شبابه. قالت مهرآسا: «بخ لك على برودة أعصابك!».

نادرة كانت تبكي وهي تسحب الحقيبة الثقيلة من غرفتها إلى الصالة. خلع مشكور زاده جزمته الأخرى وانتصب واقفا. انتزع منديلا ورقيا ومدّه نحو نادرة: «خذي يا ابنتي... امسحي دموعك.. خذي يا حبيبتي».

أعرضت بوجهها المحمر من البكاء، وتابعت سحب الحقيبة من دون أن تتبس بكلمة. هز مشكور زاده رأسه وقال «لا تبكي يا ابنتي. يجب ألا تبكي بعد الآن».

ضحك وهو يقول كلماته. لكنه سرعان ما ابتلع ضحكته، وأمسك مقبض الحقيبة. نظرت مهرآسا إلى نادرة. رفعت نادرة كتفيها إلى الأعلى وجففت وجهها بالمنديل. وضع مشكور زاده الحقيبة في جانب من الغرفة. انحنت مهرآسا وأخذت الجزمتين. صرخ فيها مشكور زاده: «دعيها هناك».

سقطت إحدى الجزمتين من يدها، سألته: «أين تريد أن تذهب أيضا؟».

«إلى الجحيم».

محمد شريفي Mohammad sharifi

ولد عام ١٩٦١ في قرية بهرمان، من توابع مدينة رفسنجان التابعة لمحافظة كرمان (جنوب شرق إيران) حاز ماجستير في اللغة والأدب الإنجليزي. يسكن مدينة كرمان ويعمل في مجال التأليف والترجمة. ويكتب القصة والرواية والشعر وقصص الأطفال كذلك.

تحتوي قائمة أعماله الإبداعية على:

حديقة الرمان (قصص).

جندي أول أمين (رواية).

سقوط الريش في المطر (شعر).

صمت الإله (شعر تحت الطبع).

أساطير الهنود الحمر في أمريكا (ترجمة).

أما مؤلفاته في مضمار الطفل فهي:

مذكرات قطعة فنتازية.

القطية ودمية سارا.

أحلام الجنة.

الأحوال

عندما دخل المعلم العجوز إلى الصف، صاح التلميذ الوحيد
النائم بين الرحلات (*) : «قيام!».

وبعد لحظات عاود الكرة فصاح بصوت ناعس: «جلوس!».
وضع المعلم العجوز دفتر الحضور والغياب خلف النافذة
الخشبية لبس نظارته الطبية نظر في قائمة الأسماء ونادى:
الأبنوسي. صاح التلميذ الوحيد في الصف:
- غائب.

- على براتياني!

- حاضر!

- جلال الدولئي!

- أستاذ! من هنا إلى آخر الأسماء كلهم غائبون.

أمعن المعلم العجوز في دفتر الحضور وسأل:

- إلى أين ذهبوا!

كان في صوته جفافا وامتدادا. تتأهب علي براتياني، التلميذ
الوحيد في الصف، وقال:

- ومن يدري!

أغلق المعلم العجوز دفتر الحضور واتجه نحو السبورة، كتب
وسط قسمها الأعلى «درس اليوم».

لم يكن في ساحة المدرسة أي تلميذ ليقف قرب سارية العلم
المصنوعة من خشب الشجر ويصيح بأعلى صوته «جميعنا نعرف

(*) المقاعد التي يجلس عليه طلاب المدرسة.

أن المعلم هو أبونا الثاني والمدرسة هي بيتنا الثاني!»!
خرج التلميذ الوحيد علي براتياني من بين الرحلات وجلس
على المصطبة الأولى مركزاً انتباهه. كان المعلم يلعب بالطبشور
الأبيض بين أصابعه. اقترب من النافذة وألقى من خلال الزجاج
المتكسر نظرة على السماء، ثم حول نظره إلى علي براتياني
وقال:

- لا أعتقد أن السماء ستمطر اليوم.
كان علي براتياني قد فتح دفتر واجباته وكتب أعلى الصفحة
« درس اليوم» والآن أخذ يكتب في السطر الأول: «لا أعتقد أن
اليوم ستمطر».

اقترب المعلم العجوز ثانياً من اللوحة وكتب تحت درس اليوم
عبارة «لا أدري ماذا دهاني اليوم»!
كتب علي براتياني في دفتر واجباته «لا أدري ماذا دهاني
اليوم». بعد هنيهة من التفكير قال المعلم العجوز مخاطباً علي
براتياني التلميذ الوحيد:
- في أيّ صف أنت؟

كتب علي براتياني في دفتر واجباته «في أي صف أنت؟»
قال المعلم العجوز:

- أعتقد أن اليوم هو الاثنين، ولا أظن أنها ستمطر اليوم.
اقترب من النافذة، رأى من خلال الزجاج المتكسر شجرة
تتوسط ساحة المدرسة وكانت تتحني أمام الريح الصباحية. على
مقربة من الشجرة الوحيدة لو نظر أحد ما يأمعان لكان سيرى
صبياً وضع يده في جيب معطفه الطويل بين شفثيه صفارة

الشرطة يطلقها باستمرار، بالقرب من الصبي كانت سلة مليئة بالأوراق المبعثرة كتب عليها التلاميذ واجباتهم وأبعد من ذلك بقليل، ومن مكان كانت تبدأ منه جدران المدرسة، كان يتسنى للمرء رؤية طائفة ورقية تبتعد في السماء الدخانية اللون يتعقبها صوت بكاء طفل يأتي من الأزقة البعيدة. عاد المعلم العجوز إلى اللوحة وكتب عليها بالطباشير الأبيض «لا يوجد كلام للحدث به».

كتب علي براتياني التلميذ الوحيد في الصف «لا يوجد كلام للحدث به».

لم يكن يُسمع من الممر صدى لأقدام معاون العبوس، ولا حتى صوت الضحكات الوضيعة للمدير، تذكر المعلم العجوز أنه كان دائما يصف المدير بصاحب الضحكات الوضيعة. والأكثر من ذلك، لم يكن يأتي لا من الممر ولا من أجواء الصفوف الأخرى صوت تلميذ يقرأ في كتاب القراءة وصوت المعلم يصيح بتلميذ «أيها الحمار اجلس مكانك واصمت» نظر المعلم العجوز إلى باب الصف المغلق. ذكر أنه هو الذي أغلق الباب خلفه عند الدخول. اتجه نحو النافذة وضع التلميذ الوحيد علي براتياني قلمه على دفتر واجباته وبدأ يتمتم بصوت خافت تهويده تقول «نم، نم، يا وردة البطنج».

نظر المعلم العجوز من خلال شقوق الزجاج المتكسر إلى ساحة المدرسة ثانية: كانت السماء دخانية اللون. كان الصبي الواضع يده في جيبه يطلق صفارته باتجاه الصف وكان بكاء الطفل في الأزقة البعيدة ما زال يتعقب طائفة الورق. إضافة إلى

ذلك، فالشجرة الوحيدة الظمآنة مازالت منحنية بأغصانها أمام
الريح. عاد المعلم العجوز! وقف قرب السبورة أراد أن يكتب شيئاً
ولكنه سأل مرة أخرى:

- في أي صف أنت؟

كتب علي براتياني في دفتر واجباته بلا تلوّ «في أي صف
أنت؟»!

كان هناك صمت جنوني يستولي على أجواء الصف. كان
المعلم العجوز يعتقد أن الصمت هذا قد أحاط الآن بكل أجواء
المدرسة. وفي لحظة طفى الغضب عليه فصاح بصوت عال «أي
مكان هذا؟»

وكتب علي براتياني من دون أن ينبس ببنت شفة في دفتر
واجباته «أي مكان هذا؟».

فكر المعلم العجوز في نفسه «هذا سؤال مبهم» فصاح موضحاً
«أعني هل هنا مدرسة أم مكان آخر؟».

كتب علي براتياني في دفتر واجباته موضحاً السؤال «أعني
هل هنا مدرسة أم مكان آخر؟».

كان المعلم العجوز محرجاً. اتجه ثانية نحو دفتر الحضور،
فتح الدفتر وقرأ أسماء التلاميذ من جديد:

- الأبنوسي

وضع علي براتياني قلمه على دفتر واجباته وقال:

- غائب.

- علي براتياني!

قال علي براتياني:

- حاضر!

- جلال الدولتي؟

قال علي براتياني بسكينة:

- من هنا إلى آخر الأسماء كلهم غائبون.

سأل المعلم العجوز ثانية:

- إلى أين ذهبوا؟

قال علي براتياني بسكينة:

- ومن يدري؟

أغلق المعلم العجوز الدفتر واقترب من اللوحة. أخذ المسحاة التي صنعها التلاميذ من قبعات والد أحدهم ومسح بها السبورة. فأخرج علي براتياني المسّاحة من جيبه فوراً ومسح بها كل ما كتبه في دفتر واجباته ببطء. لم يكن يُسمع أي صوت من أي مكان من المدرسة. فكر المعلم العجوز في نفسه أنه استيقظ كالعادة بدقات ساعته صباحاً إذن إلى هنا لا يوجد أي خطأ. بعدها مارس بعض التمارين الرياضية الصباحية. أخذ فطوره وسلك الطريق نفسه الذي يأتي منه كل يوم. المهم أن عينيه لا تخطئان وعلى أي حال حتى وإن أخطأ هو فعلي براتياني لا يمكن أن يخطئ. وبغض النظر عن كل هذا إذا لم تكن هنا مدرسة فما هذه السارية والعلم؟

صرخ فجأة:

- هنا مدرسة!

كتب علي براتياني في دفتر واجباته «هنا مدرسة».

صرخ المعلم العجوز:

- إذا لم تكن مدرسة، إذن ما تلك السارية؟
كتب علي براتياني في دفتر واجباته «إذا لم تكن مدرسة، إذن
ما تلك السارية؟».

لم يكن يُسمع صوتٌ. كان الصمت مخيما. صمت مدهش
ومحرج. عاد المعلم العجوز إلى النافذة.لقى من خلال شقوق
الزجاج المتكسر نظرة على السماء. كانت السماء ما زالت دخانية
اللون ولكن الطائرة الورقية كانت قد توقفت عند الشجرة الوحيدة
الظمّانة. وكان الصبيّ قد علّق صفارته في رقبتة وجلس بالقرب
من السلّة. كان يأخذ الأوراق المبعثرة لواجبات التلاميذ منها
وينثرها في الجو. وكان صوت بكاء الطفل في الأزقة البعيدة
قد انقطع. رجع المعلم العجوز. كان محرجا. كتب على السبّورة:
«لا يوجد كلام للتحديث به، لا أدري ماذا دهاني!»

علي براتياني لم يكتب. كان قد وضع رأسه على دفتر واجباته
واستسلم لنوم عميق. كان المعلم العجوز محرجا، يقطع عرض
الصف ذهابا ومجيئا.

بعد لحظات طويلة كان يسميها هو سابقا لحظات أليمة
وقاتلة، عاد مرة أخرى إلى النافذة. ألقى نظرة من خلال الزجاج
المتكسر على الخارج: كانت السماء ما زالت دخانية اللون. كانت
الشجرة الظمّانة قد أطلقت الطائرة الورقية في الجو. كان العلم
على السارية الخشبية يرفرف والصبي الذي كان يصفرّ قد غاب
أيضا وكانت الأوراق المبعثرة لواجبات التلاميذ الطائرة في الجو
قد أخذت مكانه.

رجع المعلم العجوز إلى السبّورة. كان الشيخير الهادئ لعلّي

براتياني، التلميذ الوحيد في الصف، قد اقتحم الصمت المخيم على الصف وأحدث فيه أجواء موهومة مدهشة. ارتعد المعلم العجوز، فتح الباب واجتاز الممر مسرعا. دخل الساحة وعندما أراد أن يخرج من باب المدرسة همّت الفراشة بالدخول وكانت الريح تداعب عباؤها. رأت الفراشة المعلم العجوز فقالت تخاطبه:

- يا سيّد! المدرسة مغلقة في أيام الجُمع.

قال المعلم العجوز متحيرا:

- أليس اليوم هو الاثنين؟

قالت الفراشة:

- اليوم هو الجمعة.

قال المعلم العجوز:

- إذن لماذا قد حضر علي براتياني؟

حدّجته الفراشة باندهاش وقالت:

- ولكن علي براتياني قد أعطاك عمره من أسبوعين؟

المعلم العجوز أصيب بالرعب تراجع خارجا من الباب قاذفا

بنفسه في الزقاق. وكان متمتما:

- ... !

خسرو شاهاني Khosro Shahani

ولد في مدينة مشهد وتوفي سنة ٢٠٠٣ في طهران. كل أعمال هذا القاص الإيراني ذات صبغة فكاوية وساخرة، حيث قدم بقلمه اللاذع الدقيق أعمالاً جيدة في النقد الاجتماعي منها: بهلوان الحارة، الأعمى اللعين، وحشت آباد، كوميديا الافتتاح، سيارة الدكتور بقراط وغيرها.

معاون، توقيع، مكتب، ختم.

من أجل إنجاز عمل ما، أي أخذ ورقة تأييد من دائرة إلى دائرة أخرى، راجعت الدائرة الأولى وحصلت على تلك الورقة بشكل من الأشكال. ثم ذهبت للدائرة الثانية حيث كانت مهمتي الأصلية. نظر المسؤول إلى الورقة وقال إن هذا التأييد ناقص، يجب أن توقعه الدائرة الفلانية وتؤيد ختم الدائرة الأولى.

قلت له لماذا لم تقل لي هذا قبل البارحة إذن، حتى أتوجه لتلك الدائرة بعد حصولي على هذه الورقة؟
قال المسؤول:

تصوّرت إنك ستفهم ذلك من نفسك.
وجدت رده قويا، فلم أقل شيئا، أي إنني خفت أن أقول شيئا.
استعدت الورقة منه وقلت له هلا تفضلت بإعطائي عنوان تلك الدائرة.

قال بنبرة أمر جافة: اسأل الاستعلامات.
أخذت الورقة وسألت عن قسم «الاستعلامات» إلى أن وجدته، فقال الموظف هناك ثلاث كلمات لم تزد ولم تنقص:
اذهب للقسم الرابع عشر!

وكأنني ترعرعتُ في أحضان القسم الرابع عشر وأعرف كل أقسام هذه المدينة الصاخبة. لم يعطيني اسم شارع ولا زقاق ولا رقم. بكل تواضع ومرارة من أن الله خلقني جاهلا عديم الفهم إلى درجة أنني لا أعلم أين يقع القسم الرابع عشر في

عاصمة هذه البلاد، سألته: هل يمكن أن تتفضل بإخباري في أي شارع يقع القسم الرابع عشر؟
حدجني من رأسي إلى أخمص أصابعي بنظرة بددت كل ما كان يساورني ربما من شكوك حول غبائي وجعلتني موقنا بأن الله خلقني مختلفا عن بقية البشر ذوي العقل والإدراك، ثم قال لي:

ألا تعلم أين يقع القسم الرابع عشر من طهران؟
قلت له: لا، لكنني أدري أنني أسكن في القسم السابع.
من تقسيمات البلدية والقسم الثالث من تقسيمات التربية والتعليم، وفي القسم الخامس عشر من تقسيمات الشرطة، وفي القسم الحادي والعشرين من تقسيمات الخدمة العسكرية، وفي القسم الثامن عشر من تقسيمات ضرائب وزارة المالية، وفي القسم الرابع والثلاثين من تقسيمات الإحصاء والسجلات والأحوال الشخصية، إلا أنني لا أعرف أين يقع قسمكم في طهران.

هز رأسه بأسف وسأل: ما هو عملك؟
قلت له إنني صحافي.
قفز من مكانه فجأة كمن رأى عفريتاً من الجن وقال: أنت صحافي ولا تعلم أين يكون القسم الرابع عشر؟
قلت له: والله لقد أخبرتكم أنني صحافي ولست موظفا في دائرة الإحصاء والبلدية والمناطق والأحوال المدنية!
زَمَّ شفّتيه وقال وهو يتوجه بأنظاره صوب مراجع جديد:
حسنا اذهب إلى شارع ميرداماد.

ها قد حلت البركة، كانت القضية معقدة ولا أمل في وصولها،
وقد حلها رئيس الاستعلامات لتصل. قلت له بخوف وقشعريرة:

سمعا وطاعة... ولكن أين يقع شارع ميرداماد؟

غضب هذه المرة وقال: هل جئت من خلف الجبل يا رجل؟
شارع ميرداماد في مكانه في شارع ميرداماد... ضحكت،
قلت: معذرة سيدي الرئيس ظننت أن شارع ميرداماد في شارع
العروسة. سمعا وطاعة. ومشيت ولم أنتظر إجابة أو توجيهها لاذعا
آخر من السيد الرئيس. بألف مصيبة حصلت على تاكسي وبقيت
واقفا طرف الشارع أصرخ: ميرداماد... ميرداماد، إلى أن صارت
رجلاي خيوطا تكاد تتقطع، ولأدع هذه التفاصيل لفرصة أخرى.
أخيرا وصلت إلى شارع ميرداماد والقسم الرابع عشر، وسألت عن
الدائرة المعنية إلى أن وصلت إليها، فعرضت الورقة على رئيس
دائرة الاستعلامات وسألت: أين يجب أن يتم تأييد هذه الورقة؟
أخذ الورقة من يدي، نظر إلى كل زواياها بعد ما قرّبها من
عينيه وابعدها، ثم أعادها إليّ وهو يشير إلى رجل على رأسه
قبعة يذرع الممر بخطوات طويلة وقال:
اسأل ذلك الرجل.

ركضت خلف الرجل وأريته الورقة وقلت: سيدي معذرة أين
يؤيدون هذه الورقة؟ أجاب بكل برود: أنا مراجع مثلك... اسأل
ذلك الخادم المسك بصينية الشاي في يديه.

قطعت طريق الخادم الذي يحمل صينية الشاي في يديه
وبحت له بمشكلكتي ولكنه كان كمن اختبأت عقرب في بنطلونه
ولا يستطيع الوقوف، قال وهو يمشي:

أذهب إلى آخر الممر!

لا إله إلا الله. من المكان الذي أنا واقف فيه حتى نهاية الممر هنالك في الأقل عشرون غرفة على الجانبين. أي غرفة يجب أن أفتح بابها حتى لا تنهال عليّ اللكمات؟

وحيث إنهم قالوا قديما "ماخاب من استشار" بقيت أستشير هذا وذاك إلى أن وجدت الغرفة التي يجب أن يوقعوا ويؤيدوا فيها ورقتي. رصفت الطاولات أطراف الغرفة، ربما أكثر من عشر طاولات، أربع منهن خاليات لا يجلس أحد خلفها، واثنان من الموظفين جالسان خلف طاولة واحدة يملآن معا جدول كلمات متقاطعة واثنان من الموظفين كانتا تحيكان الصوف، وأحد الموظفين يبدو أنه يعمل. الأفضل أن أسأل الرجل الذي يعمل. تقدمت إليه وعرضت عليه مأساتي، أشار عليّ برجل يجلس خلف طاولة في صدر الغرفة، يحتسني القهوة ويتحدث لرجل بجواره واضح أنه من أصدقائه.

تقدمت أمام طاولته ووضعت الورقة بمتناول يده وبقيت واقفا أنتظر الجواب. سمعته يتحدث مع صاحبه عن لعبة (البوكر) الليلة الماضية، ولأن القصة كانت قد بلغت محطتها الطريفة، وعمّا قريب ترتطم أوراق الرجل الفائزة بأوراق منافسه الخاسرة عزّ عليّ أن أقطع حديثهما، فبقيت واقفا هكذا عدة دقائق، ولحسن الحظ كانت نشوة الانتصار مازالت بادية في محيا السيد الرئيس فنظر إليّ بعين الفاتحين وسأل:

أي خدمة نقدمها؟

فرحتُ لأنه فاز البارحة وشكرت الله على ذلك. فمن المعلوم

أنه لو خسر السباق لا سمح الله لما كان من المعلوم ماذا سيكون مصير ورقتي اليوم.

قلت له بارتباك: أيّد هذه الورقة من فضلك.

أخذ القلم عن الطاولة وجرّ بعض الخطوط على الورقة وهو يروي بقية أحداث الليلة الماضية، ثم مدّ الورقة نحوي وقال: معاون، توقيع، مكتب، ختم.

ظننت أن عبارة «معاون، توقيع، مكتب، ختم» من مصطلحات «البوكر» فبقيت واقفاً أمام الطاولة. انقضت بضع ثوان فالتفت إليّ السيد الرئيس وسأل: لم أنت واقف؟ أخبرته أنني لم أفهم ما قاله.

قال بكل هدوء: قلت لك... معاون، توقيع، مكتب، ختم... ثم تابع روايته... نعم في الدور الثاني. نظرت فوجدت أنني حصلت على أوراق جيّدة فلم أتأخر، كان أمامي أكثر من ألف تومان، فدفعت به إلى وسط الطاولة فتراجع الكل إلا أكبر لأنه... عدّلت من وقفتي بعض الشيء وقلت: سيدي الأجل لم تتفضل أين يجب أن أذهب الآن بهذه الورقة؟ توهّج وجهه نارا وقال بغضب:

هل أنت أطرش؟ قلت لك... معاون، توقيع مكتب، ختم. أدركتُ أنني لم أطرح سؤالي في الوقت المناسب. كان عليّ أن أنتظر إلى أن ينهزم السيد أكبر أمام صولات وجولات السيد الرئيس وحينها أطرح سؤالي، ولا أطرحه في مثل هذه الظروف المتأزمة. ولكن فات الأوان ومَرَقَ السهم من القوس. سحلت أقدامي وخرجت من الغرفة إلى حضرة الرئيس أو

موظف الاستعلامات وشكوت له أمري. ضحك وقال: يعني اذهب لغرفة السيد المعاون ليوقع ورقتك، بعد ذلك اذهب للمكتب كي تُختم. حينئذ فقط فهمت معنى العبارة التلغرافية للرئيس السابق «معاون، توقيع، مكتب، ختم» ورحت أسأل تارة أخرى عن غرفة المعاون إلى أن وصلتها في الطابق الخامس. حينما دخلتها وجدتها غاصة بنساء ورجال يجلسون على الكراسي وفي أيديهم أوراق. لم تكن غرفة، إنما هي صالة طولها عشرون مترا وعرضها عشرة أمتار، وفي أقصاها طاولة كبيرة خلفها رجل يتحدث في الهاتف. وبما أنني لا أفهم شيئاً من الاتيكيت الاجتماعي، توجهت نحو الطاولة من دون مراعاة الدور، ووضعت الورقة أمام يد المعاون، وبقيت واقفا بكل احترام أمام جلالته. فجأة تنبعت إلى أن المعاون يشير إليّ وهو يتحدث في الهاتف ملمحا بإبهامه إلى الجدار خلفه. تصورت أن القضية تتعلق بطريقتنا نحن الإيرانيين أثناء الكلام حتى في الهاتف، إذ نستعين بحركات أيدينا وأرجلنا ورؤوسنا وأعناقنا لننقل الأفكار بأحسن ما يمكن إلى عقول من نتكلم معهم، وأن السيد المعاون يشير بيده وإبهامه لينقل مشاعره إلى من يتحدث معه في الهاتف.. مضت لحظات وإشارات السيد المعاون الإبهامية لا تتقطع، إلى أن انتهت المحادثة الهاتفية لحسن حظ المراجعين أو لسوء حظي أنا، ووضع المعاون السماعة، وانفجر على حين غرة كأنه مدفع الإفطار فدوى صوته في كل أرجاء الغرفة:

قلت لك اقرأ هناك!

ارتبكت، وانهزمت نفسيا وتلعثم لساني. لم تكونوا هناك
لتسمعوا مدفع السيد المعاون كم كان قويا، قلت بارتباك وتلعثم:

أقرأ ماذا يا سيدي؟

هناك... هل أنت أعمى؟

أين؟ سيدي المعاون؟

هناك... هناك... فوق رأسي.

ها قد تمّ البدر علينا، كنت عديم الفهم، وأصبحت أطرش، ثم
هاهو المعاون يجعلني أعمى ولا يبخل عليّ بالطفاه ألقى نظرة
من فوق العوينات إلى الجدار فوق رأس جلالته فرأيت ورقة كتب
عليها بخط رديء:

لا تتوقفوا أمام الطاولة، وراعوا الدور رجاء.

أدركت لتوي أي خطأ لا يغتفر قد اقترفته. أردت أن أسال
المعاون هل ارتطمت أوراقك أنت أيضا بأوراق السيد أكبر
البارحة؟ لكنني قدّرت أن الأمور ستتعدد أكثر وقد أخرج من
الدائرة من دون توقيع الورقة. سحبت الورقة باحتياط من على
طاولة المعاون وتراجعت بكل هدوء إلى الورا من دون أن أولي
ظهري لطاولة حضرة المعاون، بالضبط كما يفعل خدم الفراغة
في مصر كما رأيّناهم في الأفلام. ولأن كل الكراسي في الغرفة
قد احتلها المبكّرون والأشطر منّا، وقفت إلى جانب الجدار،
وعاد المعاون يتحدث في الهاتف. صدقوني، بقيت واقفا على
أقدامي نحو ثلاثة أرباع الساعة بل أكثر كالطلاب المشاكسين
في الصف إذا سخط عليهم المعلم، أنتظر أن يصل دوري، وباقي
المراجعين جالسون وأوراقهم بأيديهم. وأخيرا وصل دوري وجرّ

السيد المعاون خطأ على ورقتي في أقل من ثانية، ولم أفهم هل وقع الورقة أم أنه شطب عليها، ولم أطرح أي سؤال حول هذه القضية. الحقيقة أنني خفت حينما تفضل السيد المعاون بتسليمي الورقة قال أيضا بعبارة تلغرافية: مكتب، ختم! كنت مسرورا لأن خمسين بالمائة من المهمة قد أنجزت حتى الآن، وانخفضت عبارة «معاون، توقيع، مكتب، ختم» إلى (مكتب، ختم). لا أطيل عليكم، أخذت الورقة إلى «مكتب، ختم»... ولا بد أنكم تقولون الآن يا لسعادة «شاهاني» الذي انقضت حاجته بهذه السرعة والسهولة، ولكن يجب أن أقول إن الأمر ليس كذلك، فأنا لا أزال في أول الطريق.

جلال آل احمد Jalal Al Ahmad

ولد الكاتب والباحث والمترجم جلال آل أحمد في طهران عام ١٩٢٣ في عائلة دينية فقد كان والده وجدّه لأبيه من علماء الدين المشهورين أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي.

بدأ الكتابة القصصية في بداية شبابه وأخذ صيتاً بين الأوساط الثقافية وهو لم يزل في العشرين من العمر. اعتنق جلال الأفكار وصار يكتب عن الطبقة المسحوقة. تنقسم أعمال جلال آل أحمد إلى قصص وبحوث اجتماعية ومشاهدات سفر وترجمات. فقد كتب عن رحلاته إلى بيت الله الحرام وأمريكا والاتحاد السوفييتي التي تعتبر من الكتب المقروءة دوماً. لجلال آل أحمد أسلوب مميز في الكتابة يعتمد الجمل القصيرة والدقة المتناهية في التفاصيل.

كان هذا الكاتب في صدام دائم مع السلطة السياسية والثقافية بحيث أدت وفاته المبكرة (في عام ١٩٦٩ وهو في السادسة والأربعين من العمر) إلى التساؤل هل تمت تصفيته جسدياً؟ صدر له الكثير من الكتب ومنها: مدير المدرسة، امرأة إضافية، زيارات متبادلة، حجر على قبر، التقييم السريع، عن معاناتنا.

ابن الناس

وما كان بمقدوري أن أفعل؟ لم يكن زوجي مستعدا أن يُبقي عليّ مع طفلي. لم يكن الطفل طفله كان لزوجي السابق الذي طلقني. ولم يكن مستعدا لأخذ الطفل معه. ماذا كانت ستفعل أي امرأة غيري لو كانت مكاني؟ كان عليّ أن أعيش. ماذا سأفعل لو طلقني زوجي هذا أيضا؟ كنت مرغمة على التخلص من هذا الطفل بشكل من الأشكال. امرأة لا تعي شيئا مثلي ماذا بوسعها أن تفعل سوى هذا. لم أكن أعرف مكانا ولا أرى أمامي حلا أو طريقا للخلاص. لم أكن أجهل كل شيء طبعاً، أدري أن بالإمكان أن أضع الطفل في دار حضانة أو أي مكان آخر. ولكن من أين لي أنهم سيقبلون طفلي؟ وكيف لي أن أطمئن إلى أنهم لن يؤخروني ولن يريقوا ماء وجهي ولن يصمونني وابني بألف وصمة ووصمة؟ من أين لي بكل هذا؟ لم أكن أرغب في أن تنتهي القضية بهذا الشكل. عصر ذلك اليوم بعدما انهيت الأمر وعدت إلى البيت واخبرت والدتي وباقي الجيران بما فعلت، قالت إحداهن: «يا امرأة، كنت تستطيعين أن تضعي طفلك في دار حضانة، أو تأخذه إلى دار أيتام و...» ولا أدري أي أماكن أخرى ذكرتها. لكن أمي قالت لها: «وتظنين أنهم سيقبلونه؟ هه» مع أنني كنت قد فكرت في هذا، ولكن حينما قالت تلك المرأة قولتها هبط قلبي بألم وقلت لنفسِي: «يا امرأة، وهل ذهبت به إلى هناك ورفضوك؟» ثم قلت لوالدتي: «ليتني كنت قد فعلت هذا» ولكنني لم أكن أعرف شيئاً، ولست واثقة من أنهم سيقبلونني.

ثم إن الأمر قد فات. كأنّ كلام تلك المرأة أمطر قلبي بالأسى والغم. تذكرت كل حلاوة كلام طفلي. لم أستطع صبرا وأجهشت في بكاء شديد أمام كل الجيران. وما أسوأ هذا! سمعت إحداهن تتمتم «وتبكي أيضا، عديمة الحياء...» أنقذتني أمي مرة أخرى وروّحت عني. وكانت على حق. كنتُ في أول شبابي فلم أحزن كل هذا الحزن على طفل؟ خصوصا أن زوجي لا يقبلني معه. أمامي متسع من الوقت لأحبل وألد ثم أحبل وأنجب. صحيح أنه كان طفلي البكر وما كان عليّ أن أفعل الذي فعلته، ولكن فات الآن كل شيء. وما عاد في التفكير فائدة. لم أكن قاسية إلى درجة أن أفعل هذا من نفسي. زوجي هو الذي أصر. وكان على حق، يقول إنه لا يريد أن يرى فضلات فحل حمار آخر على مائدته. أنا نفسي حينما أحكمّ إنصافي أعطيه الحق. هل كنتُ مستعدة أن أحب أطفال زوجي مثل أطفالي؟ ولا أراهم عالية على حياتي؟ ولا أعتبرهم زائدين على مائدة زوجي؟ هو أيضا يفكر هكذا. هو أيضا من حقه ألا يستطيع رؤية ابني، وليس ابني بل ابن فحل حمار آخر كما يقول على مائدته. في اليومين اللذين انقضيا على مجيئي إلى بيته لم يكن لنا كلام سوى هذا الطفل. تحدثنا كثيرا في الليلة الأخيرة. ولم نتحدث طبعاً، بل تحدث هو عن الطفل واستمعت أنا. وقلت له أخيراً: «حسناً، ماذا أفعل؟» لم يقل شيئاً. فكّر قليلاً ثم قال: «لا أدري ما تفعلين، افعلي كل ما تريينه صحيحاً. أنا لا أريد أن أرى فضلات فحل حمار آخر على مائدتي». لم يضع حلاً أمامي، ولم يأت ليلتها إلى جانبي، كان غاضباً مني كما يبدو. كانت الليلة الثالثة من ليالي عيشنا

المشترك. لكنه زعل مني. كنتُ أدري أنه يريد أن يغيضني لأنهى أمر الطفل بسرعة. وفي الصباح حينما خرج من البيت قال «إذا عُدْتُ ظهرا لا أريد أن أرى الطفل» وهكذا فهمت ما يجب علي فعله. والآن كلما فكّرت لا أفهم كيف استطعت أن أفعل الذي فعلته؟! لكن الأمر كان قد خرج من يدي. ألقيت شادر صلاتي على رأسي وأخذت يد طفلي وخرجت من البيت بعدما خرج زوجي. كان لطفلي ثلاث سنوات. يستطيع أن يمشي بلا مساعدة. السيئ هو أنني بذلتُ ثلاث سنوات من عمري لأجله. كان هذا أتعس ما في الأمر. انتهت كل مشكلاته وكل ما يحتاجه من سهر ومعاناة وتعب وها هي أول الراحة معه. لكنني كنت مضطرة لفعلتي. مشيت معه إلى موقف السيارات. كنتُ قد ألبسته حذاءه وملابسه الجيدة. سترة وبنطلون زرقاوان صغيران كان قد اشتراهما له زوجي السابق قبل فترة. قلت لنفسي حينما كنت ألبسه ثيابه: «يا امرأة، ولماذا تلبسينه ملابس جديدة؟» لكن قلبي لم يطاوعني. وماذا سأفعل بملابسه الجديدة؟ اللعنة على زوجي. عليه إذا ولدْتُ له أطفالا أن يشتري لهم ثيابا جديدة. ألبسته ثيابه ومشطت شعره، أصبح جميلا جدا. أمسكت بيده ولففت بيدي الأخرى شادري حول خصري ورحت أتمشى على مهل. لم تكن هناك حاجة لأن أسبه وأشتمه كل دقيقة حتى يسرع في المشي. في المرة الأخيرة التي أمسكت فيها بيده وأخذته خارج البيت طلب مني في مكانين أو ثلاثة أن اشتري له «قاقا». قلت له: «لنصعد السيارة أولا ثم أشتري لك قاقا». أتذكر أنه كان يومها يكثر من الأسئلة كعادته. كان هنالك حصان حبست يده

داخل ساقية الماء طرف الشارع واجتمع الناس حوله. ألح علي أن أحمله حتى يرى ما الخبر. حملته فرأى الحصان قد جرحته يده وسال منها الدم. حينما وضعته أرضا قال «أمّو، يدّو صارت أوخ» قلت له «نعم حبيبي لم يسمع كلام أمّه، فصار أوخ». تمشيت على مهل حتى موقف السيارات. كان الوقت لايزال مبكرا والسيارات مزدحمة، بقيت حوالي نصف الساعة في الموقف إلى أن صعدنا السيارة. الطفل كان يتململ دائما وأنا أكاد أتعب، ضايقني جدا بأسئلته. قال مرتين أو ثلاثا: «هاها أمّو، لم تأتو ثيابة. هيا اشتلي لي قاقا» فقلت له مرة أخرى إنها ستأتي الآن. وإذا جاءت السيارة فسأشتري لك قاقا. وأخيرا صعدت الباص رقم ٧١ وبقي الطفل يتكلم ويسأل إلى أن نزلنا في ساحة الشام. أتذكّر أنه سألني مرة «أمّو، أين نذهب؟» لا أدري لماذا قلت له بسرعة «نذهب إلى بابا». نظر الطفل لوجهي قليلا ثم سأل: «أمّو، أي بابا؟» فاض الكيل بي فقلت له: «كم تتكلم، لن أشتري لك قاقا إذا تكلمت» وكم يعتصرني الألم الآن لردّي عليه هكذا. هذه الأمور تقطّع نياط القلب أكثر. لماذا حطمت قلب صغيري في تلك الساعة الأخيرة هكذا؟ حينما خرجنا من البيت عاهدت نفسي ألا أغضب أبدا ولا أضربه ولا أسبه، وأعامله بمحبة. ولكن كم يعتصرني الألم الآن! لِمَ أسكتهُ بتلك الطريقة؟ سكّت الطفل بعدها ولم يقل شيئا. وظل ينظر ويضحك لمساعد السائق الذي راح يغيّر له شكله ويسلّيه. لكنني لم أبال له ولا لطفلي الذي كان ينظر إلي بين الحين والآخر. قلت للسائق يقف في ساحة الشام. وحينما نزلنا كان طفلي لايزال يضحك. كانت الساحة مزدحمة

والباصات كثيرة، وأنا لا أزال خائفة من فعل ما أريد. تمشيت بعض الوقت. ربما نصف ساعة. قل عدد الباصات. جئت إلى جانب من جوانب الساحة أخرجت عشرة شاهيات وأعطيتها لطفلي. ظل حائرا ينظر إلي. لم يكن قد تعلم اخذ النقود بعد. لم اكن ادري كيف أفهمه. في الطرف الآخر من الشارع بائع حب ومكرزات ينادي. اشرت اليه باصبعي وقلت: «خذ، اذهب واشتري قاقا. أرني هل تعرف شراء القاقا بنفسك» نظر الطفل إلى النقود ثم إليّ وقال «أمّو، تألي أنت معي» قلت له «لا أنا واقفة هنا أراقبك. اذهب لأرى هل تعرف كيف تشتري؟» نظر مرة أخرى إلى النقود.

كأنه كان حائرا، ولا يدري كيف يجب أن يشتري شيئا. لم أعلمه هذا من قبل. ظل محدقا فيّ. يا لها من نظرة! انقبض قلبي في تلك اللحظة واستاءت حالتي. استاءت حالتي جدا. كدت أراجع عن فعلتي. بعد ذلك حينما ذهب طفلي وهربت وإلى الآن، وحتى عصر ذلك اليوم حينما انفجرت باكية امام الجيران، لم ينقبض قلبي هكذا ولم تتردّ حالتي إلى هذه الدرجة. كادت طاقتي تنفد. يا لها من نظرة عجيبة! ظل طفلي حائرا كأنه لا يزال يريد أن يسألني شيئا. لا أدري كيف سيطرت على نفسي. أشرت عليه إلى بائع البذر مرة أخرى وقلت: «اذهب يا حبيبي، أعطه هذه النقود، وقل له أعطني بذرا، هذا فقط، اذهب بارك الله» نظر طفلي إلى بائع البذور، ثم قال كما يقول حينما يتململ ويتتحس: «أمّو، لا أليدُ بدلا، أليدُ تيبيا» ها قد هبطت المسكنة على رأسي من كل صوب، لو تأخر

لحظات أخرى، ولو كان قد بكى قليلا، لتراجعت يقينا . لكنه لم يبك . تملكني الغضب، وطفح بي الكيل . صرخت فيه «عنده زبيب أيضا اذهب واشتر ما شئت، هيا اذهب» . ثم حملته لأعبر به ساقية الشارع وأضعه على الأسفلت وسط الشارع . وضعت يدي على ظهره ودفعته إلى الأمام بهدوء وقلت «هيا اذهب، سنتأخر» كان الشارع فارغا ، لم يكن فيه باص أو عربة تسحق طفلي . تقدم خطوتين أو ثلاثا وقال : «أمّو، عندو تبيب؟» قلت له «نعم يا حبيبي، قل له أعطني زيبا بعشرة شاهيات» . وذهب . وصل إلى وسط الشارع وإذا بسيارة يتعالى بوقها فارتعدت من الفزع . رميت بنفسي وسط الشارع من دون أن أفهم ما الذي أفعله ، احتضنت طفلي وأسهرت به إلى الرصيف واختبأت وسط الناس . كنت أتصعب عرقا وألتقف أنفاسي بصعوبة . قال الطفل «أمّو، ماذا تال؟» قلت له : «لا شيء يا حبيبي . يجب أن تعبر الشارع بسرعة . وأنت كنت تعبره ببطء، كادت السيارة تسحقك» كدت أجهش بالبكاء وأنا أقول هذا . قال وهو لا يزال في احضاني «حسنّا أمّو خلّيني على الأرت، ألوح هذه الملة» لو لم يتفوّه بهذه الكلمات ربما كنت قد نسيت لماذا جئتُ به إلى هنا . لكن كلامه دفعني إلى الصلافة مرة أخرى . لم أكن قد مسحت دموعي بعد حينما تذكرت الشيء الذي جئت من أجله . وتذكرت زوجي وغضبه . قبلت طفلي . كانت آخر قبلة أطبعها على خدّه . قبلته ووضعته على الأرض وهمستُ في أذنه : «أركض بسرعة، ستأتي السيارة» . كان الشارع خاليا أيضا ، وقد أسرع طفلي في المشي . كان يقطع خطواته بسرعة

وخفت مرتين أو ثلاثا من أن تلتوي أرجله ببعضها ويسقط أرضا. حينما وصل إلى تلك الجهة من الشارع عاد ونظر إلي. كنتُ قد جمعت أطراف شادري تحت إبطي وتهيأت للفرار. ولكن ما إن استدار ونظر إلي حتى تجمدت في مكاني. صحيح أنني لم أكن أرغب في أن يفهم أنني أريد الهرب، لكنني لم أتجمد في مكاني لهذا. كنت أشبه بسارق ألقوا القبض عليه. تخشبت في مكاني وبقيت يداي تحت إبطي. بالضبط كتلك المرة التي مددت فيها يدي إلى جيب زوجي أعني زوجي السابق ورآني على حين غرة. تسمّرت مثل تلك المرة. تصببت عرقا مرّة أخرى. نكّست رأسي أرضا وحينما رفعته بألف ألف مشقة كان طفلي قد سار ثانية ولم يبق شيء لوصوله إلى بائع الحب. كانت مهمتي قد انتهت. وصل طفلي سالما إلى الجهة الأخرى من الشارع. ومنذ تلك اللحظة كأنما لم يكن لي طفل. آخر مرة نظرت فيها إليه كنت كمن ينظر إلى ابن الناس. نظرت إليه كأنه ابن الناس وهو بكامل حيويته وبهجته. واستمتعت برؤيته تماما كما أستمتع برؤية أبناء الآخرين. دسستُ نفسي بسرعة وسط جموع المشاة على الرصيف. وانتابني الرعب فجأة. كادت أقدامي تتحجّر وأتجمد في مكاني خوفا من أن يكون أحدهم قد راقبني طوال هذه المدة. انتصب كل شعر جسدي لهذا الهاجس فأسرعت في المشي. بعد زقاقين أردت أن أنعطف في أحد الأزقة وأهرب. وصلتُ بصعوبة إلى رأس الزقاق وإذ بسيارة أجرة تتوقف ورأني في الشارع. كأنما سيلقون القبض عليّ الآن. تسربت الرعشة إلى داخل عظامي. تخيلت أن شرطي التقاطع راقبني وقفز

في التاكسي ونزل الآن يتعقبني وسيقبض عليّ الآن. لا أدري كيف عدت ونظرت ورائي، فعاودني شيء من الاطمئنان. ركاب التاكسي دفعوا أجرتهم وانصرفوا. تنفست الصعداء وخطرت بيالي فكرة أخرى. من دون أن أفهم شيئاً أو أنظر إلى مكان ما، قفزت داخل التاكسي وأغلقت الباب بقوة، تململ السائق وانطلق. بقي طرف شادري في الباب. حينما ابتعدنا وشعرت بالاطمئنان أكثر فتحت الباب بهدوء، أخرجت شادري منها وأغلقتها ثانية. اتكأْتُ على الكرسي وتنفست بعمق. ومساء لم أستطع أن أنتزع من زوجي أجرة التاكسي.

نادر إبراهيمي
Nader Ebrahimi

لهذا الكاتب إسهامه طوال خمسة عقود من الحياة الأدبية في إيران. كتب حتى الآن الكثير من القصص القصيرة والروايات والبحوث والسيناريوهات. وربما تجاوزت أعماله رواية «نار بلا دخان» في عدة مجلدات أنتجت قبل سنوات كمسلسل تلفزيوني ناجح. من عناوين إصداراته الأخرى: بيت على الظلام، الأماكن العامة، المدينة التي أحببتها مرة أخرى، تناقضات الداخل. كما صدرت له العديد من قصص الأطفال.

حديث آخر عن القفص

يا صديقي!
هل فكرت يوما في أوجاع القفص؟
الطائر أو القفص.
هل سألت نفسك يوما أيهما أشد تعاسة وبؤسا؟
فكر في أسلاك القفص المتشابكة.
وبوجه القفص المنقبض.
ولكن تذكر أن التاريخ كله غاص بمديح طيور تذوقت طعم
الأسار.

وما من كلمة واحدة عن آلام القفص.
لم أر إلا أناسا عاديين في الأزقة والشوارع.
يقفون أحيانا بقرب أقفاص الطيور، ويقولون بكل عواطفهم:
يا للقفص المسكين! يا للقفص المسكين!
منذ أعوام وهو صابر على الأذى!
وهذا الطائر!
كيف رفعه حبسه بضعة أيام إلى أعلى عليين!
لا تقل لي إن الألم جزاؤه الحق.
لأنك قد نسيت الأسرين.
نحن يا رفيقي!
صببنا لعناتنا على القفص.
طوال سنوات الطفيان.
وطوال سنوات الهياج الناعسة.

«وتصور أن القفص كشك مفاخرنا».
واصطنعنا كل أناشيدنا مديحا للطيور.
وألقينا الطائر في كبد مفخرة.
لا يمكن تلافيتها.
ثم بعد ذلك.
حينما ألقينا أنفسنا أيضا في القفص.
وتذوقنا الطعم العذب للاستشهاد الورقية.
وعلمنا أي متسكع تافه هذه المفخرة.
قعدنا للتجاوز من جانبي القفص:
والآن يا رفيقي، انظر للقفص!
وفكر في أسار القفص ولو ليوم واحد.
واقلع عن مديح الطائر.
أنت تعلم جيدا أن ثمة أملا للطائر.
وغابة في خاطره.
كل نباتاتها مفاخر: النزول ضيفا على القفص ليومين أو ثلاثة؛
ولكن لا شيء للقفص إطلاقا.
فذهن القفص أسير الأسار إلى الأبد.
أنت يا صاح خير من يدري.
أن أعظم شهداء التاريخ طيور ماتت في الأقفاص.
وكانت اللعنات على الأقفاص دائما.
سمعت أن الرجل، رفيق الأمس، ركض في الشارع وهو يصرخ
ويقول:
«انظروا اليه، ها قد أنشد أغنية في مدح الأقفاص!

نسيان الطائر خاتمة الرواية.
ها قد نزل إلى الساحة لصالح القفص
وسيكون له أجر دنيوي عظيم....»
قلتُ: يا صديقي، أي نافذة ستفتحها الفريّة في جوانب
القفص الستة؟

إذا لُذت بأحقّر الوسائل،
وتظاهرت بالاستشهاد الحقيقي،
أيها المفتري، ما الفرق بين فمك وفم بالوعات العذرة؟
اسمعي،
وتمهل معي،

لم أطلب منك شيئاً لصالح القفص أبداً.
لقد عودنا الطيورَ على أفيون المفاخر.
ونثرنا حبات الإدمانِ على أرض الأقفاص.
يا أخي، ألا تريد الرفعة والعظمة؟
أست من زبائن بضاعة الفخر الزهيدة؟
والآن، القفص!

ولكن، لاتنس أن خلف الستائر المزوّقة لمثل هذه المفاخر،
لايوجد شيء أبداً.

لأريب أن الطائر يعرف أنه سيكون صاحب سيرة شامخة في التاريخ.
ويدري كل طائر انه لولا القفص، فإنه سيضطر للبحث عن
قفص آخر.

كل طائر يدري أن القفص هو المبرر الوحيد للعودة من وسط
الطريق بأيّد مملوءة.

أنا أسألك:
الى فتح أي القمم يسير القفص؟
أي هواء يتنفسه القفص براحة و دعة؟
أي لقب سيُفاخر به القفص؟
لا تتسأنني لا أدعوك للشفقة على القفص.
أقول لك فقط: أطلق سراح القفص.
لتتبدد هذه المفاخر الزائفة.
ونحرم عشاق الاستشهاد الورقي من نعمة الخلود الباطل.
يوم تحطّم القفص، ستعرف الأسلاك معنى الحرية.
وتتسامى روح القفص وسط هذا التغيير؛
لكن الطائر المدمن، بلا مفاخر الأسر المحبّب،
لن يرى من الفخر أن يكون واحدا كالأخرين.
سمعتُ أن الرجل ركض في الشارع يموء ويقول:
«وامصيبته، انظروا إليه!»
ها هو يمد يدا لإنقاذ القفص.
ارجموه!»
وأنا قلت: «حرية القفص، بداية حرية الطائر... الحقيقية».
بقينا غريباء،
لأننا تحدثنا بكل ما عندنا،
طردنا،
لأننا قلنا شيئا لم يرق للإنسان الذي يروقه الاستشهاد
الورقي.

محبوبة ميرقديري Mahbobe Mirghadiri

ولدت عام ١٩٥٨ في مدينة اراك بالمحافظة المركزية، واشتغلت بالتعليم منذ ١٩٨٠ في قرى تلك المنطقة. شرعت منذ ١٩٨٧ بنشر قصصها في الصحف. ولها فضلا عن مجموعتها القصصية «القريب» رواية تحت الطبع.

الأمهات

ضياء الثريات الكريستالية الأصفر يحطّ على ريش
المروحة السقفية، وبدوران الريش تتناثر شظايا الأضواء
على المرايا. مرايا صغيرة ثلاثية الزوايا. بحجم كف اليد أو
أصغر.

ألا تنهضين يا صفية؟

أشارت صفية برأسها:

كلا التقطت إحدى المرايا شكلها وأعادته عشرات المرايا
الأخرى. نظرة حمراء متورمة.

أذهبي أنت، أنا جالسة هنا.

ذهبت المرأة خطوتين ثم عادت:

أبقي هنا إذن حتى نعود إليك. لا تذهبي من هنا.

هزت صفية رأسها. واهتز رأسها في المرايا: حسنا.

قطعت المرأة خطواتها واسعة. اجتازت النسوة المتراصات إلى
جانب بعضهن البعض على الأرض، وحينما وصلت إلى الباب
عادت تنظر إليها، كانت قد أسندت رأسها إلى أحد الأعمدة.
اطمأن بالها. عادت. وضعت يدها على صدرها وانحنى إجلالا
أمام الضريح، أزاحت ستار القديفة الثقيل برأسها وكثفها،
وانحنى للإجلال تارة أخرى.

كان الحرم مزدحما، أشد ازدحاما من الأيام السابقة. النسوة
يأتين ويذهبن. كلهن سوداوات منقبضات ثقيات كأن كل واحدة
منهن عقدة. «يأتين هنا ليحللن عقد قلوبهن».

إحداهن كانت تصلي بالقرب من صفية. كان المكان ضيقا.
والمرأة تفتحه عنوة عند السجود، وكذلك تربتها؟ «لا تسحقها
الأقدام؟»

كانت تأخذ التربة بيدها. كانت تصلي بسرعة. «أي صلاة
هذه؟ إنها تعوّض عما فات؟» انفصلت امرأة عربية عن الضريح.
تقدمت للأمام خطوة خطوة حتى اقتربت منها. «تبحث عن
مكان» كانت تبحث عن مكان. ألصقت صفية نفسها بالعمود.
وقفت المرأة العربية إلى قريبها. طويلة سوداء. انتظرت صفية
بضع لحظات «ستذهب الآن». لم تذهب. أمسكت صفية بأذيال
عباءتها السوداء وجرتّها:

سيدتي، سيدتي المحترمة، تحركي من هنا.
أرادت أن يكون وجهها أمام الضريح. جاءت بهذه النية منذ
البداية. أن تأتي صباح وعصر كل يوم إلى الحرم وتجلس
أمام الضريح. تمسح دخان قلبها. أعطت كل مالها لمرضية
زوجة أخيها: «لكل واحد قطعة حسب ذوقك، للتبرك. »
ومنذ اليوم الأول جاءت وجلست هنا. ظهرها للعمود ووجهها
للضريح.

آهoooo، تحركي من هنا.
كانت المرأة أشبه بجذع شجرة سوداء يابسة. طويلة راسخة
لاتبالي لها أبدا «لا تفهم ما أقول! كيف أفهمها؟»
رفعت رأسها وعلّت صوتها. كانت همهمة النساء أعلى من
صوتها.

سيدتي المحترمة، إنني أكلّمك أنتِ.

ساح صوتٌ في الحرم. ارتجفت المرايا. «لا إله...». جاءوا
بجنازة يطوفونها في الحرم. في تلك الجهة. في جهة الرجال.
أطلت أنظار النسوة عبر الجدار الزجاجي وجالت خلف التابوت.
قالت المرأة العربية شيئاً في نفسها ربما وجلست نصف جلسة.
قالت صفية:

أوووهاي!

ثم تراجعت إلى الورااء. التصقت بالعمود وتأفأفت. كانت
عظامها متخشبة، متخشبة وخاوية.
جلست المرأة العربية جلسة كاملة على الأرض:
يا الله.

ثم أثت ركبتيها على مهل:
أوف...

أدارت النساء حواليتها الرؤوس:
ليس هناك مكان!

قالت إحداهن شيئاً بالتركية وتململت وزمجرت صفية بصوت
مكبوت:

لا تبالي لشيء أبدا!

رأت زوجا من النجوم الزرقاء وشمّت على طرف العينين ونتوء
الخدّين. كانت امرأة عجوزا، ليست عجوزا جدا، ولكن «في سنّها
هي؟ نعم، لا؟ نعم».

أزّيح ستار القديفة بحركة عنيفة. دوى ضجيج في الحرم.
كانت امرأة شابة. سوداء ومعها امرأتان أو ثلاث. تسمرت الأعين
على المرأة الشابة. شعرها المجعد الأسود تحت الشال البرتقالي

أشبهه بوكر غراب. وهي تخمش خديها بأظافرهما باحثة بين الجموع عن طريق لها إلى الضريح. وشيئا فشيئا قبضت على الدوائر الصفراء والتصقت بها. خفّ ضجيجها بعض الشيء. تأوهت صفية وأخرجت سبحة فخارية من جيبها. شمتها وراحت تسبح «دورة من الذكر».

كانت مشتتة الخاطر. المرأة العربية جالسة أمامها مؤولية ظهرها للضريح. ركبتهما ملتصقتان ببعضهما البعض... وهذا غير ممكن، كانت تعاني من ألم في الأقدام ولا تستطيع الحراك «وهل المكان قحط؟».

نظرت حواليتها. لا يوجد فراغ حتى لفرخ دجاجة. وما تريد منها أصلا؟ كأنما لم يحصل أي شيء تقرأ أذكارها مثل كل يوم. واحدا واحدا، بعدها يحين أذان الظهر فتصلي صلاتها وتكون مرضية إلى ذلك الحين قد عادت. تنتظرها حتى تصلي هي أيضا وتذهبان إلى الفندق. وسيكون غداؤهما حاضرا. عسى ألا تكون مرضية قد نسيت. طلبت منها أن تأخذ اثنتين أخريين من تلك الحجابات، وثلاث سُفُر، وزوج نعال ليلي، زوج نعال جميلة. قالت هي نفسها: «لتكن فيهما حبات لماعة يا جدتي».

أقرباؤها كثيرون. وهناك الجيران والأصدقاء والمعارف. لو أرادت أن تعطي لكل واحد منهم قطعة لكان المجموع كبيرا! دوت صرخة قصيرة في الحرم. ارتجت المرايا، واهتزت الثريات. غابت المرأة السوداء عن الوعي! تكوّمت عند أحد أعمدة الضريح. امرأة صغيرة العينين كانت تلطم صدرها وتقرأ

بلغة غريبة! أدارت المرأة السوداء رأسها، نظرت بسرعة وعادت تقابلها بوجهها. بياض عينيها كان أصفر بعروق دموية حمراء و... النجوم! «كانت شجاعة بما يكفي! لم تخف أن تغرس الإبرة في عيناها؟ وأي جمال في هذا؟»
فتحت المرأة العربية كفيها مقابل السقف ونظرت إلى الأعلى:
الله.

كان صوتها متهدجا، وشاهدت صفية النجوم ترتجف وناجت المرأة العربية نفسها، لا بد أنه دعاء. «من أين كانت؟»
ارتفع قرع الساعة الجدارية، لا واحدة ولا اثنتان. انشده بال صفية وضغطت على المسبحة في قبضتها. قرأت سورة الفاتحة ولم تكملها «لا يطاوعني قلبي على قراءة الفاتحة» قطبت حاجبيها فجأة وندّ عنها أنين:
أي ي ي ي...

أعادوا المرأة السوداء إلى وعيها وأجلسوها جانبا. إنها تبكي الآن، ونسوة هنديات «هل كن هنديات؟ قراءتهن تشبه الهنود. وعليهن وشم بين الحواجب، وشم كبير أسود وأحمر» اجتمعن حول بعضهن ورحن يقرأن شيئا، ربما كان شعرا. يؤرّجن الأيدي مع بعضها ويحركن الرؤوس. نظرت المرأة العربية إليهن. كانت نظرتها باردة باهتة! «هل تستطيع أن ترى؟ نعم، عيناها سالتان».

«من أين كانت؟»

«عربية على كل حال. واضح هذا من عباؤها السوداء، ووجهها أسود أيضا».

أظلم الحرم. انقطع الكهرباء. رفعت رأسها، الثريات انطفأت وتوقفت ريش المروحات عن الحركة. المرايا يعلوها الغبار ويجعلها ضبابية. ارتفع صوت رجل من الجانب الآخر يقرأ الزيارة عالياً. «هذا جيد» ركزت سمعها وكررت:

... السلامُ عليكِ يا أم المصائب يا زينب... أيتها البعيدة عن الأوطان... يا ممتحنة في تحمل المصائب... الأسيرة في البلدان...

قرأت الزيارة متقطعة متكسرة إلى آخرها. قرأت ونقلت أنظارها عن رأس وأكتاف المرأة العربية التي تراقبها بدهشة أحياناً، إلى الضريح. عاد الكهرباء، وضاءت الثريات وتحركت ريش المروحات. انتثر الضياء على المرايا وعلى الوجوه السوداء للنساء. النساء كن موزعات في المرايا الثلاثية. قطعة قطعة وكل قطعة مكررة. مرتين، ثلاث مرات، عشر مرات. بسطت المسبحة «لأررد الصلوات».

رددت الصلوات وقبل أن تبلغ الحبة الأخيرة جاءت شابة بعباءة سوداء براقية. خطواتها سريعة ووجهها طازج طري. كانت ممتلئة بالنشاط. يبدو عليها أنها لاتزال عازية. انحنت ووضعت يدها على كتف المرأة العربية. قالت شيئاً بالعربية ورفعت المرأة رأسها. قامت عدة نساء بالقرب منها، فتنفست صفية بارتياح، واستعدلت في جلستها، جلست الفتاة أيضاً. كانت تتكلم مع المرأة بسرعة. نظرتها ضاحكة. أخرجت من حقيبتها قماشاً عرضته على المرأة. مسحت المرأة يدها على القماش، أخرجت الفتاة الايشارب (الوشاح) وعدة جوارب من حقيبتها. فتحت الايشارب.

ثلاثي الرؤوس وضعته على رأسها. ضحكت المرأة، وعقدت الفتاة طرفي الحجاب.

إنها جميلة، مبروك عليك.

نظرت العجائز والشابات إلى صفية، وأعادت صفية كلامها. مسحت يدا على الإيشارب وقالت بأناة: مبروك، جميلة.

وتوجهت نحو المرأة:

ابنتك؟

لم تقل المرأة شيئاً وخلعت الفتاة الإيشارب عن رأسها. قالت كلمات بالعربية وأشارت إلى المرأة:

أمي ووضعت يدا على صدرها وطوت الإيشارب ثم دسسته في حقيبتها. كانت تسترق نظراتها من صفية. انزلت صفية للامام وأشارت إلى المرأة:

أمك؟ حفظها الله.

قالت الفتاة:

خُدا، الله.

عادت صفية لتقول:

أولادها؟ أولاد؟

هزت الفتاة رأسها:

أولاد.

وأشارت إلى المرأة:

أمي.

كررت صفية:

أمّي. وابتسمت:

أنا أيضا لي ابنتان.

وأشارت بأصابعها:

أولاد، بنت، اثنتان.

كانت المرأة قد أدارت وجهها. تسمرت نظرتها على الجدار الزجاجي وعلى الظلال البادية من الجانب الآخر. واحدا واحدا. قالت الفتاة شيئا فتململت المرأة. توجهت صفية تارة أخرى للفتاة:

أنتم من أهل سورية؟

قطبت الفتاة حاجبها. سألت صفية مرة أخرى:

أنتم سوريون، سورية؟

قالت الفتاة:

لا.

وضحكت. كانت ضحكتها تشي بالتبرم. كانت تسرق نظراتها من نظرات صفية والأخيرة لاتدعها لحالها، خصوصا بعدما رأت امرأة تعتمر العباءة تشير إليهما برأسها ويدها من جانب الستار أمام الباب. تقول شيئا ولايصل صوتها وسط الضجيج. أمسكت صفية بيد الفتاة:

هناك، انظري هناك.

أشارت بيدها فنهضت الفتاة. مشت وأمسكت بيد طفل كان مع المرأة أمام الباب ثم عادت. كان الطفل ولدا عمره سبعة أو ثمانية اعوام. أجلسته الفتاة على رجليها، وانحنى المرأة فقبلت جبهته. يبدو أنه كان مريضا. نأى بنفسه وما إن أرادت صفية أن تلمس شعره المجعد حتى علا صوت بكائه.

قالت له الفتاة أشياء بلهجة ود ربما كانت تلاطفه وضغطت
هي رأسها على صدره. فنظرت العجوز لصفية نظرة باهتة
ناعسة، شعرت صفية بحدة النظرة كأنها السيف فانهارت!
تراجعت، ورفع الطفل من صوت بكائه وهو يجذب اذيال
عباءة الفتاة. بحثت الفتاة في حقيبتها. «تبحث عن طعام أو
شيء من هذا القبيل» أخرجت صفية شوكولاته من جيبها
وأمسكتها أمام الطفل:

هاك يا حبيبي، لا تبك.

أخذ الطفل الشوكولاته. حدثت المرأة الفتاة بنظرتها وهمست
شيئا في أذنها تحذير انتزعت الفتاة الشوكولاته من يد الطفل،
فتحت غلافها، صرخ الطفل وقبض على ياقة الفتاة. شمت الفتاة
الشوكولاته، قطعت جزءا صغيرا بأسنانها فمضغته وقالت شيئا
للمرأة. نظرتها كانت مسمرة على نظرة صفية، وصفية ذاهلة!
أي بشر هؤلاء؟ ربت على كتف الطفل:

أولاد

وضربت على صدرها:

أولاد

تفكرت:

أولاد الأولاد. ليلي، سيدتي الجميلة.

وأشارت بيدها إلى طولها:

ليلي، اسمها ليلي، أولاد الأولاد.

رفعت الفتاة حاجبيها:

ها... ليلي، ليلي.

وأشارت إلى الطفل:
عباد، أولاد الأولاد.
وأشارت إلى المرأة وضحكت. وضحكت المرأة أيضا:
عباد.

التمعت النجوم للحظة. دسّت صفيه يدها مرة أخرى في
جيبها وأخرجت عدة قطع من الشوكولاته والمكسرات وقدمتها
كلها للمرأة:

تفضلي. حلّي فمك.
قلّصت المرأة فمها. انطفأت النجوم.
لا، لا.

قالت صفيه:
ضعيها في فمك، لن تكوني مدينة لنا.
أخذت الفتاة شوكولاته ودفعت يد صفيه إلى الوراء:
ممنون.

زمت صفيه شفيتها وسحبت يدها. «يالهم من صلفين، من
أين أنتم؟»

سألت. وضعت يدها أولا على صدرها:
إيران، إيراني.

ثم مدت يدها نحوهم:
من أين أنتم؟ مكة؟ المدينة؟
ضحكت المرأة بمرارة، وقالت الفتاة بحزم:
بغداد، العراق.

تثلجت يد صفيه! أرجلها وكل جسمها تجمّد، وتساقطت

شفتاها ثيلتين على بعضهما البعض. «عراق، عراقيون؟» تحركت
«هل تنهض لتذهب؟»

«ابقي هنا إذن حتى نعود إليك. لا تذهبي من هنا». لا تعرف
مكانا هنا، إذا خرجت فسوف تضيع الطريق. وإذا بقيت..
نظرت إليهما. كان الطفل منشغلا بالشوكولاته. يعضها
دون أن يبالي بشيء، والفتاة سمرت عينيها على الأرض. لا على
الأرض فلم يكن شيء من الأرض قد ظهر. كانت تنظر إلى أرجل
صفية. إلى ركبتها. اهتزت صفية. كذلك الفتاة. أدارت رأسها
بسرعة وقالت شيئا للمرأة وردت عليها المرأة بانزعاج ثم توجهت
إلى صفية. وجهها كان منقبضا والشعيرات الدموية في بياض
عينيها متضخمة أحواض من الدم استتشقت صفية نفسا عميقا.
من كان يتصور أنها ستواجه هؤلاء العراقيات هنا، هنا في المكان
الذي لطالما تمنّت زيارته ورؤيته؟! نظرت إلى الضريح بتوسل
«من بين كل هؤلاء البشر...!» سحبت شادرها إلى الأمام:

أي ي ي ي...

وارتجف كتفاها. مسحت دخان قلبها وأزاحت الشادر لتتظر
إلى المرأتين والطفل فتراهم يحدقون فيها. «هل تخبرهم؟
نعم، الأفضل أن تخبرهم. سيفهمون. هذه والدّة على كل حال.
ولها أحفادها. وقد جاءت للزيارة، لزيارة السيدة زينب. إذن لابد
أنها ستفهم، سوف أفهمها...».

مدت يدها تحت شادرها. أخرجت حقيبة جلدية صغيرة من
داخل كيس من قماش. فتحت الحقيبة ونظرت داخلها وأمسكت
بها أمام عيني الفتاة، وأشرأت المرأة أيضا، أرتهما صفية صورة:

أولاد، أولادي، والد ليلى، حرب، حرب، شهيد.
هزت الفتاة رأسها بهدوء:
حرب، شهيد.

وتحدثت مع المرأة بالعربية. نظرة الفتاة كانت مغمومة، ونظرة
المرأة مليئة بالمرارة. مدت يديها إلى أزرار بلوزتها عند الصدر.
فتحتها وأخرجت سلسلة وإطارا فضيا. كان الإطار مستطيلا.
فتحت المرأة باب الإطار ومدته أمام صفية:
أولاد، حرب، شهيد.

وأشارت إلى الطفل:
ولدي.

بكى الطفل، التصق بالفتاة فقبلت رأسه. أغلقت المرأة باب
الإطار. أعادته إلى صدرها وأغلقت أزرار بلوزتها. النجوم أطراف
عينها كانت مبللة مرتجفة وعلى قلب صفية دخان لا ينقشع.

المترجم في سطور

١. موسى بيدج

- شاعر ومترجم إيراني مواليد ١٩٥٦.
- ليسانس أدب عربي وماجستير في الأدب الفارسي.
- له أربع مجموعات شعرية، واحدة بالعربية صدرت في بيروت وثلاث بالفارسية صدرت في طهران.
- أصدر أكثر من ثلاثين كتاباً في الترجمة من الأدب العربي الحديث إلى الفارسية (شعراً ونثراً) منها مجموعات شعرية لنزار قباني، وأدونيس، ومحمد الماغوط، ومحمود درويش وسعاد الصباح.
- يرأس تحرير فصلية شيراز «نافذة على الأدب الإيراني بالعربية».

المرجع في سطور

١. سمير أرشدي

- من مواليد ١٩٥٧.
- حاصل على بكالوريوس علوم الترجمة من الجامعة الوطنية الإيرانية.
- طهران، وماجستير في كلية الآداب من الجامعة اللبنانية، ويعتبر لنافذة أطروحة الدكتوراه في الجامعة اللبنانية.
- عضو اتحاد الكتاب والأدباء العرب.
- عضو مشارك في هيئة الموسوعة العربية الكبرى بدمشق.
- مترجم معتمد لدى منظمة المؤتمر الإسلامي بجدة.
- المترجم القانوني لوزارة العدل ببيروت.
- كتب عشرات المقالات والبحوث الأدبية والدراسات الفكرية في الصحف والمجلات المحكمة في الوطن العربي.
- قام بترجمة وتحرير العديد من الأعمال الأدبية من بينها «سبع قصص» الصادرة عن سلسلة «إبداعات عالمية» التابعة للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الإصدار القادم

حكايات حكماء أفريقيا.. وأسطورة نجد وديوال
تأليف: أمادو همباطي با
ترجمة: محمد بنعبود
مراجعة: عبود كاسوحي
ترجمت عن الفرنسية

ما صدر من هذه السلسلة

318	نون والقلم	تأليف: جلال آل أحمد
319	سيرى سامبيجي	تأليف: تشاندرا سيخار كامبار
320	أيام يورمية	تأليف: جورج أورويل
321	ست وصايا للألفية القادمة	تأليف: ايتالو كالفينو
322	السكرتير الخصوصي	تأليف: ت. س. إليوت
323	قصص برازيلية	تأليف: مجموعة من القاصين البرازيليين
324	شذرات من خطاب في العشق	تأليف: رولان بارت
325	لون الماء	تأليف: جيمز ماكبرايد
326	وجهان لحواء	تأليف: أمريتا بريتام
327	المفرق ذو الشرفات السبع	تأليف: اليخاندرو كاسونا
328	من الأدب الباكستاني الحديث	تأليف: مجموعة من القاصين الباكستانيين
329	مختارات من القصة التركية المعاصرة	تأليف: مجموعة من القاصين الأتراك
330	مروحية محكمة العدل في بلخ	تأليف: بهرام بيضائي
331	مطبخ - خيالات ضوء القمر	تأليف: بنانا يوشيموتو
332	العلياخون الأشجار	تأليف: جونتر جراس
333	الجمرة المكسورة	تأليف: هاينرش فون كلايست
334	شغل تشابه ضائع	تأليف: أندريه شينيد
335	حكايات الهنود الأمريكيين وأساطيرهم	تأليف: فلاديمير هلياش
336	زهرة الصيف	تأليف: مجموعة من القاصين البيلجيين
337	هلام - نظام زنجي	تأليف: ليوبولد سيدار سنغور
338	البيروج	تأليف: تيغولوف مكيافيلي
339	منزل القنور	تأليف: جوهير مراد
340	كشيان التمل في السافانا	تأليف: تشنوا تشيبي
341	الناقول وجنون العظمة	تأليف: أرتور شنيتر
342	غرام ميتا	تأليف: إيفان بونين
343	أرتجندن والمحارس الليلي	تأليف: فيمي أوسو هيسان
344	ورقة في الرياح القارسة	تأليف: تنغ - هسنگ لي
345	مدرسة الدكتاتور	تأليف: إريش كسلر
346	رسائل عيد الميلاد	تأليف: تيد هيويز
347	حكايات وخرافات أفريقية (1)	تأليف: سليمان جيلو ديوب
348	الطفل الملك	تأليف: سليمان جيلو ديوب
349	مروحية عذراء أورثيان	تأليف: فريدريش شيلر
350	حكايات وخرافات أفريقية (2)	تأليف: سليمان جيلو ديوب

ما صدر من هذه السلسلة

الأفعال والحوادث العشوائية في الحكاية	
349	القصة القصيرة الإسبانية الأمريكية تأليف مجموعة من القاصين المتحدثين بالإسبانية
350	مسرحيات، 1- مخنة الأخ جيرو 2- تحول الأخ جيرو تأليف، أول سويتكا
351	روض الأدب (مختارات قصصية) تأليف، لوز هنري
352	مسرحية، أنتيجون، تأليف، ب. بيردست
353	أجمل حكايات الزمن تأليف، خلدي برونيل
354	يتبعها فن الهايكو مسرحية، القهى، تأليف، لاوشه
355	مسرحيات، 1- صناعة تاريخ 2- ترجمات تأليف، برايان فريسل
356	رواية، الشباب، تأليف، ج. م. كويتنزي
357	مختارات من الشعر المجري المعاصر (شعراء السبعينيات) تأليف مجموعة من الشعراء المجريين
358	مسرحيات، 1- تلاميذ الخوف 2- المرأة تأليف، إيجون وولف
359	اسمي أرم (مجموعة قصصية) تأليف، وليام سارويان
360	حامل الإكليل (قصص مختارة) تأليف مجموعة من القاصين المتحدثين بالإنجليزية
361	الشيورة (مسرحية) تأليف، سيلافومير مروجيك
362	الأيام الخمسة الأخيرة لرسول (رواية) تأليف، تحسين يوجل
363	سبع مسرحيات ذات فصل واحد (من بولندا) تأليف، إيريشيوش إيريدلنسكي أندجي ماليشكا ستانيسلاف ليم (ستانيسلاف) سوافومير مروجيك
364	سبع قصائد... سبع قصص تأليف مجموعة من القاصات القارسات
365	زمن الضحك (ملوحة خفيفة من ثلاثة فصول) تأليف، لوبيل كازوب
366	بالأبيض على الأسود (رواية) تأليف، زويسين ديفيد غونزاليس فالينو
367	مسرحيات، 1- سهره في القهى 2- موت ممثل مشهور تأليف، تيان هان
368	امرأة وحيدة، طريق الحرير، والشعر، سيرة حياة تأليف، مايكل شلمان

ما صدر من هذه السلسلة

369	اللاح، (مسرحية من الأدب البولندي)	تأليف: بيغن شافيافسكي
370	ليلة القنيز (رواية)	تأليف: يول أوسكر
371	هذا الجيل المحظوظ (مسرحية)	تأليف: لوبل كازرو
372	لا وجود لخصومات صغيرة	تأليف: أمادو هيباتلي با
373	الليلة التي اضلها تسورو في السجن (مسرحية)	تأليف: جيروم لوبل
374	مختارات من الشعر الإيراني القديم	ترجمة: روبرت إي. لي
375	الطرب وقصص أخرى (الجزء الأول)	تأليف: بول بولز
376	الطرب وقصص أخرى (الجزء الثاني)	تأليف: بول بولز
377	الأميرة، (مختارات من ديوان شعر)	تأليف: هروغ هرخرا
378	شارع بريك لين (الجزء الأول)	تأليف: مونيككا علي
379	شارع بريك لين (الجزء الثاني)	تأليف: مونيككا علي
380	الطريق (رواية)	تأليف: كورماك مكارثي
381	مختارات من القصص القصيرة الأوزبكية	تأليف: مجموعة من الأدباء الأوزبك
382	عشيق الصين الشمالية (رواية)	تأليف: مارغريت دوراي
383	المجموعة القصصية الكاملة لارنس همنغواي (الجزء الأول)	تأليف: لارنس همنغواي
384	المجموعة القصصية الكاملة لارنس همنغواي (الجزء الثاني)	تأليف: لارنس همنغواي
385	المجموعة القصصية الكاملة لارنس همنغواي (الجزء الثالث)	تأليف: لارنس همنغواي
386	النمر الأبيض (رواية)	تأليف: أوهنر أديفا
387	موقف الألم (رواية)	تأليف: دوبرالكا أوجا بيسك
388	فيلا أماليا (رواية)	تأليف: باستكال كيتيار
389	الإحسان بالنهاية (رواية)	تأليف: جويليان وارنر
390	بسمينة (وقصص أخرى)	تأليف: إيزابيل البرهاردت
391	المغامرة الفاسدة (رواية)	تأليف: شيخ حاتم كان
392	الرجال الذين يحلمون (رواية)	تأليف: أناتوليا نيفي

الفهرس

5	مقدمة المترجم
	بانوراما الأدب القصصي الإيراني الحديث
31	بهرام صادقي
	المصور
41	إسماعيل فصيح
	إعانة
55	حسن فرهنگي
	الجمال العزيزة
65	ايرج بزشك زاد
	عار الفقر
73	غلام حسين ساعدي
	المتسولة
97	رسول برويزي
	قصة نظارتي
109	محمد أيوبي
	يوم الخنزير
121	شهريار مندني بور
	إنسان الأرض
141	علي مؤذني
	البياض الناصع
155	كامران سحرخيز
	لا تقرأوا هذه القصة
159	أبوالقاسم فقيري
	العروس
165	أبو تراب خسروي
	الوجود

179	محمد رضا كاتب الأرض الزرقاء
193	هوشنك كلشيري شجرة الصنار
203	محمود دولت آبادي المرآة
213	بلقيس سليمان لعبة الزفاف
223	علي أصغر شيرزادي المغولي في المطر
231	زويا بيرزاد فردة وفردة
239	أحمد غلامي بلا عنوان... حالياً
247	جيسا يثري صور فورية
253	كيومرث صابري شروط الزواج
263	جمال ميرصادقي المحرقة
269	بيجن نجدي ضيف التراب
279	مصطفى مستور المجزرة
297	برويز دوائي الحديقة
309	منصورة شريف زاده شتلة ورد الحرير

317	محمد شريفى الأحوال
327	خسرو شاهانى معاون، توقيع، مكتب، ختم
337	جلال آل أحمد ابن الناس
347	نادر إبراهيمى حديث آخر عن القفص
353	محبوبة ميرقدیری الأمهات

أنطولوجيا القصة الإيرانية الحديثة

تألفت القصة الإيرانية في عقد الستينيات ببريق أكبر، ونزل قاصون جدد إلى ساحتها؛ حيث كان من أغنى عقود الكتابة القصصية في إيران. ولذلك فقد ظهر العديد من كتاب القصة الذين ساهموا في اكتمال بانوراما الأدب القصصي الإيراني. ويمكن القول إن القصة الإيرانية كانت ومازالت تواكب أحداث المجتمع، وهي العين الناضرة والعقل البصير والتاريخ الحقيقي لأمال وآلام المجتمع الإيراني المعاصر.

لقد تطرقت بانوراما الأدب القصصي الإيراني الحديث إلى عدة كتاب إيرانيين مهمين ولهم آثار جليلة وواضحة في تشكيل التاريخ الإيراني منذ أوائل القرن الماضي. ونذكر بعضاً منهم على سبيل المثال لا الحصر: الكاتب جمال زادة وصادق هدايت وصادق جوبك وجلال آل أحمد وتقي مدرسي وجمال ميرصادقي وغلام حسين ساعدي (المولود في أذربيجان)، وبهرام صادقي وعلي محمد أفغاني وهوشنك كلشيري ومحمود دولت آبادي وأحمد محمود ونادر إبراهيم والسيدة سيمين دانشور واسماعيل فصيح، والكاتب في أدب الأطفال صمد بهرنكي.